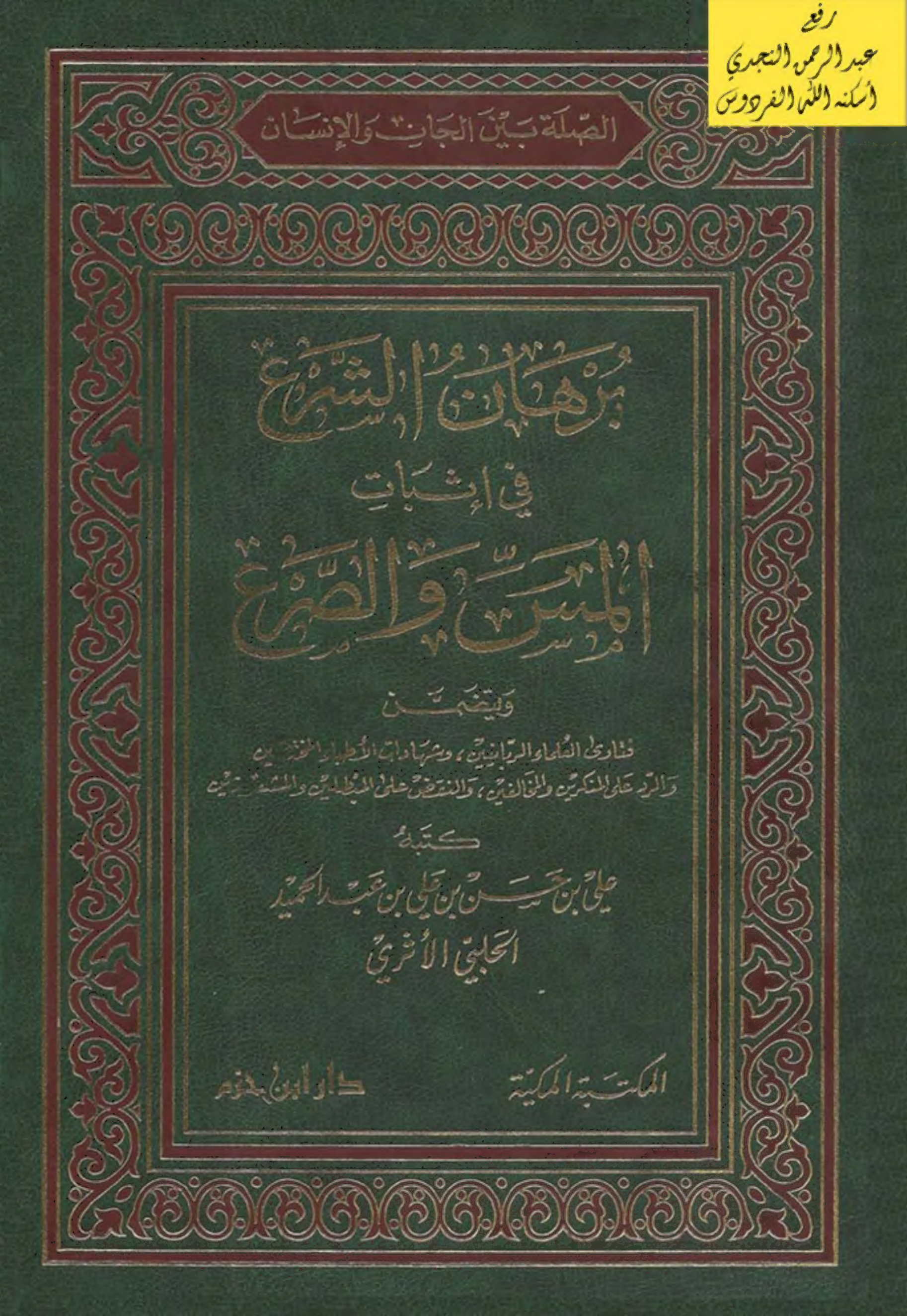
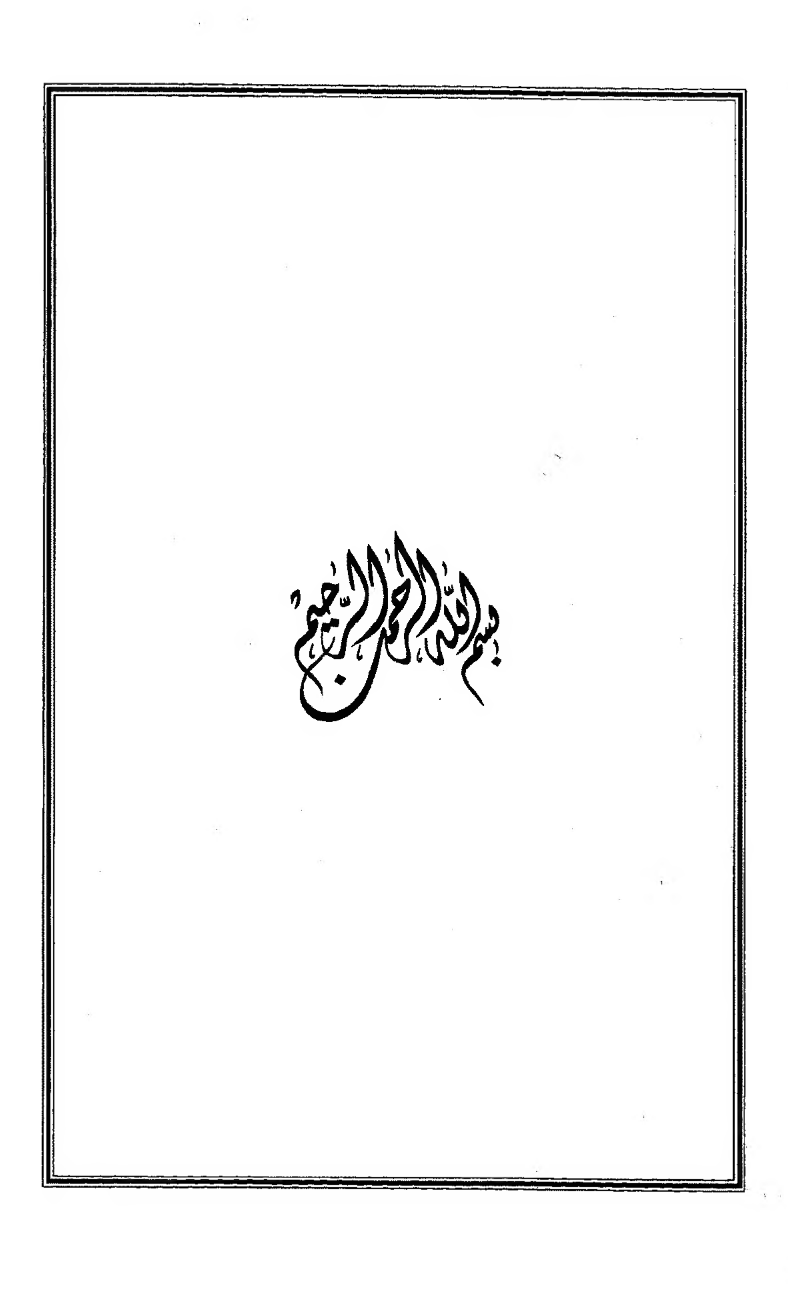

الصلة بين الجان والإنسان
برهان الشرع
في إثبات
المس والصرع
ويتضمن
فتاوى العلماء الربانيين، وشهادات الأطباء
والرد على المنكرين والمخالفين، والنقض على المبطلين والمشعوذين
كتبه
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد
الحلبي الأثري
المكتبة المكية
دار ابن حزم

بُرْهَانُ الشَّرْعِ
في إثبات
المسّ والصّرع


بسم الله الرحمن الرحيم

الصلة بين الجان والإنسان :

برهان الشرع في إثبات المس والصرع

ويتضمن

فتاوى العلماء الربانيين، وشهادات الأطباء المختصين
والرد على المنكرين والمخالفين، والنقض على المبطلين والمشعوذين

كتبه
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد
الحلبي الأثري

المكتبة المكية

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

المكتبة المكية

حي الهجرة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

○ إلى المُتَرَدِّدين :

... ليعرفوا أنَّ للحقِّ حُجَّةً وبَيانًا ..

○ إلى المُنكِرين :

... لِيَرَوْا أمامَهم بُرْهانًا ..

○ إلى المُشَعْوِذين :

... لِيَتُوبوا ، وَيَنْتَهُوا إذْعانًا ..

○ إلى المُوقِنين :

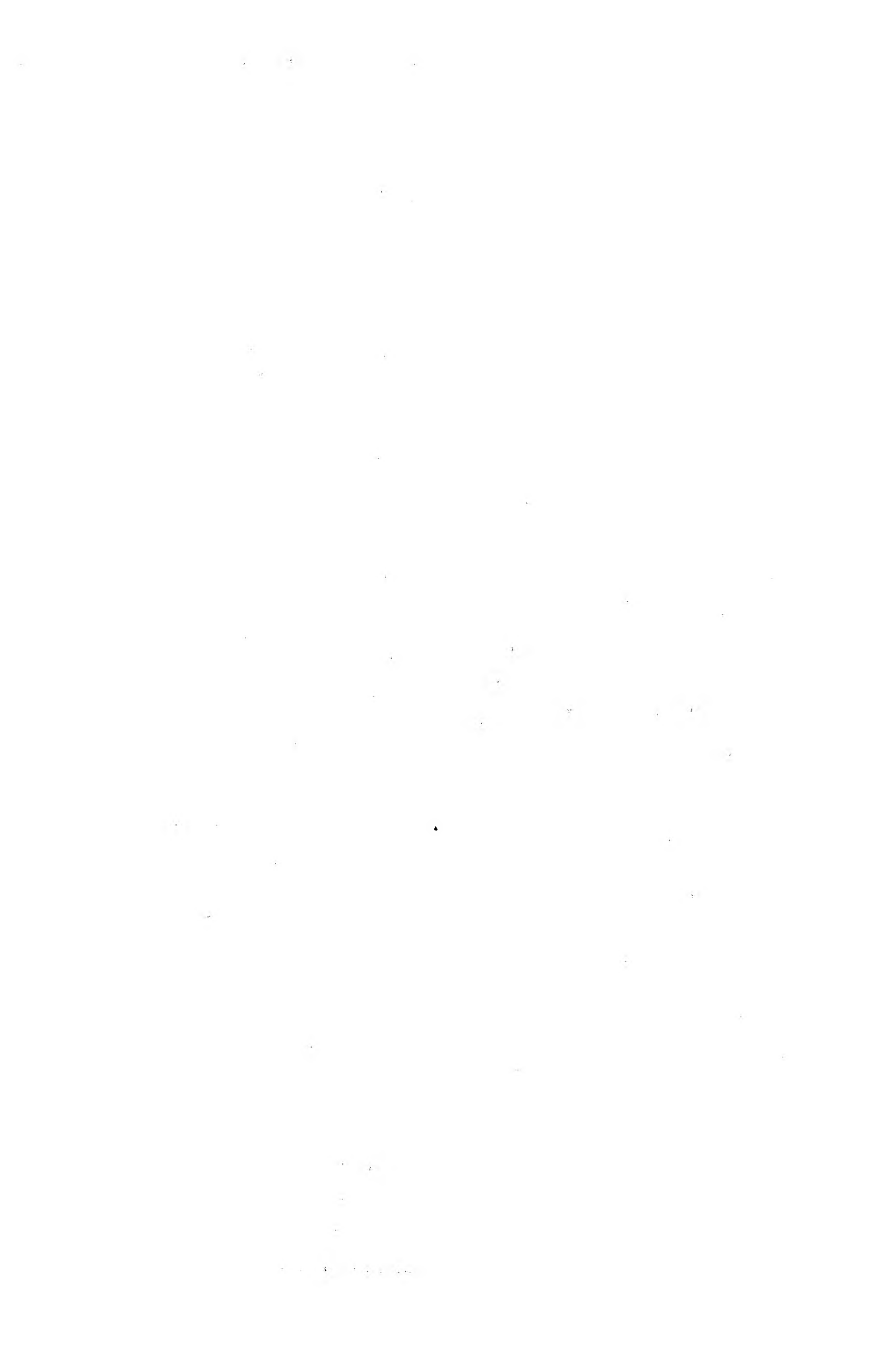
... لِيَزْدادوا إيمانًا ..

○ وإلى العُلماء النَّاصحين :

... تقديرًا وعِرفانًا ..

○ .. وإلى كلِّ المُسلمين :

... لِيَعيشُوا حياتَهم .. أَمْنًا وأَمانًا ..



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف :

إِنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُه ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أَنفسِنا ومن سيّئاتِ أَعمالِنا ، مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له .

وأَشهدُ أَنْ لا إِلٰه إِلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له .

وأَشهدُ أَنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه .

أَمّا بعدُ :

فإِنَّ أَصلَ هذهِ الرسالةِ جُزْءٌ [1] مِن كتابي الذي لم يَكْمُلْ « **كِفاية المُطمئنّ بأَحكامِ الجِنّ** » ؛ اسْتَلَلْتُها منه - على نَوْعِ تَعَجُّلٍ - بعد كثرةِ السُّؤال، وازْدِيادِ القيلِ والقال ، **حولَ مسأَلةِ دخولِ الجانّ بَدَنَ الإِنسانِ** [2]، **ومسِّ الشيطان** ، **وإِيذائهِ لعبادِ الرَّحمن** ، والخَوْضِ فيها مِن غيرِ حجّةٍ ولا بُرهان ، حتّى وَصَلَ القولُ إِلى أَلسنةِ العوام ، بالتخرُّصاتِ والأَوهام ، وفاسدِ الكلام ...

ولقد جَهِدْتُ كثيراً في هذه الرسالةِ أَنْ أَضبطَ قَلَمي بآدابِ الشريعةِ ؛ علمًا ، وَبَحْثًا ، ومُناقشةً ، بعيدًا عن **الأَساليبِ الصحفيّة** (!) ، والكلماتِ

---

(١) وقد حَرَصْتُ (هنا) على الاختصارِ الشديدِ ، خشيةَ الإِطالةِ .

(٢) **أو سائر أَنواعِ تأثيره المحسوس عليه ، فالمنكِرون لا يُثْبتون مِن ذلك إِلّا الوسوسة .**

الإنشائيّةِ ، والطرائقِ العاطفيّةِ ، الّتي قد تغرُّ الناظرَ إليها ، كما يَغُرُّ السَّرابُ العَطْشىٰ !!

ولولا أَنَّ هذه المسألةَ من مسائلِ العقيدةِ [١] – التي نُقلَ فيها اتّفاقُ أَهلِ السنَّةِ عليها [٢] – لَمَا شَغَلْتُ نفسي بتتبُّعِ المخالِفِ لها ، والردِّ على شبهاتِهِ ؛ لأَنّي (أَعلمُ) أَنَّ كثيرًا من الردودِ قد تكونُ سببًا لِرَفْضِ الحقِّ وردِّه، وطريقًا لتسويغِ الانتقامِ **للنفس** [٣]، والانتصارِ **للذاتِ** ، وبالتالي؛ فلا تُعْطي كبيرَ فائدةٍ

(١) قَد عَدَّ أَئمّةُ أَهلِ العلمِ المُصَنِّفونَ في العقيدةِ هذه المسألةَ مِن جملةِ اعتقادِ أَهلِ السنّةِ ؛ كالإمامِ أَبي بكر الإسماعيليّ المتوفى سنة (٣٧١هـ) في جُزئِه « اعتقاد أئمّة الحديثِ » (ص ٧٧ – ٧٨) ، والإمامِ أَبي الحَسَنِ الأَشعريّ المتوفّى سنة (٣٢٤ هـ) في كتابِه « الإبانة عن أُصولِ الديانة » (ص ٦٣) ...

وهكذا في سلسلةٍ طويلةٍ من مُصنَّفاتِ العقيدةِ ... إلى ما كتبَه العلّامةُ صدِّيق حَسَن خان المتوفّى سنة (١٣٠٧ هـ)، في كتابِه « قَطْف الثَّمرِ في عقيدة أَهلِ الأَثَر » (ص ١٤٣).

وإذ الأَمرُ كذلك فلا يجوزُ البتةَ وَصفُ الاعتقادِ الصحيحِ فيه – دونَ الشوائبِ التي تزيّد بها المخرِّفون – بأَنّه : « هجمةٌ شَرسةٌ على الإسلامِ والمسلمين من شياطين الإنسِ يُشارِكُ بها مُغَفَّلو المؤمنين » !! كما قال الشيخُ محمد شكور امرير في مقدّمته على كتابِ عنوانُهُ : « الأُسطورةِ » (ص ١٢) !!

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٧٣ و ٧٩ و ١٧١) .

(٣) ولقد كَتَبَ المدْعو حسّان عبدالمنان في إنكارِ التلبُّسِ – مُسَمِّيًا قالتَهُ باسمٍ هو أَشْبهُ ما يكونُ بعناوينِ صُحُفِ الإثارةِ (!) : « **الأُسطورة** [أ] **التي هَوَتْ** : علاقةُ الجانّ بالإنسان » !! =

(أ) في « تحفة الأَريب » (١٦٥) لأَبي حيّان : « الأَساطير : الأَباطيل » ، وفي « مُعجم غريب القرآن المستخرج من صحيح البخاري » (ص ٨٨) : « الأَساطير : التُّرَّهات » !!!

* و « الأُسطورة » في التعريفاتِ الحديثة (!) هي : آراءُ البداوةِ التي تطرُقُ ذهنَ الجاهليّ ، وتخطرُ =

للمردودِ عليه نفسِه .

ولكنْ : إنَّ الأَمرَ دينٌ ، فليفعلْ مَن شاءَ ما شاءَ ، واللهُ ربُّنا عزَّ شأنُهُ يقولُ : ﴿ إِنَّ اللهَ يُدافِعُ عنِ الذينَ آمنُوا ﴾ .

وإنّي أَسألُ اللهَ - سبحانَه وتعالى - أَنْ يُوَفّقَني والمسلمين لِمَا يُحبُّهُ

= قائلاً (ص ١٦٩) :

« فلا مُنازَعَةَ ولا مُنافَرَةَ إن غيري خاصَمَني أَو اتَّجَهَ اتّجاهًا آخرَ يُخالفُ ما أَنا عليه (!) ، لا مُنازعةَ ولا مُنافَرَةَ إنْ غيري اجتهدَ كما اجتهدتُ (!) ، وتوصَّلَ إلى خلافِ ما توصَّلْتُ .. » !!

أَقولُ : فَهَلّا يُنْبِئُ الخُبْرَ الخَبَرَ ؟!!

أَرجو ...

ثمّ .. لم يَطُلْ له انتظاري حتّى خابَ فيه رجائي (!) ؛ إذ لم (يصبر) هذا الكاتبُ على وَعْدِهِ (!) حتّى نَكَثَ ، فـ (نَفَثَ) ما في مَخْبوءِ قلبِهِ على سَوَادِ مِدادِهِ !!! في مقالاتٍ مُتسارِعةٍ - في بعضِ الصُّحفِ - هَوَّش فيها وشَوَّش « **من غيرِ فائدةٍ تُذكَر ولا معلومةٍ تُشْهر** » !!

قلتُ : والذي يبدو لي أَنَّ (وراءَ) الأَكَمةِ ما وراءَها (!) فهذا الرَّجلُ نفسُه - حسّان - كانَ قد (كتبَ) مقالاً في مجلّةٍ تسمّى (الجذور) العدد السابع شهر شوّال / سنة ١٤١١هـ ، عنوانه : « وَهَم التجديدِ على رأسِ كلِّ قرنٍ » (!) كانَ مِن ضمنِ ما قالَه فيه : « **علمُ الغيبيّاتِ علمٌ قائمٌ بذاتِهِ ، فمن يقفُ وراءَه ؟** » !!! ...

فلستُ أَدري (مَنْ يقف وراءَه) !!

....

= بيالِهِ ، وتختلجُ في قلبِهِ لحلِّ مُعَقَّداتِها » !! كما في كتاب « الأَساطير والخرافات عند العربِ » (ص ٢١) للدكتور محمد عبد المعيد خان ؛ لأَنَّ « جوهرَها هو الخُلُوُّ مِن المنطق ، والافتقار إلى العلم » !! كما قالَ الدكتور أَحمد عبدالرحمن في كتابِهِ « أَساطير المُعاصرين » (ص ٧) .

وانظر ما سيأتي (ص ١٧٥ - ١٧٦) .

ويرضاهُ ، مِمّا فيه اتّباعُ كتابِه وسُنّةِ مُصطفاه ؛ إنّه سميعٌ مُجيبٌ .

ويَحْسُنُ - ها هُنا - ذِكْرُ شيءٍ مهمٍّ غاية ، فأقولُ :

إنَّ التعلُّقَ بِسِرْبالِ (المنهجيّة) ، والتمسُّكَ بدعاوىٰ نَبْذِ التقليدِ ؛ في رَدِّ ما قرَّرَهُ أَهلُ العلمِ ، وثبّتُوه ، وأَصّلُوهُ ، واتَّفَقُوا عليه : لَهُوَ بابٌ يَفْتَحُ على الدِّينِ والعقيدةِ شَرًّا مُستطيرًا ، وأَثرًا خطيرًا ؛ **إذ قد يَلِجُهُ مَن رَقَّ دينُهُ ، وطاشَ يقينُهُ** :

قالَ الإمامُ المُبَجّل أَحمد بنُ حنبلٍ - رحمه اللهُ تعالى - :

« وَمَن زَعَمَ أَنَّه لا يرى التقليد ، ولا يُقَلِّد دينَه أَحدًا[١] : فهو قولُ فاسقٍ عند اللهِ ورسولِه ﷺ ، **إنّما يريدُ بذلك إبطالَ الأَثَرِ ، وتعطيلَ العلمِ والسنّة ، والتفرُّدَ بالرأيِ ، والكلامِ ، والبدعةِ ، والخلافِ** »[٢].

(١) وهذا كلامٌ دقيقٌ جدًّا ، فليتأمَّلْه الناظرُ بدقّةٍ ؛ إذ ليس فيه إباحةٌ للتقليد كما قد يُتَوَهَّمُ ، ولكنْ فيه نقْضٌ لمن تستّر بردِّ التقليدِ تغطيةً لسوءِ طويّتِهِ المُنكِرة للحقائق الشرعيّةِ الثابتةِ في السنّةِ النبويّة ، إذ « الإمامُ [رحمه الله] أكثر الأَئمّة جمعًا للسنّةِ وتمسُّكًا بها »[أ] ، وهو القائل : « لا تقلّد دينَكَ أَحدًا من هؤلاءِ ، ما جاء عن النبيِّ ﷺ وأَصحابِه فَخُذْ به ، ثمّ التابعين - بَعْدُ - الرَّجلُ فيه مُخَيَّرٌ »[ب] .

(٢) « طبقات الحنابلة » (١ / ٥٥) للقاضي ابن أَبي يَعْلَىٰ .

....

(أ) « صفة صلاة النبيِّ ﷺ » (ص ٥٢) لشيخنا الأَلبانيّ .

(ب) « مسائل الإمام أَحمد » (ص ٢٧٦) لأَبي داود .

* وانظر ما سيأتي عنه هنا (ص ٥٥) .

وإنَّ تلكم الدعاوى - أيضًا - لا يجوزُ أن تكونَ سَبَباً لِفَتْحِ طريقٍ مُشْرَعٍ أمامَ مَن هبَّ ودَبَّ ليقولَ من شاءَ ما شاءَ ، مُلَبِّسًا تارةً ، ومُزَخْرِفًا أُخرى !!

وكذلك لا يجوزُ أن تكونَ سبيلًا يُرَدُّ به كلامُ الأَثباتِ مِن العلماءِ بكلامِ مَن هو دونَهم - ممَّن لا يُطاولُ دينَهم - من أُولئكَ الَّذين يتلمّسونَ وجودَهم بتَقْزيمِ مخالفيهم ، وتَحْجيمِ مُعاكسيهم !!

وإنَّ (مُحاولةَ) إقناعِ النفسِ برفضِ التقليدِ ، ونَبْذِ (التبعيّة) لهي مِحاولةٌ قَذِرَ الشيطانُ أن يَجُرَّ إلى شِباكِهِ فيها عددًا مِمَّن كانَ يُظَنُّ بهم الخيرُ .. فأَنكروا ، ورَدُّوا ، ووهّموا ، وسَفَّهوا ، وغلَّطوا .. و (لكن) عند التحقيقِ : إذا هم تاركونَ لاتِّباعِ قولِ الكُبَراءِ الكبراءِ ، مُنْجَرُّونَ وراءَ تقليدِ أَعمى لِمَنْ لا (يَكادُ) يُحْسِنُ شيئًا مِن الصُّغَراءِ أَو الحُدَثاءِ ..

أَوردها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِل ما هكذا تُوْرَدُ يا سعدُ الإبل

.. **إنَّ المنهجيّةَ العلميّةَ ، والتحقيقَ العلميَّ كلماتٌ غاليةٌ ، لكنْ عليها ضريبةٌ عاليةٌ ، فكيفَ تُقْبَلُ مِمن يطيرُ ولَمَّا يُرَيِّش ؟!**

فلا يجوزُ البتةَ بمُجَرَّدِ دعاوىٰ رَدِّ التقليدِ - وهي في الظاهِرِ مقبولةٌ سائغةٌ - أَن نهدمَ أُصولًا ، أَو أَن نَردَّ قواعدَ ، أَو نُسَفِّهَ مُسَلَّماتٍ ، أَو نُشَكِّكَ بحقائقَ ..

ولكنْ ... التوفيقُ بيدِ اللهِ سبحانَه وتعالى ..

وأخيرًا :

إنَّ القولَ في (هؤلاء) الخارِجينَ عن منهجِ أَهلِ السنّةِ ، - مُتلفِّعينَ بغطاءِ التحرُّرِ والتَّحْقيقِ - طويلٌ سابِغٌ ، وكثيرٌ دامِغٌ ، لكنَّ ما ذكرتُهُ هنا - في هذا المَقامِ - يَكْفي ، وَبِبَيَانِ الحَقِّ - بمنَّةِ اللهِ - يُوفي ...

ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ ..

وإنِّي لَأَكْتُبُ دراستي هذه وأَمامَ نَوَاظري قولُ أَهلِ العلمِ في آدابِ المناظرةِ والمجادلةِ ؛ أَنَّ « أَوّل شيءٍ فيه ممّا على الناظرِ : أَن يقصدَ التقرّبَ إلى اللهِ سبحانَه ، وطلبَ مرضاتِه في امتثالِ أَمرِه - سبحانَه - فيما أَمرَ به من الأَمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ ، والدعاءِ إلى الحقِّ عن الباطلِ ، وعمّا يخبرُ فيه ، ويبالغُ قدرَ طاقتِه في البيانِ والكشفِ عن تحقيقِ الحقِّ ، وتمحيقِ الباطلِ ، ويتقي اللهَ أَن يقصدَ بنظرِه المباهاةَ ، وطلبَ الجاهِ ، والتكسّبَ ، والمماراةَ ، والمحْكَ ، والرياءَ ، ويحذرَ أَليمَ عقابِ اللهِ - سبحانَه - ، ولا يكنْ قصدُه الظَّفَرَ بالخصمِ والسرورَ بالغلبةِ والقهرِ »[1] .

---

(١) « الكافية في الجدل » (ص ٥٢٩) لإمام الحرمين .

(تنبيهٌ مهمٌّ) : كنتُ قد أَعرضتُ - عند تأليفي الكتابَ بصورتِهِ الأُولى - عن التصريح بأَسماءِ بعضِ الذين تعرّضتُ لنقدِهم أَو الرَّدِّ عليهم ، ومشيتُ على ذلك في مُراجعاتي المتكررة له .

ثمّ ... رأيتُ أَنَّ واجبَ أَداءِ الأَمانةِ ، وتمامَ نُصحِ الأُمّةِ : يقتضي الكشفَ والبيانَ ؛ حتى لا يغترَّ أَحدٌ من العامّةِ بتلبيسِ مُلبِّسٍ ، أَو تدليسِ مُدلِّسٍ ، واللهُ سبحانَه يقولُ : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتمونَه ﴾ .

فاللهَ أَسألُ أَنْ يُسَدِّدَ قَلَمي ، ويُثَبِّتَ قَلْبي ، ويزيدَ عِلْمي وعَمَلي .

وأَسأَلُهُ سبحانَه الهداية والتوفيق ، لأَقومِ طريق .

وآخرُ دعوانا أَنِ الحمدُ اللهِ ربِّ العالمين [1] .

وكتبه
أَبو الحارث الحلبيُّ الأَثريُّ
عفا اللهُ عنه
بمَنِّه

بعد صلاة فجر يوم السبت

١٣ / جمادى الأولى / ١٤١٦ هـ

---

(١) وكنتُ - قَبْلُ - قد سمَّيتُ هذا الكتابَ : « **الصَّرْع بينَ بُرهان الشرع وأَوهام المُنَع** » ، لكن اقترحَ عَلَيَّ فضيلةُ الشيخ بكر بن عبدالله أَبو زيد - حَفظَه اللهُ ونَفَعَ به - تغييرَه إلى ما أَثبتُّه ؛ وقد فعلتُ ، فجزاه اللهُ خيرًا .

وإِنِّي لأَشْكُرُ - هُنا - عَدَدًا مِن أَهلِ العلمِ ، وطُلّابه ، والحريصين على المعرفة ؛ الذين قرؤوا كتابي هذا قبلَ طباعتِه ، وأَفَدْتُ من بعض ملاحظاتِهم وتنبيهاتِهم ، مثل الأَخ الكبير الدكتور عمر سليمان الأَشقر ، والأَخ الشيخ محمد موسى نصر ، والأَخ الفاضل نظام سكجها ، والأَخ الشيخ محمد شكور امرير ، وغيرهم .



١ - مدخل

قالَ العلّامةُ الشيخُ محمد جمال الدين القاسميُّ رحمهُ اللهُ تعالى في كتابِه « مذاهب الأَعراب وفلاسفةِ الإسلامِ في الجنِّ » [1] (ص ٣) ما نصُّهُ :

« لِيُعْلَمْ أَنَّ مِن المسائلِ الجديرةِ بالعنايةِ ، وبذلِ الجهدِ للوقوفِ على مَا قيلَ فيها وكُتبَ عنها (مسألة الجنِّ) ؛ فقد تنوَّعت في شأنِها المشاربُ ، وتعدّدت في مباحثِها المذاهبُ ، وكان للأَعرابِ معها في الجاهليّةِ مَخايلُ .

ولها في كلِّ عَصْرٍ **نَغَماتٌ جديدةٌ** [2] ، وعجائبُ ؛ ولا غَرْوَ ؛ فهي من

---

(١) وهو مطبوع سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، في مطبعة المقتبس ، بدمشق الشام .

(٢) كمثل النغمةِ الّتي دَفَعَتْني (اليوم) لكتابةِ هذه الرسالةِ !!

وقبل عدّةِ عقودٍ اشتهرت بينَ النّاسِ (نغمةٌ) أُخرى - أَطفأَ اللهُ نارَها - وهي ما سُمِّيَ حينذاك بـ « تحضير الأَرواح » - زعموا - ، مع أَنَّه - في الحقيقة - من تلاعبِ الجنِّ بالإنسِ ، وصنائعهم المتكاثرةِ في العَبَثِ بهم .

انظر في نقض ذلك وردّه « تحضير الأَرواح بينَ الحقيقة والخداع » (ص ٤٧ - ٥٤) للدكتور محمد أَحمد الخطيب .

وقد أَقَرّ بهذا البيان الشيخُ محمد الغزاليّ (!) في كتابِه « ركائز الإيمان بين العقل والقلب » (ص ٣٨٣) ، ولكنّه - بَعْدُ - غَيَّر .. وتَغيّر .. !

وقارن بما سيأتي (ص ١١١) .

وفي المسألةِ كلامٌ كثيرٌ موضعُهُ كتابي الكبير « كفاية المُطمئنّ .. » ، يسّر اللهُ تمامَه .

أَقدمِ المسائلِ ، وأَرسخِها في الأَذهانِ ؛ إِذ دار اسمُها على كلِّ لسانٍ ، وَوَرَدَ ذِكْرُها في جميعِ (١) النِّحَلِ والأَدْيانِ .

إِنَّ مسألةً كمسألةِ الجنِّ ليست مِمّا تُدْرَكُ بِلَفْظَة ، أَو يُشارُ إِليها بِلَحْظَة ، حتّى لا يَرْفَعَ لها الحَشْويُّ (٢) رَأسًا ، ولا يُقيمَ لها الجامدُ وزنًا ، فلو ضُمَّت شوارِدُها ، وقُيِّدت أَوابدُها ، وانتظمتْ فرائدُها ؛ لَعُثِرَ على الجَمِّ من اللطائفِ الفائقةِ ، والنوادرِ الرَّائقةِ ، ممّا يملكُ السمعَ والبَصَرَ إِعجابُهُ ، ويرتفعُ عن القلبِ للإِصغاءِ حِجابُهُ » .

وقالَ العلّامةُ الشيخُ محمد الخَضِر حُسَين - رحمه اللهُ - في كتابِهِ الماتع « نَقْض كتاب : في الشعر الجاهليّ » (ص ١٩٢ - ١٩٥) ردًّا على (أَسلاف) مُنكري المسّ والتلبُّس الّذين ليسوا بعيدين (!) عن إِنكار الجنِّ (٣) نفسِهِ ، تأويلِ نصوصهِ :

« وجودُ الجنِّ حقيقةٌ دلَّت عليها الآياتُ المحكماتُ ، وليس في استطاعةِ

---

(١) وقع في « الأَصل » : « جماع » ، ولها وَجْهٌ .

(٢) كلمةٌ يُنْبَزُ بها مَن لا يُحْسِن ، ويُوصَفُ بها مَن لا يَدْري .

وقد يكونُ لذكرِها مقاصدُ أُخَرُ ، كما شَرَحَ ذلك شيخُ الإِسلامِ ابن تيميّة في كتابِه « بيان تلبيس الجهميّة » (١ / ٢٤٢ - ٢٤٥) .

(٣) « وإِنّني أَعلم بعضَ مرضى القلوب بالشكِّ يُجادلون اليومَ عَلَنًا في مسأَلة تلبُّس الجنّي بالإِنسيّ ، ويتحدّثونَ سرًّا في إِنكارِ الجنِّ ! لكنّهم لا يجرؤون على إِعلانِ ذلك الآن ! » .

« حوار هادئ مع محمد الغزاليّ » (ص ١٢٥) .

من لا يؤمنُ بهذهِ الآياتِ أَنْ يقيمَ دليلًا على نفيهم،ولو أَصبحتْ عقليّتُهُ غربيّة بحتة !

إِنَّ العقلَ وحدَه لا يستطيعُ أَن يُثبتَ كائنًا يقالُ له : الجنّ ، كما أَنَّه لا يستطيعُ نفيه بحجّة .

فوجودُ هذا الكائنِ خارجٌ في نفسِهِ عن حدِّ الواجبِ والممتنعِ ، وماذا بعدَ الواجبِ والممتنعِ إِلّا الإِمكان ؟! وما كانَ من قبيلِ الممكنِ في نفسِهِ قدِ يَدلُّ على تحققِهِ ما قامَ البرهانُ على صدقِهِ ، وهل بعدَ نبوّةِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ من برهان !

وإِنْ شئتَ مزيدَ غَوْصٍ في هذه النظريّة فإِليك السبيل :

إِنَّ للعلمِ الذي يعبّر عنه باليقين مَعْنَيَيْنِ :

أَحدهما : ما ثبت على وجهٍ لا يُجيزُ العقلُ خلافَه ، ولو في صورةِ الاحتمالِ المجرَّدِ ؛ كالاعتقادِ بأَنَّ الكلَّ أَكبرُ من الجزءِ ، وأَنَّ لهذا العالمِ صانعًا حَكيمًا ، فكلُّ ما يتهافتُ من الاحتمالاتِ المخالفةِ لهذا الاعتقادِ يجدُ من الدَّلائلِ النظريّةِ ما يطردُهُ ولا يُبقي في ساحةِ التعقّلِ باقيّةً .

ثانيهما : اعتقادٌ بأَمر لا يقومُ في جانبِ خلافِهِ احتمالٌ يستندُ إِلى مأخذِ دليلٍ أَو أَمارةٍ ، ولكنَّ الاحتمالاتِ المجرَّدةَ عن المقتضياتِ ليس للعقلِ قوّةٌ في دفعِها .

وتجرُّدُ الاحتمالِ المقابلِ للمعلومِ من الدَّلائلِ والأَماراتِ لا يكفي في

امتناعِ وقوعِهِ ، وجَعْلِ هذا المعلومِ أَمرًا لا يتحوّلُ أَو يطرأُ عليها تغيير ، بل لا بدَّ من إِقامةِ دليلٍ خاصٍّ على أَنَّ هذا الأَمرَ المعلومَ أَمرٌ حتمٌ ، وأَنَّ خلافَه ضَرْبٌ من المُحالِ الذي لا تَتَصَوّرُ العقولُ وقوعَه بوجهٍ .

واليقينُ بالنظرياتِ التجريبيّةِ لا يخرجُ عن هذا النوعِ الذي لا يرتفعُ عنه إِمكانُ التغييرِ ، بل قد تغيّرُهُ يدُ الإِبداعِ عندما تريدُ إِقامةَ المعجزةِ على سنّةٍ غيرِ مألوفةٍ .

أَتى على الإِنسانِ حينٌ من الدَّهر ، وهو يعتقدُ أَنَّ الضياءَ الساطعَ في ظلامِ الليلِ لا يكونُ إِلّا من طلعةِ القمرِ أَو من لهبِ النَّارِ ، فإِذا آنسَ تحتَ جناحِ الليلِ نورًا يتأَلّقُ بمكانٍ بعيدٍ ، لم يَرْتَبْ في أَنَّه بهرةُ قمرٍ أَو شعلةُ نارٍ ، وهذا الاعتقادُ لا يبلغُ في اليقينِ درجةَ اعتقادِهِ بأَنَّ العَرَضَ - كالحمرةِ والبياض - لا يستقلُّ بنفسِهِ ، فإِنَّ هذا الاعتقادَ الأَخيرَ مبنيٌّ على أَنَّ ماهيَّةَ العَرَضِ تقتضي بطبيعتِها أَلّا تبرزَ إِلى الخارجِ إِلّا في محلٍّ وهو الجُرْم ، فيدرك العقلُ بالضرورةِ أَنَّ البياضَ أَو السوادَ لا ينفردُ عن المادّةِ ، ويقضي بذلك قضاءً لا يحومُ حولَه احتمالٌ ، وأَمّا يقينُهُ بأَنَّ ذلك الضياءَ نارٌ أَو قمرٌ فقائمٌ من التجربةِ فقط ، فلا يخلو من احتمالِ أَنْ يكونَ الضوءُ غيرَ قمرٍ أَو نارٍ ، إِلّا أَنّه احتمالٌ لم يكن له في العهدِ المتقدّمِ وجهٌ من النَّظرِ حتّى يحلَّ من اليقينِ الذي عَقَدَتْه التجربةُ ، وقد أَصبحَ ذلك الاحتمالُ اليومَ متحققًا في العيانِ ، حيثُ انضمَّ إِلى القمرِ والنارِ عنصرٌ من عناصرِ الإِنارةِ وهي الكهرباءُ .

فلو لم يخترع الفيلسوفُ التنويرَ بالنَّار ، وكانَ فيما نُقل من معجزاتِ

الرُّسل إنارةُ بعضِ الأَجرامِ من غيرِ أَنْ تمسَّه النّارُ ، لقالَ الذين في قلوبِهم مَرَضٌ : الإِنارةُ إِنّما تنشأُ من لهبِ النّارِ ، ولا سبيلَ إِلى تحققِ الأَثرِ متى فُقد سببُهُ !!

زعمَ بعضُ المرتابين في المعجزاتِ (١) أَنَّ قطعَ المسافةِ البعيدةِ كما بينَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأَقصى في ليلةٍ واحدةٍ أمرٌ لا يحتملُهُ الإِمكانُ ، ولا يتقبّلُه العقلُ ، ولو ناظَرْتَهم في وجهِ الامتناعِ عقلًا لم يكنْ منهم سوى أَن يُحيلوكَ على المشاهدةِ ، ويقولوا : إنّا نَرى أَنَّ أَسرعَ الأَجسامِ تنقُّلًا يقضي في قطعِ تلك المسافة ليالي وأَيّامًا !! وهذا الأَمرُ الذي كانوا يذكرونَه بوصفِ المُحالِ (٢) قد كَشَفَ العلمُ الصحيحُ عن إِمكانِه ، وأَخرجَه للناسِ في جملةِ الكائناتِ المُبصِرةِ ، وإذا تمكّنَ المخلوقُ باختراعِ الطيارةِ أَنْ يجعلَك تقطعُ المسافةَ البعيدةَ في مدّةٍ وجيزةٍ ، فماذا يكونُ شأنُ قدرةِ الخالقِ التي هي أَبدعُ تقديرًا وأَحكمُ صنعًا ؟!!

وكانَ أَشباهُ الفلاسفةِ يعتقدونَ أَنَّ الوزنَ من خصائصِ ما يوصفُ بالخفّةِ والثِّقَلِ من الأَجسامِ ، وقالوا : لا نفهمُ لوزنِ الأَعراضِ معنى ، إِذ ليسَ من المعقولِ تناولُها من معروضاتِها ووضعُها في كفّةٍ ترتفعُ تارةً وتنخفضُ مرّةً أُخرى !! وما راعهم إِلّا أَنْ صَنَعَ الفيلسوفُ ميزانَ الحرارةِ والبرودةِ ، وأَراهم أَنَّ

(١) وكثيرٌ من **الغيبيّاتِ** المنقولةِ بالسنّةِ النبويّةِ الصحيحةِ ، وعليها انعقَدتْ كلماتُ أَئمّة العلمِ قديمًا وحديثًا .

(٢) أَو الأُسطورة !!

وزنَ الأَعراضِ من قبيلِ الممكناتِ ، وأَنَّ للوزنِ طُرقًا غيرَ ما تعرفُهُ الباعةُ في الأَسواقِ !!

يَهُونُ علينا أَنْ يقفَ عُبّادُ الطبيعةِ موقفَ المطالبِ ببرهانٍ على وُجودِ الخالقِ أَو إِثباتِ الرِّسالةِ ، ولكن الذي يثيرُ العجبَ في نفوسِنا ويحشرُهم في زمرةِ المستضعفين من الرِّجالِ والولدانِ أَنْ يخرجوا في زيِّ الفلاسفةِ ، ويمسحوا أَلسنتَهم بطلاءٍ من المنطقِ ، ثمَّ لا يلبثوا أَنْ يصِفوا كُلَّ ما لا تنالُهُ حواسُّهم بكونِه مُحالًا [١] ، ويزعموا أَنَّ صَدْرَ الفلسفةِ يضيقُ عن احتمالِهِ ، كأَنَّ دائرةَ الإِمكانِ والفلسفةِ لا تسعُ إِلّا ما يَرِدُ إِليها من طريق الحسِّ والتجربةِ [٢] .

كشف فيلسوفُ هذا العصر الغطاءَ عن كثيرٍ من الحقائقِ التي كانت أَذنابُ الفلاسفةِ تُعَجِّلُ إِلى إِنكارِها ، ولا تبالي أَن تلقبَه باسمِ ما لا يكونُ ! » .

... كالأُسطورةِ ، والمُستحيلِ ، والخُرافةِ ، ونحو ذلك !!

وما هذا كلُّه إِلّا انعكاساتُ أَذهانِهم ، وتقلُّباتُ أَهوائِهم !!

قلتُ : فليس الأَمرُ سهلًا كما يتصوَّرُهُ الأَجْرِياءُ ، وليسَ يسيرًا كما قد يتخيَّلُهُ الأُجَراءُ ، بل هو صَعْبٌ شديدٌ ، وصَلْبٌ عَنيدٌ ، لا يَلِجُ بابَه إِلّا من طَرَقَ الحَقُّ أَبوابَه .

---

(١) أَو أُسطورةً !!

(٢) وهذا - وحدَه - كافٍ لنقضِ كلِّ دعوىٰ يدَّعيها مُلَبِّس ، أَو يفتريها مُدَلِّسٌ ؛ واصفًا بعضَ (العقائد) الّتي لم (يستوعبها) عقلُهُ - نَعَم ؛ عقلُهُ - بأَنَّها مستحيلةٌ ، أَو أُسطورةٌ !!!

٢ - كلمةٌ لا بُدَّ منها

قد يَدفعُ الغُلُوُّ في بعضِ الأُمورِ وتعظيمُها نَفَرًا من النّاسِ إلى التقصيرِ فيها وإِهمالِها ، بل إِلى ردِّها وإِنكارِها :

وما نحنُ بصددِ تحقيقِ القولِ فيهِ مثالٌ ظاهرٌ على هذا الأَصلِ :

فقد صارَ (اليومَ) - عندَ البَعْضِ - مَن في رأسِهِ (صُداعٌ) ملبوسًا ؛ ومَن في عَيْنَيْهِ (احْمِرارٌ) مَصْروعًا ، ومَن في بَطنِه (وَجَعٌ) مجنونًا !!

فأَيُّ وَجَعٍ أَو أَلم يُصابُ أَيُّ إِنسانٍ به يُعْزىٰ باشتباهٍ حِينًا ، وبجهلٍ - أَحيانًا - إِلى الجنِّ ، أُو المَسِّ ، أَو الصَّرْع !!!

وهذا كلُّهُ تعجُّلٌ مَذْمومٌ ليسَ له في الحقِّ وَجْهٌ ، ولا في التعقُّلِ مكانٌ ؛ وهو - على ما أَرى - الشيءُ الّذي جَعَلَ بعضَ (النّاسِ) يُنكرونَ - بسببِهِ - الصَّرْعَ ، والمَسَّ ، وتلبُّسَ الجنِّي الإنسيَّ ، بل دَفَعَهم إِلى ذلك دفعًا شديدًا ، وبقوَّةٍ وإِصْرارٍ ؛ إِذ إِنّهم رَأَوْا الحالاتِ الكثيرةَ من دَعاوى (الملبوسين) و (المصروعين) تَتْرى مُتهافِتَةً على نحوٍ لم يشهدوا له مثالًا مِن قبلُ !!!

وَرَأَوْا - أَيضًا - تصرُّفاتِ كثيرٍ من المُعالجينَ والرَّاقِينَ [١] قد خَرَجَتْ عن

---

(١) وبعضُهم يتَّخِذُ هذا الصَّنيعَ مهنةً ، يتأكّلُ مِن ورائِها ! وهذا شأنٌ فيه نَظَرٌ كبيرٌ . =

حَدِّ الشرعِ ، مُخالفِين هَدْيَ السُّنَّةِ الصحيحةِ ، مُتَّكِئينَ في كثيرٍ مِن ذلكَ على المُجَرَّبات (١) ، أَو الأَحاديثِ الواهيات ، فَجمعوا بسببِ ذلك المالَ ، وحازوا الشهرةَ ، ونالوا الصِّيتَ !!!

وهذا الصنيعُ من المُعالِجينَ ، وذاكَ التَّهافُتُ من المُدَّعينَ - أَو المصروعينَ - جَعَلَ البَعْضَ يتوقَّفُ في إِثباتِ أَصلِ المسأَلةِ ويتردّدُ فيه ، و (يتلمَّسُ) الشبهاتِ التي يردُّها بها ، غيرَ آبهٍ لقالاتِ العلماءِ ، ولا مُلْتَفِتٍ إِلى شهاداتِهم وأَخبارِهم ...

ومِن عَجَبٍ أَنَّ هذا (التلمُّسَ) - **المُوصِلَ أَحيانًا إِلى حدِّ الاخْتراعِ والاصطناعِ** - وذاك (التوقُّف والتردُّد) - المؤدِّي إِلى الشكِّ والرِّيَبِ - يجيءُ بثوبِ العلم ، ويأْتي بِلَبُوسِ رَدِّ التقليدِ ، حتّى لو أَدّى ذلك إِلى اتّهامِ جماهيرِ العُلَماءِ والأَئمّةِ بذلك ! كما قاءَ كاتبُ « الأَسطورة .. » (ص ٥٣) :

= وانظر في حكمِ ذلك كتاب « الرُّقىٰ على ضوءِ عقيدةِ أَهلِ السنّةِ » (ص ٧٦ - ٨٩) للأَخ الفاضل علي نفيع العلياني ، فهو مفيدٌ .

(١) « وليسَ ذلكَ بشرعٍ فَيُتَّبعَ ، ولا سُنَّةٍ ، وإِنّما يَثْبُتُ استحبابُ الأَفعالِ ، واتُّخاذُها بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِه ﷺ ، وما كانَ عليه السابقونَ الأَوّلونَ .

وما سوى ذلك مِن الأُمورِ المُحْدَثةِ فلا يُسْتَحَبُّ ، **وإِنِ اشْتَمَلَتْ أَحيانًا على فوائدَ** ، لأَنّا نعلمُ أَنَّ مفاسدَها راجحةٌ على فوائدها » .

« اقتضاء الصراط المستقيم » (ص ٣٥٠) لشيخ الإسلام ابن تيميّة .

وقالَ فضيلةُ الأَخ الكبير الشيخ صفوت نور الدين - حفظه المولى - في مقالِهِ « حول الجنّ وتلبيسه » في مجلّة التوحيد المصريّة / عدد : ٨ / السنة الرابعة والعشرون / ص : ١٨ : « التجربة إِنّما تصلحُ في الماديّات التي يمكنُ ضبطُ عواملِها ، والتحكُّمُ في مُتغيِّراتِها » .

« **وأكثرُ** العُلَماءِ في **جميعِ** العصورِ **مُبتَلَوْنَ بالتقليدِ** لمن سَبَقَهم ، ذلك أنّهم **يَخْشَوْنَ** أن يُناقِشوا ما أَجمعَ **جمهورُهم** عليه ، **للرّهبةِ** التي كانت تتسلَّطُ عليهم بمخالَفَةِ الدينِ ، وشرائعِ الإسلامِ ، والزندقةِ ، وغيرِها » !

ثمّ قال : « **وقَلَّ** أن تَجِدَ فيهم مَن يُناقِشُ المسائلَ **بتجرُّدٍ** علميٍّ قائمٍ على مُعالَجَةِ النُّصوصِ معالجَةَ الدليلِ والبُرهان ، **والفَهْمِ** الذي لا يقودُه إليه **التقليدُ** » !!

أَقولُ : فأَنتَ ترىٰ طَيَّ هذهِ السُّطورِ (القليلة) اتّهامَ (أَكثر) أَهلِ العلمِ والأَئمّةِ – على مَرِّ العصورِ [1] – بأَلْوانٍ من التُّهَمِ (الكبيرة) ، أَصْرَحُها : **التقليدُ ، والجُبْنُ ، وعَدَمُ النزاهةِ ، وقلّةُ الفَهْمِ !!**

فهذا – عندَه – شأْنُ العُلَماءِ !

فما هو – إذنْ – حالُ مَن لا يَصِلُ رأسُهُ إلى ظِلِّهِم ، ولا يَقْرُبُ (تيقُّظُهُ) مِن سَهْوِهم ؟!

ولقد نبَّهني بعضُ أَفاضلِ أَهلِ العلمِ – ممّن قرؤوا الكتابَ وانتفعتُ بملاحظاتِهم – أَنَّ قولَ صاحبِ « الأُسطورةِ » : « وقلَّ أَنْ تجدَ فيهم مَنْ يُناقشُ المسائلَ بتجرُّدٍ علميٍّ ... » إلى آخرِ كلامِه : يُشيرُ به إلى نفسِه (!) وأَنّه مِن هذا القليلِ المتجرِّدِ (!) ذوي الفهمِ (!) البعيد عن التقليد (!) ...

إنَّ الموقفَ الحقَّ مِن أَهلِ العلمِ هو إعطاؤُهم قَدْرَهم ، وتنزيلُهم

---

(١) على حدِّ تعبيرِه !

مكانتَهم ، مِن غيرِ تكثُّرٍ عليهم بالهُجْرِ من القولِ ، والباطلِ من التُّهَمِ ، مع هَضْمِ النفسِ ، واتِّهامِ الرَّأْيِ ...

أَمّا أُولئكَ (المدَّعون) [1] أو (المصروعون) أَو (المعالِجون) جميعًا ؛ فَتُنْظَرُ أَحوالُهم ، وتُقاسُ على الشَّرعِ أَفعالُهم ، فَيُرَدُّ منها ما لا يُوافقُ الكتابَ والسّنَّةَ - وهو كثيرٌ - ، ويُسَدَّدُ منها ما انحرفَ عن جانبِ الحقِّ والصوابِ بمقدارِهِ ، وهو كثيرٌ أَيضًا .

.. **لكنْ لا تدفعُنا تلكَ المخالفةُ أَو ذاكَ الانحرافُ إِلى شيءٍ مِن التشكيكِ .. أَو الإِنكارِ ... أو الرَّدِّ لأَصلِ المسألةِ ثُبوتًا واعتقادًا .**

هذا هو المنهجُ الوَسَطُ الحقُّ - إِن شاءَ اللهُ - ابتدأتُ بذكرِهِ تنبيهًا وإِعلامًا ، **حتّى لا تختلطَ المفاهيم** ، وحتّى لا تتداخَلَ المعايير .

واللهُ هو العليُّ الكبير ..

ثمَّ رأيتُ كلمةً جامعةً لشيخنا العلّامة المحقِّق محمد ناصر الدِّين الأَلبانيّ حفظه اللهُ ونفع به في كتابه الجديد « تحريم آلات الطرب » (ص ١٦٦ -

(١) وأَدعياءُ الجنِّ والصَّرْعِ ونحوِ هذا كثيرونَ ، ومنذ قرون ، ومع ذلك فلم تَدْفَعْ دعاواهم أَئمّةَ العلمِ لإِنكار الجنِّ والصَّرْعِ ، بل دَفَعَتْهم لإِنكارِ المخالفاتِ الواقعةِ في هذا الأَمرِ ؛ ففي « التِّبر المَسْبوك في ذَيْل السلوك » (ص ١٠٩ حوادث سنة ٨٥٠ هـ) للسَّخاويِّ ، في ترجمة محمد بن داود بن فُتوح السُّلَميّ ، قال : « .. وكانَ في مبدءِ أَمرِه كثيرَ اللَّهْجِ بعلمِ الرُّوحانيّ ، ويدَّعي أَنّه يستحضرُ الجانَّ ، ويصرعُ من أَرادَ ، فكانَ مَن يعزمُ عليه ينصرعُ عمدًا ليُضْحِكَ الحاضرينَ من اعتقادِ هذا أَنَّ ذلك بعزيمتِه ، وتكرَّرَ ذلك فصارَ يُعْتقَد ، وسُمِّيَ شيخَ الجنِّ .. » !!

تحت الطبع) قال فيها :

« لقد أَنكر بعضُ المعاصرين عقيدةَ مسِّ الشيطانِ للإِنسان مسًّا حقيقيًّا ، ودخولِه في بدنِ الإِنسانِ ، وصرعِه إِيّاه ، وأَلَّفَ بعضُهم في ذلك بعضَ التأليفاتِ ، مموِّهًا فيها على النَّاسِ ، وتولَّى كِبْرَه مُضَعِّفُ الأَحاديثِ الصحيحةِ في كتابِه المسمَّى بـ « الأُسطورة » ! ، وضعَّفَ ما جاءَ في ذلك من الأَحاديث الصحيحةِ - كعادته ، ورَكَنَ هو وغيرُه إِلى تأويلاتِ المعتزلةِ !!

واشتطَّ آخرون ؛ فاستغلّوا هذه العقيدةَ الصحيحةَ ، وأَلحقوا بها ما ليسَ منها ممّا غيّرَ حقيقتَها ، وساعدوا بذلك المُنكِرين لها ! واتخذوها وسيلةً لجمعِ النَّاسِ حولَهم لاستخراجِ الجانِّ من صدورِهم بزعمِهم ، وجعلوها مهنةً لهم [١] ، لأَكلِ أَموالِ النَّاسِ بالباطلِ ، حتّى صارَ بعضُهم من كبارِ الأَغنياءِ ، والحقُّ ضائعٌ بينَ هؤلاءِ المبطلين وأُولئكَ المُنكرين » .

أَقولُ : وهو كلامٌ جامعٌ نافعٌ .

□ □ □ □ □

(١) وإِنّي لم أُقِم كتابي هذا رَدًّا على ضلالاتِهم ، وهَتْكًا لدجلِهم وخُرافاتِهم ، وإِنّما جعلته - في الأساس - نقضًا لشبهاتِ المُنكرين ، وتَقْعيدًا لأَصلِ المسألةِ على وجهٍ علميٍّ مُنضبِطٍ .

ومع ذلك لم أُخْلِ كتابي مِن إِشاراتٍ عدّةٍ تكشفُ زيوفَهم ، وتنقضُ دعاوِيَهم .

وللتوسُّع في الرّدِّ على (هؤلاءِ) يُنظر كتاب « النَّذير العُريان لتحذيرِ المرضى والمُعالجين بالرُّقى والقرآن » للأَخ فتحي الجندي ، فهو جدّ نافع في بابِه .



٣ - تعريفُ الصَّرْعِ (١) والمَسّ

○ **لُغةً** : هو الطَّرحُ بالأَرضِ ؛ وهو علّةٌ معروفةٌ ، والصَّريعُ : المجنون .

كذا قالَ ابنُ منظورٍ في « لسانِ العَرَبِ » (٨ / ١٩٧) .

○ **وعُرِّفَ قديمًا بأَنَّه** : علّةٌ تمنعُ الأَعضاءَ النفيسةَ عن أَفعالِ الحرَكةِ والحِسِّ والانتصابِ منْعًا غيرَ تامٍّ .

كما في « القانون في الطبِّ » (٢ / ٧٦) لابن سينا .

○ **وتعريفُهُ في الطبِّ الحديث** هو : « نوباتٌ تصيبُ بعضَ النَّاسِ نتيجةَ خللٍ مؤقتٍ في وظيفةِ الجهازِ العصبي ، وما يظهرُ على مريضِ الصَّرْعِ ليس سوى النتيجةِ النهائيّةِ لهذا الاضطرابِ ، فقد يفقدُ الوعيَ بما حولَه ، أَو يسقطُ بصورةٍ مفاجئةٍ في أَيِّ مكانٍ ، أَو تظهرُ عليه أَيُّ علاماتٍ غريبةٍ ، أَو يقومُ ببعضِ الحركاتِ دونَ أَن يدري في الوقتِ الذي يكونُ فيه تحتَ تأْثيرِ النوبةِ » (٢) .

---

(١) بسكونِ الرّاءِ .

(٢) « مَرض الصَّرْع : الأَسباب ، المشكلة ، العلاج » (ص ٩) للدكتور لطفي عبدالغني الشربيني ، اختصاص طبّ النفس في بريطانيا .

○ أَسبابُه الطبيّة :

قال الأُستاذُ زُهدي المصري [١] :

« **الأَسبابُ المعروفةُ للصَّرْعِ لا تتجاوزُ نسبةَ ٢٠٪ من الأَسبابِ ، والنسبةُ الباقيةُ من الأَسبابِ غيرُ معروفةٍ لحدِّ الآنِ** » .

أَقولُ : وهذا - تمامًا - يتوافقُ مع الكلامِ **القيِّم** [٢] الذي ذكره الإِمامُ **ابنُ القيِّم** رحمه اللهُ تعالى قبلَ أَكثرَ من سبعةِ قرون في كتابِه **القيِّم** « زاد المعاد » (٤ / ٦٦ - ٧٠) ، حيثُ قال :

« الصرْعُ صرعانِ : صرْعٌ من الأَرواحِ الخبيثةِ الأَرضيّةِ ، وصرعٌ من الأَخلاطِ الرديئةِ ، والثاني هو الذي يتكلّمُ فيه الأَطبّاءُ في سببِهِ وعلاجِه .

وأَمّا صرْعُ الأَرواحِ ؛ **فأَئمّتُهم وعُقَلاؤهم يعترفونَ به ، ولا يدفعونَه** [٣] ، ويعترفونَ بأَنَّ علاجَه بمقابلةِ الأَرواحِ الشريفةِ العُلويّةِ لتلكَ الأَرواحِ الشِّرِّيرةِ

---

(١) وهو اختصاص تربية خاصّة ، في مقالٍ له في جريدة الرأي الأُردنيّة بتاريخ : ١٤ / ٤ / ١٩٩٥م ، حول (الصَّرْع) .

(٢) ومع ذلك يصفُهُ صاحبُ « الأُسطورة » (ص ٥٠) بأَنّه « غير علميّ ، يُعوزُه الدليل » !!

مع أَنّه (**تأبّطه**) -من قبلُ- في تعليقه على « رياض الصالحين » (ص ٤٦ - ٤٧) **مع عزوٍ مُوهِمٍ مجمَل** (!) ، ثمَّ نَكَصَ عنه في « الأُسطورة » (ص ٧٥) !!!

(٣) هذا نقلٌ وتقريرٌ ، وليس (اجتهادًا) مبنيًّا على الرأيِ ، وقابلًا للتخطئةِ ، كما توهّمه - وأَوهمه - البعضُ !!

الخبيثةِ ، فتُدَافِعُ آثارَها ، وتُعارِضُ أَفعالَها وتُبطلُها ، وقد نصَّ على ذلكَ بُقراط [١] في بعضِ كتبِهِ ، فذكرَ بعضَ عِلاجِ الصرع ، وقال : هذا إِنّما ينفعُ من الصرعِ الذي سببُهُ الأَخلاطُ والمادّةُ، وأَمّا الصَّرعُ الذي يكونُ من الأَرواحِ فلا ينفعُ فيه هذا العلاجُ .

وأَمّا جهلةُ الأَطبّاءِ وسَقَطُهم وسِفْلَتُهم ومَن يعتقدُ بالزندقةِ فضيلةً ، فأُولئكَ يُنكِرونَ صرعَ الأَرواحِ ، ولا يُقرُّونَ بأَنّها تُؤثّرُ في بدنِ المصروعِ ، وليس معهم إِلّا الجهلُ ، وإِلّا فليسَ في الصناعةِ الطبيّةِ ما يدفعُ ذلكَ ، والحسُّ والوجودُ شاهدٌ به [٢] ، وإِحالتُهم على غلبةِ الأَخلاطِ هو صادقٌ في بعضِ أَقسامِه لا في كلِّها .

وقدماءُ الأَطبّاءِ كانوا يُسمّونَ هذا الصرعَ : المَرَضَ الإِلٰهيَّ ، وقالوا : إِنّه من الأَرواحِ ، وأَمّا جالينوس وغيرُه فتأَوَّلُوا عليهم هذه التسميةَ وقالوا : إِنّما سمّوه بالمرضِ الإِلٰهي لكونِ هذهِ العلّةِ تَحدُثُ في الرأسِ ، فتضرُّ بالجزءِ الإِلٰهيِّ الطاهرِ الذي مسكنُهُ الدماغُ !

وهذا التأويلُ نشأَ من **جهلِهم** بهذه الأَرواحِ وأَحكامِها ، وتأثيراتِها ، وجاءت **زنادقةُ الأَطبّاءِ** فلم يُثبتوا إِلّا صرعَ الأَخلاطِ وحدَه .

ومَن لهُ عَقلٌ ومعرفةٌ بهذهِ الأَرواحِ وتأثيراتِها يضحَكُ مِن جهلِ هؤلاءِ وضَعْفِ عقولِهم » .

---

(١) وهو الملقَّب بـ (أَبو الطِّب) ، وانظر « عيونَ الأَنباءِ في طبقاتِ الأَطباءِ » (ص ٣) لابنِ أَبي أُصيبِعةَ .

(٢) وهذا - أَيضًا - نقلٌ وتقريرٌ ، فتأَمَّلْ .

أَقولُ : وهذا كلامٌ علميٌّ مُحرَّرٌ [١] ، مبنيٌّ على العلمِ بالشرعِ ، والمعرفةِ بالطبِّ ، والوقوفِ على الحِسِّ والمشاهَدَةِ .

وليسَ هو ككلامِ مَنْ يهرفُ بما لا يعرفُ ، فيخبطُ خَبْطَ عشواء ، فينسخُ - بل يمسخُ - في الصباحِ ما قرَّرَه في المساءِ ، كالّتي نقضت غَزْلَها مِن بعدِ قوّةٍ أَنكاثًا !!

○ وما يُقالُ في (الصَّرْع) يُقالُ في (**المَسّ**) ، فقد قالَ ابنُ منظورٍ في « لسانِ العربِ » (٦ / ٢١٨) :

« اسْتُعيرَ المسُّ للجنونِ ، كأنَّ الجِنَّ مَسَّتْهُ ، يُقالُ : بِهِ مسٌّ مِن جنونٍ » .

وقال الإمامُ الصَّغَانيُّ في مُعجمِه « العُبَاب » (ص ٤٢٧ / حرف السِّين) ، شارحًا (المَسَّ) الواردَ في آيةِ سورةِ البَقَرةِ :

« أَي : مِن الجنونِ ؛ يُقالُ : به مَسٌّ ، وأَلْسٌ [٢] ، ولَمَمٌ [٣] ، وقد مُسَّ فهو مَمْسوسٌ » .

وقالَ العلّامةُ محمد عبدالرؤوف المُناويّ في « التوقيف على مهمّات التعاريف » (ص ٦٥٥) : « **المَسُّ : مُلاقاةُ ظاهرِ الشيءِ ظاهرَ غيرِه** .. ،

---

(١) وقد نقل كلامَه ومَدَحَه غيرُ واحدٍ مِن أَهلِ العلمِ ؛ منهم العلّامة القاسميُّ في « محاسن التأويل » (٣ / ٧٠٣) ، ولخَّصه وأَيَّده الشوكانيّ في « نيل الأَوطار » (٨ / ٢٠٣) .

(٢) « اختلاط العقل ... والجنون » ، كما في « القاموس » (ص٦٨٢) .

(٣) قال **الزمخشريُّ** في « أَساس البلاغة » (ص ٥٧٤): « **وبهِ لَمَمٌ ولَـمّةٌ : مِن الجنّ** ».

وكُنِّيَ بالمَسِّ عن الجنونِ ، والمسُّ يُقالُ في كلِّ ما ينالُ الإنسانَ من أذى ؛ بخلافِ اللَّمْس » .

○ وفي الاصطلاحِ : « أذيّةُ الجنِّ للإنسانِ من خارجِ جسدِه ، أَو من داخلِه ، أَو منهما معًا ، **وهو أَعمُّ مِنَ الصَّرْعِ** » [١] .

أَقولُ : ومهما يكُن مِن أَمرٍ ، سواءٌ أَكانَ المسُّ أَو الصَّرْعُ ذا تأثيرٍ شيطانيٍّ يُصيبُ الإنسانَ مِن الداخلِ أَو مِن الخارجِ ؛ فإِنَّ كِلَا الصورتينِ يُنكرها المُخالفونَ المنكِرونَ ؛ فلا يجعلونَ للشيطانِ قُدرةً على الإنسانِ بأَكثرَ مِن الوسوسةِ [٢] ويُثبتُها المُقِرُّونَ الموافِقون ؛ فيُثبِتُونَ قُدرةً للشيطانِ على الإنسانِ تتعدّى الوسوسةَ إِلى الإِيذاءِ ، أَو التخبُّطِ ، أَو الإِيلام ، أَو الدخول .. ، فالمقصودُ هو ذاتُ التأثيرِ ، لا كيفيّته وطريقتُه ؛ إِذ القضيّةُ بمجملها غيبيّةٌ ، ليس للاجتهادِ والرَّأيِ فيها مَجَالٌ .

قالَ الأُستاذُ سيّد عبدالله حُسَين في كتابِه « الجِنّ في ذكر أَحوالِ الجنّ » (ص ٨٠ - ٨١) : تحت عنوان (علاقة التسلُّطِ والضَّرَر) :

« معلومٌ أَنَّ الجنَّ جبّارٌ بحسبِ خِلْقتِه ، قويٌّ ، يتسلَّطُ على الإِنسانِ ، ولو خُلّيَ سبيلُه إِليهِ لتخطَّفَه مِن على وجهِ الأَرضِ [٣] .

---

(١) « فتح الحقّ المبين في علاج الصرع والسحر والعين » (ص ١٦١) تأليف الدكتور عبدالله محمد الطيّار ، **تقديم ومراجعة سماحة أُستاذِنا العلّامة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله ونفع به .**

(٢) انظر ما سيأتي (ص ١١٨) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٣٢) .

واللهُ جلّت قدرتُه جعلَ للإنسانِ حَفَظَةً من ملائكتِهِ أَقوى من الجنِّ وأَقدرَ عليهم ، فكلُّ شخصٍ وَكَّلَ اللهُ به ملكين يُلازمانِهِ ليلًا ونهارًا ، نومًا ويقظةً ، ويحفظونَه من كلِّ ما يؤذيه ، فإنْ أَرادَ اللهُ نفاذَ أَمرٍ تخلّت الملائكةُ عنه ، فيتمّ قضاءُ اللهِ وقَدَرُهُ .

فالإنسانُ أَضعفُ المخلوقاتِ الثلاثةِ ، ثمَّ يليه الجنُّ فهو قويٌّ [1] لا يحيطُ به إلّا الدنيا بما وسعت ، ولا يُحتسَبُ من عُمرِهِ زمانٌ باليومِ والليلةِ بل بمئاتِ السنين والآلافِ ، ولا يردعُه ويزجرُه إلّا ملائكةُ القهّارِ العليمِ ، فالمَلَكُ أَقوى من الجنِّ ، وقادرٌ عليه ، يذيقُه العذابَ الأَليمَ ، والجنُّ أَقوى من الإنسانِ ، ولولا حفظُ اللهِ له لأَهلكَه .

فالجنُّ بطبيعتِه متكبِّرٌ يرى أَنّه أَفضلُ من آدمَ وبنيهِ ، فيحتقرُهم، وذلك منذُ الوجودِ ، ومنذُ أَمْرِ اللهِ له بالسجودِ لآدمَ وإبائِه واستكبارِه، فالعداوةُ متأصِّلةٌ بينهما ، عميقةُ الجذورِ ، **لهذا كانَ إبليسُ وأَعوانُه وذرّيتُه من الشياطينِ والمَرَدةِ يحثونَ دائمًا عن أَذى بني آدمَ** ، سواءٌ **كانَ الأَذى في أَجسامِهم** ، **أَو في أَعمالِهم** ، **أَو بينَهم وبينَ بعضِهم** ، **أَو بينَهم وبينَ ربِّهم** » .

أَقولُ : والحُجَجُ المُتكاثرةُ على هذا الإجمالِ مذكورةٌ - بَعْدُ - في فَصْلِ : (**الأَدلّة**) (ص ١٢٥ - ١٧٣) ؛ فانْظُرْه .

وقالَ الدكتور إبراهيم كمال أدهم في كتابِه « العلاقة بين الجنِّ والإنسِ

---

(١) قالَ شيخُ الإسلام في « النبوّات » (ص ٢٧٩) : « والجنُّ أَعظمُ شيطنةً ، وأَقلُّ عقلًا ، وأَكثرُ جهلًا » .

من منظارِ القرآنِ والسنّةِ » (ص ٣١) :

« ولقد ثبتَ للعديدِ من أَطبّاءِ الأَجسادِ ، وأَطباءِ علمِ النَّفسِ أَنَّ هنالكَ حالاتٍ مَرَضيّةً عديدةً وقفَ العلمُ أَمامَها حائرًا عاجزًا ، وتمَّ شفاؤها عن طريقِ بعضِ الأَتْقياءِ ، ومن أَشهرِ هذه الحالاتِ المَرَضيّةِ المسُّ الرُّوحيّ الناتجُ عن إِيذاءِ الجنّ للإِنسِ ، والأَمراض التي تتأتّى عن السّحرِ والحَسَدِ وأَشباه ذلك من الأَعراض » .

○ تتمّة مهمّة :

بين (المَسّ) و (الحَسَدِ) مُواءَمةٌ ومُوافَقةٌ مِن حيثُ الأَثرُ والتأثيرُ والتأثُّر .

ولستُ أَظنُّ أَحدًا من (المُسلمين) يُنكر [1] (الحَسَد) وآثارَه ، فمن لم يستوعِبْ عقلُهُ قضيّةَ (المَسّ) و (الصَّرْع) فليكُنْ أَثَرُ الحَسَدِ - إِنْ أَقرَّ به - مُقرِّبًا ذلك لفهمِه ، أَو مُيسِّرًا ذلك لعقلِهِ .

« فإِذا حَسَدَ الحاسِدُ ، ووجّه انفعالًا نفسيًّا مُعَيّنًا إِلى المحسودِ ، فلا سَبيلَ لِنَفْي أَثَرِ هذا التوجيهِ لمجرَّدِ أَنَّ ما لدينا من العلمِ وأَدواتِ الاختبارِ لا تصلُ إِلى سرِّ هذا الأَثرِ وكيفيّته ، فنحن لا ندري إِلّا القليلَ من هذا الميدانِ ، وهذا القليلُ يُكْشَفُ لنا عنه مُصادَفَةً [2] - في الغالبِ -، ثمَّ يستقرُّ حقيقةً واقعةً بعدَ ذلك!

فهذا شَرٌّ يُستعاذُ منه بالله ، ويُستجارُ منه بِحِماه » [3] .

---

(١) إِمّا ردًّا أَو تأويلًا !!

(٢) مِن حيث قُدُراتُ البشر ، لا مِن جهة القَدَر .

(٣) « تباريح التباريح » (ص ٨٩ - ٩٠) للشيخِ أَبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهريّ .

قالَ الشيخُ أَبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهريُّ في « تباريح التباريح » (ص ٩٣) :

« والعينُ [(١)] وردت إِليها الإِشارةُ في ثلاث آياتٍ من القرآنِ الكريم ، ووَرَدَ بها جملةُ أَحاديثَ ، منها الصحيح لذاتِه ، ومنها الصحيحُ لغيرِهِ ، وثَبَتَتْ مِن تجرِبة البَشَرِ .

ومَن أَنكرَ العينَ ليسَ عندَه بُرهان إِلّا عدمَ العلمِ بِصِلَةِ النَّفسِ بالنَّفسِ ، وصِلَةِ الإِنسِ بالجنِّ ، وعَدَمُ العلمِ ليسَ علمًا بالعدم ، وخالقُ النفوسِ والجنِّ والإِنسِ أَعلم بأَثْرِهم .

وكثيرًا ما التصَقَتْ آثارُ العينِ بآثارِ الجنِّ .. » .

وفي « صحيح مُسلمٍ » (٢٠٣٣) (١٣٥) من حديث جابرٍ رضي اللهُ عنه ، قالَ : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « إِنَّ الشيطانَ يحضرُ أَحدَكم عند كلِّ شيءٍ من شأْنِهِ ... » [(٢)] .

---

(١) والحَسَدُ من آثارِها .

قالَ الشوكانيُّ في « نيل الأَوطار » (٨ / ٢١٤) :

« يجوزُ رُقْيَةُ مَن بِهِ مَسٌّ ، أَو عينٌ ، أَو نحوُهُ ، لاشتراكِ ذلكَ في كونِ كلِّ واحدٍ ينشأُ عن أَحوالٍ شيطانيةٍ من إِنسٍ أَو جنٍّ » .

(٢) وفي البابِ - ممّا هو أَخصُّ من هذا - ما عزاه السُّيوطي في « الجامع الصغير » (٣٩٠٢ - ضعيفه) للكَجِّي في « سُنَنه » (!) عن أَبي هُريرةَ ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « العينُ حقٌّ ، يحضرها الشيطان وحَسَدُ بني آدم » ... =

ثمَّ قالَ – حفظه اللهُ – (ص ٩٧) :

« أَخشى أَنْ يَفِدَ فارغٌ مِن بلادِ الثلوجِ والعُلوجِ ، فيُنادي بعقلٍ يُنكرُ العينَ ، ويُكذِّبُ خالقَ العِلَلِ والأَسبابِ ، ويعتبرُ المأثورَ في ذلك من الفلكلور ، أَو المأثورِ الشَّعبيِّ ! » !!

أَقول : أَو يعدّه (مستحيلًا) أَو (أُسطورة) !!!

فما يُقال في الحَسَدِ يُقال في المَسِّ ؛ سواءً بِسَوَاءٍ !!

فهل مِن مُدَّكِرٍ ؟!

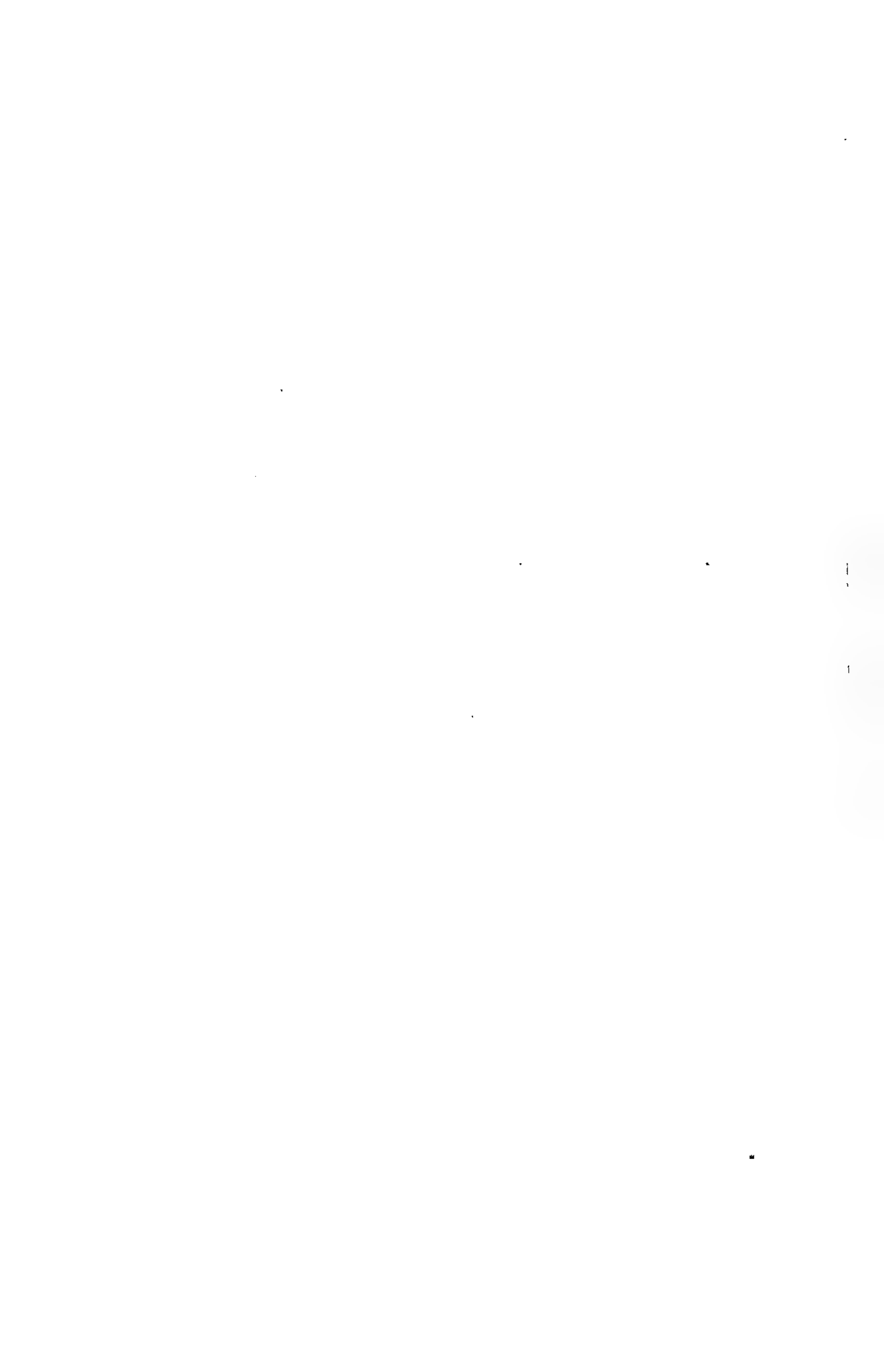
□ □ □ □ □

= والحديثُ في « مسند الإمام أَحمد » (٢ / ٤٣٩) من طريق مكحول عنه ، وقالَ الهيثميّ في « مجمع الزوائد » (٥ / ١٠٧) : « ورجاله رجال الصحيح » !!

فأَقول : نعم ؛ لكنْ نبّه الحافظُ ابن حجر في « إطراف المُسْنِد المعتلي » (٨ / ٦٢) أَنّه لم يَسمع منه .

ومع ذلك نقد سكت عنه الحافظُ نفسُه في « فتح الباري » (١٠ / ٢٠٠) !!

وتابعه عليه (!) الأَخ الشيخ عبدالله السّدْحان في « قواعد الرُّقية الشرعيّة » (ص ٥٠) !!



٤ - الصَّرع عند الأطباء

اختلفتْ كلماتُ الأَطبّاءِ المعاصرينَ في حقيقةِ الصَّرْعِ وأَسبابِه ؛ لكنَّ كلمتَهم جميعًا - مُنكِرين ومُثبِتين - مُتفقةٌ على أَنَّ ما خفيَ عليهم منْ حقيقةِ الصَّرْعِ وأَسبابِه أَضعافُ ما عَرَفوهُ (١) !

وعليهِ ؛ فإِنَّ مَن أَسْلَسَ قيادَ إِيمانِه لربِّه سبحانَه ، وأَخْلَصَ اتِّباعَه لنبيِّه ﷺ ؛ فإِنّه يعزو قَدْرًا مِمَّا جهلَه مِن أَسبابِ الصَّرْعِ إِلى الجنِّ والشياطين ؛ مَسًّا ، وتأثيرًا ، ووسوسةً ، وعَبَثًا ؛ وذلكَ لِمَا وَضَحَ من عُمومِ القُرآنِ في ذلِك ، وَصَحَّ من نصوصِ السُّنّةِ هُنالِك .

وأَمّا من (رَفَضَ) الدلائلَ الواردةَ في هذا الموضوع، سواءٌ عن تحكيمِ عقلٍ ، أَو طُروءِ رأيٍ ، أَو قلّةِ علمٍ ، أَو غَلَبةِ جَهْلٍ ، أَو شُبْهَةِ تأَوُّلٍ ؛ فإِنّه يبقى متردِّدًا في قولِه ، مُضطربًا في فكره ، لا يجدُ لنفسِه دواءً إِلّا (المسكّناتِ) و(المهدّئاتِ) ، أَو العلاجاتِ النفسانيّةَ المعروفةَ ..

ولو أَنَّ مَن لم يَقْنَعْ بذلك رضيَ لنفسِه عَدَمَ القناعةِ دونَ النكيرِ على مخالفِهِ ؛ لَهَانَ - ولو قليلًا - الأَمرُ .. لكنَّ الواقعَ عكسُ ذلك : مِن إِنكارٍ ،

---

(١) انظر ما سبق (ص ٢٦) .

واتِّهامٍ ، ورَمْيٍ بالجُزافِ من القولِ ..

وَلِكَيْ يكونَ كتابُنا جامعًا للخيرِ مِن أَطرافِه ، وحائزًا على الدُّرِّ مِن أَصْدَافِهِ - بمنَّةِ اللهِ وَحْدَهُ - ، أَذكرُ (بعضًا) من النُّقولِ العلميَّةِ عن الأَطباءِ (الأَثباتِ) الذين جَمَعُوا بينَ الطبِّ والشَّرْعِ ، وضمُّوا الفقهَ الدينيَّ إلى العلمِ النظريِّ :

* في كتابِ « الطبيب المسلم وأَخلاقيّات المهنة » [1] (ص ٢١٢ - ٢١٥) تأليف الأَطبّاء : هشام إِبراهيم الخطيب ، والعبد عبدالقادر العكايلة ، وعماد إِبراهيم الخطيب ، قالوا :

« الصَّرْعُ عمومًا هو ارتباكٌ وخَلَلٌ مفاجئٌ في كهرباءِ المخِّ ووظيفتِه . ونوباتُهُ تأتي على نوعين :

١ - نوباتُ تشنّجٍ عضويّةٌ : تبدأُ في مراكزِ الحركةِ بالمخِّ نتيجةَ تغيُّراتِ

---

(١) وهو مطبوع سنة (١٩٩١ م) .

وقد قال مُؤَلِّفوهُ - جزاهم اللهُ خيرًا - في مقدمته (ص ٣) :

« وقد حاوَلْنا في هذا الكتابِ وَضعَ الأُسسِ العريضةِ للطبيبِ المسلمِ في منهاجِ حياتِه وعَمَلِه المِهْنيّ ، للسيرِ قُدُمًا في مسيرةِ التقدُّمِ الحضاريِّ ، والعيشِ في مُجتمعٍ إِسلاميٍّ ؛ **بعيدًا عن الغِشِّ والاحتيالِ** ، **وأَساليبِ الدَّجَلِ والخِداعِ** من أَجلِ الحصولِ على المال ، حيثُ لا رادعَ أَخلاقيّ ، ولا رقابةَ مِهْنيّةٌ تسهرُ على أَحوالِ ومصالحِ النّاسِ ، **كالدَّجالينَ والمدّعين المُزَيِّفين** ، **ورَعاعِ المُتَشدِّقين** ، بل عليه أَنْ يكونَ مُتشبِّعًا **بالروحِ الإِسلاميّةِ الصحيحةِ** التي تكونُ له هاديًا ، ومُوَجِّهًا له في تصرُّفاتِه » .

فسيولوجيّةٍ عضويّةٍ ، يفقدُ معها المريضُ إحساسَه وشعورَه تمامًا ، وعلاجُه يكونُ مع الأَطباءِ البشَريِّين وعندَهم .

٢ - نوباتُ تشنّجٍ نفسيّةٌ ، تبدأُ في مراكزِ الإِحساسِ على شكلِ إِحساساتٍ مختلفةٍ يكونُ مظهرُها الأَساسيُّ تغييرًا عقليًا لا يفقدُ معها المريضُ إحساسَه وشعورَه تمامًا .

وهذا النوعُ من النوباتِ الصرْعيّةِ هو ما يمكنُ استشفاؤهُ بالدعواتِ والتوجُّهِ إِلى اللهِ تعالى ، **مما لا يستطيعُ علاجَه الأَطباءُ** ، ذلك أَنَّ الدعواتِ والصلواتِ أَعظمُ من تأثيرِ الأَدويةِ [1] .

وعقلاءُ الأَطبّاءِ يعترفونَ بأَنَّ في فعلِ القوى النفسيّةِ وانفعالاتِها في الشفاءِ عجائبَ كثيرةً .

والإِنسانُ قد يمسُّه أَكثرُ من شيطانٍ، ويمكنُ أَن يستمرَّ مسُّ الشيطانِ للإِنسانِ سنواتٍ عديدةً ، وقد قال نبيُّنا الكريمُ سيدُنا محمد ﷺ عن سيدنا عيسى عليه السلام : « ما مِن مولودٍ يولدُ إِلّا مسَّه الشيطانُ حينَ يولدُ فيستهلُّ صارخًا إِلّا مريمَ وابنها ». رواه الشيخان[2].

وذلك تصديقًا لقولِ اللهِ سبحانَه وتعالى فيما حكاهُ عن أُمِّ مريمَ زوجةِ عمرانَ : ﴿ فلمّا وضعَتْها قالتْ ربِّ إِنّي وضعتُها أُنثى واللهُ أَعلمُ بما وضعَتْ

---

(١) واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُم ﴾ .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ١٤٤) .

وليسَ الذكرُ كالأُنثى وإِنّي سمّيتُها مريمَ وإِنّي أُعيذُها بك وذرّيتها من الشيطانِ الرَّجيمِ ﴾ .

فالمسُّ الروحيُّ هو : **غزوُ روحٍ مشاغبٍ لهالةِ إِنسانٍ** – أَي : حلوله في مجموعةِ الاهتزازاتِ الأَثيريّةِ التي تعلو الرّأسَ والتي يوجدُ فيها العقلُ ومراكزُ الحسِّ جميعها – **فيسببُ أَمراضًا عصبيّةً أَو عضويّةً أَو نفسيّةً** [١] .

وبديهيٌّ أَنَّ الروحَ المشاغِبةَ – أَو الروحَ النجسةَ – يُطْلَقُ على الشيطانِ ، وليسَ على روحِ الإِنسانِ ، ذلكَ إِنَّ روحَ الإِنسانِ الذي ماتَ تنطلقُ إِلى عالمٍ آخرَ حيثُ تباشرُ حياةً أُخرى ، وحيثُ تعيشُ حياةَ البرزخِ فيه ، ولا يمكنُ أَن تعودَ هذا الروحُ الإِنسانيّةُ لتعيشَ في جسدِ إِنسانٍ لتعذّبَه أَو تصيبَه بالضررِ دون هدفٍ أَو قصد ، **بل وبلا إِمكانيّةٍ منها** ، حيثُ إِنَّ الروحَ بانتقالِها من العالَمِ أَصبحت بذبذبةٍ يستحيلُ معها العيشُ في جسدِ آدميٍّ تختلفُ يقينًا ذبذبتُه عن ذبذبتِها [٢] .

إِنَّ المسَّ الروحيَّ يُعَدُّ عاملًا مُسَبِّبًا للأَمراضِ النفسيّةِ والعصبيّةِ ، ولا

---

(١) وقد يجتمعُ بعضُها أَو كلُّها ؛ انظر ما سيأتي (١٥٦) في قصّة عثمان بن أَبي العاص ، وكذا (ص ٤٩) .

وعرّفَ الدكتور إِبراهيم كمال أَدهم في كتابه « العلاقة بين الجنِّ الإِنس » (ص ٣٣٧) المسَّ الروحيَّ بأَنّه : « **أَذى يُصيبُ الإِنسانَ نتيجةَ تعرُّضِ الجنِّ له ، فينتجُ عنه الصَّرْعُ غيرُ العضويّ أَو غيرُ الماديّ** » .

(٢) وفي هذا ردٌّ علميٌّ على مُدَّعي تناسُخِ الأَرواحِ مِن الباطنيّة والدُّروزِ ومَن شابَهَهُم !

تتألّفُ الشخصيّةُ الماسّةُ من نفسِ مخلوقٍ غيرِ مجسّدٍ ، ولا من عقلِه وإرادتِه فقط ، بل هما في الواقعِ شخصيّةٌ مؤتلفةٌ من أَشياءَ كثيرةٍ .

والشخصيّةُ الماسّةُ المركزيّةُ هي التي اصطدمت أوّلًا بمجمعِ حواسِّ الشخصِ الممسوسِ ، وهي على وجهِ العمومِ قليلةُ المقاومةِ لإيحاءاتِ الغيرِ ، ومن ثَمَّ تصبحُ هذه الشخصيّةُ مطيّةً سهلةً [1] لأُولئكَ الذين يرغبونَ في الاقترابِ من أيِّ إنسانٍ بهذه الطريقةِ التي تبدو كأنّها لا شأنَ لها إلّا في الحصولِ على الترضيةِ الخاصّةِ لمجموعِ الأَرواحِ الماسّةِ كلِّها أَو بعضِها .

وبمضيِّ الزمنِ يزدادُ التضامُّ في هذه العمليّةِ حتّى يتمَّ في النهايةِ تلاشي الشخصِ الممسوسِ الذي يصلُ إلى مثلِ هذه الحالةِ تلاشيًا تامًّا .

ويظهرُ أنَّ للأَرواحِ الماسّةِ ثلاثَ نقطِ اصطدامٍ رئيسةٍ هي :

- قاعدة المخّ .
- منطقة الضفيرة الشمسيّة .
- المركز المهيمن على أَعصابِ التناسل .

ويقولُ الدكتور جيمس هايسلوب في كتابه عن « المسّ » [2] :

« إنّه تأثيرٌ خارقٌ في العادةِ تؤثِّرُ به شخصيّةٌ راعيةٌ خارجيّةٌ في عقلِ شخصٍ وجسمِه ، ولا يمكنُ إنكارُ كنهِ المسِّ » .

---

(١) وذلكَ لما يعتريها من وَهَم قاتلٍ عنيفٍ .
وانظر ما سيأتي (ص ٤٦) حولَ هذا الموضوعِ .

(٢) قارنْ هذا بما سيأتي (ص ١١١) مِن دعوىً فارغة منقوضةٍ للشيخِ الغزاليِّ .
ولا يزالُ النقلُ عن مجموعةِ الأَطبّاءِ المذكورين قبْلُ .

ويرى بعضُ الأَطبّاء كالدكتور كارل ويكلاند أَنَّ الجنونَ قد ينشأُ من استحواذِ **روحٍ خبيثٍ** على الشخصِ المريضِ فيُحدِثُ اضطرابًا واختلالًا في اهتزازاتِه ، وأَنّه بالكهرباءِ الإِستاتيكيّةِ تُنظَّمُ الاهتزازاتُ ، وتُطْرَدُ الشخصيّةُ المستحوِذةُ ، ويعودُ العقلُ إِلى حالتِه الطبيعيّةِ دون تأثيرِ شخصيّةٍ ماسّةٍ له .

ويُعَرَّفُ المسُّ أَيضًا ؛ بأَنَّ الأَرواحَ الخبيثةَ الشريرةَ المؤذيةَ غيرَ المتجسّدةِ قد تُحْدِثُ في ظُروفٍ خاصّةٍ **اضطراباتٍ جسميّةً** أَو عقليّةً خطيرةً لبعضِ النّاسِ .

○ **أَعراضُ المسِّ :**

يستطيعُ الشيطانُ أَن يَمسَّ الإنسانَ بحيثُ **يجعلُه يتخبّطُ** [١] ؛ **والتخبُّطُ المطلقُ** هو : **التخبُّطُ في الحركةِ** ، فلا يستطيعُ الإنسانُ التحكُّمَ في سيرِه ، فيسيرُ وكأنّه يترنّحُ من دُوارٍ ودوخةٍ ، ويُحسُّ كأنَّ الأَرضَ تميدُ به ، أَو يفقدُ القدرةَ على تقديرِ الخطوةِ المتّزنةِ لِقَدَمَيْه ، أَو حسابِ المسافةِ الصحيحةِ .

والتخبُّطُ أَيضًا معناهُ أَنّه لا يعي ما يقولُ ، ولا يستطيعُ أَن يربطَ بين ما قالَ ، وما يقولُه ، وما يجبُ أَن يقولَه بعدَ ذلك ، والتخبّطُ في الفكرِ ، والتخبُّطُ في العملِ .

فالتخبُّطُ ما هو إِلّا فقدانُ الإِدراكِ الصحيحِ من الإِنسانِ ؛ لأَنَّ شيئًا يهمُّ به أَو يفكرُ به ، وبديهيٌّ أَنَّ هذه علاماتُ الجنونِ .

ويذكرُ لنا القرآنُ الكريمُ حكايةَ مسِّ سيّدنا أَيّوبَ عليه السلامُ ، إِذ قالَ :

---

(١) انظر ما سيأتي (ص ٦٩) مِن ذكرِ التخبُّطِ الواردِ في آيةِ سورةِ البقرةِ .

﴿ واذكرْ عبدَنا أيّوبَ إذ نادى ربَّه أنّي مسَّني الشيطانُ بنُصْبٍ وعذابٍ ﴾ [سورة ص : ٤١] .

[والصحيحُ في قصّةِ أيوبَ – عليه السلامُ – ما صَحّحَهُ ابنُ حِبّانَ (٢٠٩١) عن أنسِ بن مالكٍ رضي اللهُ عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

« إنَّ نبيَّ اللهِ أيوبَ ﷺ لَبِثَ بهِ **بلاؤهُ** ثمانَ عَشْرَةَ سنةً ، **فرَفَضَهُ القريبُ والبعيدُ** ، إلّا رَجُلينِ مِن إخوانِهِ كانا يَغْدُوانِ إليهِ ويَروحانِ ، فقالَ أَحدُهما لصاحبِه ذاتَ يومٍ : تَعْلَمُ واللهِ لقدْ أَذْنَبَ أيُّوبُ ذَنبًا ما أَذْنَبَهُ أَحدٌ من العالمينَ ، فقالَ له صاحبُه : وما ذاك ؟ قال : منذُ ثمانَ عَشرةَ سنةً لم يَرْحَمْهُ اللهُ **فيكْشِفَ ما بهِ** .

فلمّا راحا إلى أيُّوبَ ؛ لم يصبر الرَّجلُ حتّى ذَكَرَ ذلكَ لهُ ، فقالَ أيُّوبُ : لا أَدري ما تَقولانِ ؟ غيرَ أَنَّ اللهَ تعالى يعلمُ أَنّي كنتُ أَمُرُّ بالرَّجلينِ يتنازعانِ ، فيذكُرانِ اللهَ ، فأَرْجِعُ إلى بيتي ، فأُكفِّرُ عنهما ؛ كراهيةَ أَنْ يُذكرَ اللهُ إلّا في حقٍّ .

قالَ : وكانَ يخرجُ إلى حاجتِه ، فإذا قضى حاجتَه ؛ أَمسكَتْهُ امرأتُه بيدِه حتّى يبْلُغَ ، فلمّا كانَ ذاتَ يومٍ ؛ أَبطأَ عليها ، وأُوحِيَ إلى أَيوبَ أَنِ : ﴿ اركُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ باردٌ وشرابٌ ﴾ ، فاستبطأَتْهُ ، فَتَلقَّتْهُ تنظرُ وقد أَقبلَ عليها قد أَذْهَبَ اللهُ ما بِهِ من **البلاءِ** ، **وهو أَحسنُ ما كانَ** ، **فلمّا رأَتْهُ** ، قالت : أَيْ باركَ اللهُ فيك ! هل رأيتَ نبيَّ اللهِ هذا المُبْتَلى ؟ واللهِ على ذلك ؛

ما رأيتُ أَشْبَهَ منكَ إذ كانَ صحيحًا ! فقال : فإنّي أنا هو ، وكانَ له أَنْدَرَانِ (أي : بيدَرانِ) : أَنْدَرٌ للقَمْحِ ، وأَنْدَرٌ للشَّعيرِ ، فَبَعَثَ اللهُ سحابَتَيْنِ ، فلمّا كانت إحداهما على أَنْدَرِ القمحِ ؛ أَفرغتْ فيه الذَّهَبَ حتّى فاضَ ، وأَفرغتِ الأُخرى في أَنْدَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ حتّى فاضَ » [1]] .

إنَّ مسَّ الشيطانِ للإنسانِ في بدنِه يكونُ بأَمراضٍ قد تتفقُ أَعراضُها مع أَمراضٍ أُخرى ، وقد تتميّزُ فتختلفُ عن أَعراضِ الأَمراضِ الأُخرى ، وبذلكَ إذا عُولجت على أَنّها أَمراضٌ مؤكّدةٌ أَعراضُها ، فلا يستجيبُ ذلك المرضُ لأَيِّ علاجٍ ، وأَمّا إذا اختلفتْ فإنّها كذلك لا يُجدي معها أَيُّ علاجٍ » [2] .

أَقولُ : ثمَّ ذَكَرَ هؤلاءِ الأَطبّاءُ الأَفاضلُ - بعدَ ذلك - (صفحة : ٢١٥ - ٢١٧) علاجَ الصَّرْع ، طِبًّا وَشَرْعًا ، بما يتفقُ تمامًا - وللهِ الحمدُ - مع ما نراهُ صحيحًا في هذا البابِ ؛ تَبَعًا لأَئمّة العلمِ الأَثباتِ قديمًا وحديثًا .

---

(١) وما بين المعكوفين مِن إضافتي على كلامِ الأَطبّاءِ المنقول عنهم .

وقد صحَّح قصّةَ أَيّوبَ عليه السلام - أَيضًا - الضياءُ المقدسيُّ والحافظُ ابن حَجَرٍ وغيرُهما من أَئمّةِ العلم ، فانظر « سلسلة الأَحاديث الصحيحة » (رقم : ١٧) لشيخنا العلّامةِ الأَلبانيِّ .

ولقد أَعلَّها بعضُ أَهلِ العلمِ بما لا ينهضُ !

وانظر كلامَ الدكتور محمد أَبو شُهبةَ في كتابِه « الإسرائيلياتِ والموضوعات في كتبِ التفسير » (ص ٢٧٥ - ٢٨٢) حولَ هذا الموضوعِ .

ووجهُ ذِكر قصّة أَيّوب - عليه السلام - البيانُ التفصيلي للإجمالِ القُرآنيِّ ، وأَنَّ مَسَّ الشيطانِ له (بِنُصْبٍ) و (عذاب) أَثّر في بدنه فأَوقعَه في البلاءِ ، وهو ظاهرٌ في القصّةِ .

(٢) انظر ما سيأتي (ص : ٤٩ - ٥٢) في وجوهِ التفريقِ بينَ الصَّرْعِ الطبيِّ والجنّيِّ .

○ وقالَ الدكتورُ علي محمد مطاوع [١] في كتابِه « مدخل إلى الطبِّ الإسلاميّ » (ص ٢٠١) :

« والمسُّ في قولِه تعالى : ﴿ كما يقومُ الذي يتخبطُه الشيطانُ من المسِّ ﴾ ، والأَمراضُ التي تنشأُ عن المسِّ تشملُ الهستيريا ، والصرع ، والأَمراض النفسيّة ، وخصوصًا القلق النفسي وغيره ، وخصوصًا الشكّ .

والذي يقومُ بإيذاءِ الإنسانِ هم شياطينُ الجنِّ ، وهم لا يفرّقونَ بينَ الرِّجالِ والنساءِ .

ولقولِ رسولِ اللهِ ﷺ « النساءُ ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ » [٢] ، كانَ اتصالُ الجنِّ بالنساءِ أَكثرَ من الرِّجالِ [٣] ..

والجنُّ إذا تلبَّسَ إنسانًا لا يظلُّ متلبسًا به طولَ الوقتِ ، ولكنّه يفارقُه بعضَ الوقتِ ، فيبدو حينئذٍ سليمًا خاليًا من المرضِ ، وإذا كانَ الجنُّ شيطانًا فإنَّ الشخصَ يكرهُ سماعَ القرآنِ ، ولا يؤدّي الصلواتِ إلّا مُكْرَهًا ، ولا يُركِّزُ

---

(١) وهو أَوّل عميد لكليّة طبّ جامعة الأَزهرِ في القاهرةِ .

(٢) هو هكذا بالمعنى ، وهو مرويٌّ على الجادَّةِ في « صحيح البُخاري » (٢٩٨) و « صحيح مسلم » (٧٩) .

ولي في تتبّع طرق هذا الحديثِ وشرحِه وبيانِه جزءٌ مستقلٌّ ، عنوانه « حقُّ اليقين .. » يسّر اللهُ تمامَه .

(٣) وهذا أَمْرٌ مُشاهَدٌ لا يُنْكَرُ .

فِكْرَهُ أثناءَ الصلاةِ ، ولا يريدُ قراءةَ القرآنِ ، ويطيلُ البقاءَ في دورةِ المياه ، ويحبُّ الانفرادَ بنفسِه ، والعزلةَ عن النَّاسِ .

﴿ وإذا ذَكرْتَ ربَّكَ في القرآنِ وحدَه ولَّوْا على أدبارِهم نُفورًا ﴾ .

وهذه هي الوسيلةُ لإخراجِ الجنِّ ، أي : قراءةُ القرآنِ ، مثل سورةِ الجنِّ [1] ، وآيةِ الكرسيِّ ، مع تكرارٍ [2] : ﴿ ولا يَؤُودُهُ حفظُهما وهو العليّ العظيم ﴾ .

والعلاجُ الوقائيّ والعلاجيّ في نفسِ الوقتِ هو قراءةُ المعوّذتينِ كثيرًا ، وكذا سورة البقرة، فإنَّ البيتَ الذي يُقرأُ فيه سورةُ البقرة لا يقربُه الشيطانُ »[3].

○ وقد نقلَ الدكتور عبدالرزّاق نوفل في كتابه « عالم الجنِّ والملائكةِ » (ص ٨٢ - ٨٣) عن عددٍ من أطباءِ الغربِ ثبوتَ المسِّ والصرعِ مِن قِبَلِ الجنِّ ، ودخولَ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ ، فمن أرادَ الاستزادةَ فليرجعْ إليه .

●● أمّا الفريقُ الآخَرُ مِن الأطباءِ - وهم المُنْكِرون - ؛ فلم يصنعوا شيئًا ، فليسَ معهم إلّا النفيُ [4] !!

قال الدكتور عدنان العبدلّات : « علاجُ هذهِ الحالاتِ مجرَّبٌ وناجحٌ

---

(١) لا أعلمُ دليلًا فيه تخصيصُ (سورة الجنِّ) بالقراءةِ على المَمْسوسِ أو المصروع .

(٢) ولا دليلَ في السنّة على مثلِ هذا التكرارِ .

(٣) رواهُ مسلم (٧٨٠) عن أبي هريرة .

(٤) قارن بكلمةِ الإمام ابن القيّم المتقدّمة (ص ٢٦ - ٢٧) التي قالها قبل أكثر من سبع مئةِ عام !!

بيعضِ العقاقيرِ » !

كذا نَقله صاحبُ « الأُسطورة » عنه ، وأَثْبَتَهُ على غلافِهِ !!

أَقولُ : نعم ؛ الحالاتُ التي مرّت بكَ مجرَّبةٌ وناجحةٌ ، ولكنْ : هلْ هذا ينفي وجودَ حالاتٍ أُخرى مرّت (بك) أَو بغيرِك لم تنجحْ فيها العقاقيرُ ، ولم تُجْدِ فيها العلاجاتُ [1] ..

ونحن لسنا ننكرُ العلاجَ بالعقاقيرِ ، حتّى في هذه الحالاتِ ، لأَنَّ دخولَ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ ، أَو مَسَّهُ إِيّاهُ : من الأَدواءِ التي خَلَقَها اللهُ سبحانَه ، ونبيُّنا ﷺ يقولُ : « ما أَنْزَلَ اللهُ داءً ، إِلّا أَنْزَلَ لهُ شِفاءً » [2] .

فسواءٌ أَكانَ هذا الدواءُ بالقراءةِ والدعاءِ ، أَم بالعقاقيرِ والأَدويةِ ، فهو داخلٌ كلُّه تحتَ عمومِ لفظِ الدواءِ .

وقال الدكتورُ وليد سرحان : « لم أَرَ للجنِّ علاقةً في أَمراضِ النّاسِ » !!

كذا نَقَلَه صاحبُ « الأُسطورةِ » عنه ، وأَثْبَتَهُ على غلافِهِ !!

أَقولُ : وهو كلامٌ غيرُ قائمٍ ، فعدمُ العلمِ بالشيءِ لا ينفيهِ ، وما غابَ عنكَ قد يراهُ غيرُك ..

---

(١) ولعلّه مِن أَجلِ ذا (تحفَّظَ) صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٥٠) بقولِه : « إِنَّ **حالاتٍ كثيرةً** من هذا النوعِ عُولجت عندَ الأَطباءِ النفسيّين ، وقد يستخدمون فيها بعضَ العقاقير » !!!
وهذا لا يُنكر ، ولكنْ : بقيّة الحالاتِ ما شأْنُها ؟!

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٨) عن أَبي هريرةَ .

قال صاحبُ كتابِ « كُبرى اليقينيّاتِ » (ص ٢٨١) مُبَيِّنًا قاعدة النفي والإثبات :

« ما مِن عاقلٍ فَهِمَ معنى العلمِ إلّا وَعَلِمَ أَنَّ القاعدةَ العلميّةَ المشهورةَ تقولُ : عَدَمُ الوجدانِ لا يستلزمُ عدمَ الوجودِ ، أي : عدمُ رؤيتِكَ للشيءِ الذي تبحثُ عنه لا يستلزمُ أَن يكونَ بحدِّ ذاتِهِ مفقودًا ، إذا إنَّ الموجوداتِ أعمُّ مِن المُشاهَداتِ » .

وبخاصّةٍ أنّنا لا نَدَّعي أَنَّ كُلَّ - أَوْ جلَّ - أَمراضِ النَّاسِ سَبَبُها الجنُّ ! فتأمَّلْ ..

فلا أُطيلُ في النقدِ والردِّ ، وتَتَبُّعِ أَقوالِ المُنْكرينَ من الأَطباءِ ، فالأَمرُ أَسهلُ من ذلك بحمدِ اللهِ ، وكلُّهم ينزِعُ من بئرٍ واحدةٍ !

○ وها هُنا تَنبيهانِ مُهِمَّانِ يَكْمُلُ بهما المَقَامُ ، وتَتَّضِحُ مِن خلالِهما الصورةُ بأَجْلى بيان :

أَولًا : الوَهَمُ وأَثَرُهُ في المَرْضى والمُصابين :

قال الأُستاذُ خليل إبراهيم أَمين :

« الوَهَمُ : مرضٌ نفسيٌّ خبيثٌ ، والإنسانُ إذا تسلَّطت عليه الأَوهامُ من الصعبِ الخروجُ منها ، والإنسانُ في حياتِه لا يخلو من أَوهامٍ تعتريهِ ؛ بل إنَّ حياةَ بعضِ النَّاسِ في كثيرٍ من الأُمورِ أَوهامٌ في أَوهامٍ ، بل قد يصلُ الحدُّ إِلى أَن يكونَ تأثيرُ الأَوهامِ أَكبرَ بكثيرٍ من الحقائقِ .

ومع انتشارِ (العلاجِ بالقرآنِ الكريم) [١] ورؤية النّاسِ لبعضِ حالاتِ الصَّرعِ ، وانتشارِ القصصِ - سواءٌ من المُتردِّدين للعلاجِ أو من بعضِ الكتبِ - أَصبحَ الوهمُ يدبُّ إلى نفوسِ كثيرٍ من النّاسِ وسطَ مشاكلِ الحياةِ الكثيرةِ ، حتّى مَن هُمْ على استقامةٍ وصلاحٍ في دينهم لم يسلَموا من دائرةِ الوهمِ .

وقد كانَ لخوفِ النَّاسِ من الجنِّ والشيطانِ دورٌ كبيرٌ في حصولِ هذا الوهم ، وبدأَ كثيرٌ من النَّاسِ يربطُ بينَ مرضٍ معيّنٍ أَصابَه ، أَو مُشكلةٍ في حياتِه ، أو خلافاتٍ زوجيّةٍ عاديّةٍ ، أَو حادثةٍ معينةٍ حدثت له ، وبينَ أُمورٍ أُخرى ، فأَخذَ يقلِّبُ في ذاكرتِه عن سببِ هذهِ المُشكلةِ ، أَو تلكَ الخلافاتِ ، فاعتقدَ أَنَّ فلانًا من النَّاسِ قد أَصابَهُ بعينٍ ، أَو أَنَّه وَقَعَ يومًا ما فأَصابَه الجنُّ بالمسِّ ، ثمَّ يحكي لك أَعراضًا يُحسُّ بها .

وفي الحقيقةِ : إنَّ مَرَضَ الوهمِ إذا أَصابَ الإنسانَ ، كانَ أخطرَ من المرضِ الحقيقيِّ ؛ لأَنَّ مسَّ الجنِّ يزولُ بفضلِ اللهِ أَمامَ الرقيةِ بالقرآنِ الكريمِ ، أَمّا مريضُ الوهمِ ، فهو في دوّامةٍ لا تنتهي .

كذلك يتوهمُ بعضُ النَّاسِ أَنّهُ مُصابٌ بالسحرِ ، أَو أَنَّ فلانًا من النَّاسِ قد سَحَرَهُ بسببِ مشكلةٍ بينَه وبينَه ، فيتشوّشُ فكرُهُ ، وتضطربُ حياتُه ، ثمَّ يوحي لنفسِه بأَنَّه مسحورٌ .

---

(١) تحَفَّظَ الشيخُ صفوت نور الدين - في مقاله المنشور بمجلّة التوحيد / عدد : ٨ / ص : ١٩ - على هذه التسمية ، قائلًا : « تسمية (العلاج) التصقت بالطب الماديّ فلا أَرى استخدام ذلك الاسم ، إنّما يُسمّى (رُقية) ويُسمّى (نُشرة) .. » .

فإذا تملّكَ الوهمُ بإنسانٍ ما بأَنَّ بهِ مَسًّا من الجنِّ ، أَو أنَّه مسحورٌ : يتشوّشُ فِكرُه ، وتضطربُ حياتُه ، وتختلُّ وظائفُ الغُددِ ، وتظهرُ عليه علاماتُ المسِّ أَو السحرِ ، وربّما يحدثُ له تشنُّجاتٌ أَو إغماءٌ بما يسمّى في علم النفسِ الحديثِ (الإيحاء الذاتي) .

وهنا يبدأُ القلقُ المصحوبُ بالخوفِ الشديدِ يدبُّ في حياتِه ، فيضطربُ الجهازُ العصبيُّ ، وتتوترُ عضلاتُ القلبِ ، وتظهرُ أَعراضٌ جسديّةٌ ، ويشعرُ المريضُ بأَلَمٍ في منطقةِ القلبِ ، ويزدادُ الأَلمُ مع ازديادِ الخوفِ ، وتظهرُ أَعراضٌ أُخرى نتيجةً للنشاطِ المضطربِ للجهازِ العصبيِّ ، وهنا لا يوجدُ عضوٌ في جسمِ الإنسانِ إلّا ويتأثرُ بحالةِ القلقِ هذهِ .

فالقلبُ تزدادُ ضرباتُه - وقد لا تنتظمُ - والدَّمُ يرتفعُ ضغطُهُ ، والجهازُ الهضميُّ يضطربُ ، وتحدثُ آلامٌ في البطنِ ، وتضطربُ الحالةُ الجنسيّةُ للمريضِ ، فيشعرُ بالكُرهِ لزوجتِه ، وتتوترُ عضلاتُ الجسمِ ، ويصيبُ التوترُ العضليُّ منطقةَ الرأسِ ، فيحدثُ الصداعُ النِّصفيُّ .

والحقيقةُ أَنَّ المُتردِّدين على المُعالجينَ بالقرآنِ الكريمِ ، نسبةٌ كبيرةٌ منهم مرضى بالوهمِ [١] ، والقلّةُ القليلةُ مَن بهِ مَسٌّ مِنَ الجنِّ ، حتّى وإن كانَ بهِ بعضُ الأَعراضِ ، فالحقيقةُ التي يؤكدُها الطبُّ النفسيُّ : (أَنَّ استمرارَ القلقِ

---

(١) ومِن جَهْلِ (البعضِ) وتسرُّعِهِ أَنَّه جَعَلَ كونَ بعضِ هؤلاءِ المُصابينَ مُوهومين أَو (مُمَثِّلين) - وهذا موجودٌ - سببًا يُشَكِّكُ فيه بأَصلِ المسألةِ وأَساسِها ، أَو يردُّه ويُنْكِرُهُ !! وهذا خَلْطٌ قبيحٌ جدًّا .

يسبِّبُ فعلًا أمراضًا عضويّةً حقيقيّةً ، وتصبحُ الآلامُ صادرةً عن إصابةٍ في الجسدِ ، وليس مجرّدَ توتُّراتٍ وتقلُّصاتٍ ، فقد يسبِّبُ القلقُ قرحةَ المعدةِ والذبحةَ الصدريّةَ وأَمراضًا أُخرى ، فيتغيّرُ شكلُ حياتِه ، وتتقلّصُ طموحاتُه ، ويُهملُ عملَه ، وتضطربُ حياتُه الزوجيّةُ ، ويصبحُ أَسيرَ الوهمِ والخوفِ) .

أَمّا علاجُ هذا المَرَضِ حقيقةً ؛ ففي الطبِّ النفسيِّ إنْ كانَ الوهمُ مُتسلطًا عليه منذ فترةٍ طويلةٍ ، أَمّا إن كانَ في بدايتِه فعليهِ التحصيناتِ » [1] .

أَقول : ومِمّا يُجْدي تمامًا في هذه المُشْكِلَةِ المُعْضِلَةِ الكفُّ عن الاسترسالِ مع الوَهَمِ ، والانقطاعُ عن مُتابعةِ التفكيرِ به ، والانشغالُ بالطاعاتِ ، وطلبُ العلمِ النافعِ ، المُوَرِّثِ للعَمَلِ الصالحِ .

ثانيًا : التفريقُ بينَ الصَّرْعِ الطبيِّ ، والصَّرْعِ الجِنِّيِّ :

قالَ الشيخ أَحمد محمود الدِّيب :

« بعدَ هذا العرض الذي تعرَّفنا فيه على الصَّرْعِ الجنيِّ والصرعِ العضويِّ نجدُ سؤالًا يطرحُ نفسَه : كيفَ نميِّزُ بين الصرعين ؟ وهذا ما سنعرفُه مِن خلالِ الأَسطرِ القادمة [2] :

* إنَّ الصَّرْعَ العضويَّ غالبًا ما يُكتشفُ - بإذنِ اللهِ تعالى - أَو يتمُّ تشخيصُه بواسطةِ تخطيطِ الدماغِ الكهربائيِّ ، **وأَنَّ ١٥٪ تقريبًا من أَنواعِ الصَّرْعِ لا يُكتشفُ بالتخطيطِ الدماغيِّ .**

---

(١) « الطرق الحِسَان في علاجِ أمراضِ الجانّ » (ص ١٤٠ ، ١٤١) .

(٢) وفي بعضِ الوجوهِ المذكورةِ - فيما يأتي - نَظَرٌ ، وإنّما يُستفادُ الصوابُ منها جُملةً .

- وأَمّا الصرعُ الروحيّ أَو الجنيُّ يُكتشفُ - بإذنِ اللهِ تعالى - أَو يتمُّ تشخيصُه بحدوثِ تغيُّراتٍ في حياةِ المصابِ ؛ كعدمِ مقدرتِه على النومِ لكثرةِ الأَرَقِ والكوابيسِ المتكررةِ والمزعجةِ ، **وعدمِ إقبالِه على الطاعةِ للهِ تعالى ، والإِعراض عن القرآنِ ، والتألُّم عند سماعِ آياتِ الوعدِ والوعيدِ** [1] .

* إنَّ بعضَ المُصابينَ بالصَّرْعِ العضويّ في حالةِ نوبةِ الصَّرعِ يَعُضُّ على لسانِه ، ويتبوّلُ أثناءَها **بدونِ سَبَبٍ** .

- وأَمّا الصرعُ الجنيُّ فيحدثُ لبعضِ المصابينَ عند نوبةِ الصَّرْعِ أَن يعضَّ على لسانِه ، أَو أَن يبولَ على نفسِه ، **ولكن بعدَ قراءةِ القرآنِ عليه** .

* إنَّ المصابَ بالصَّرْعِ العضويِّ **لا يتأثرُ بقراءةِ القرآنِ ، وربّما يهدأُ نفسيًّا** [2] ، ويشعرُ براحةٍ فقط ، وذلكَ لأَنَّ القرآنَ يخففُ من درجةِ توترِ الجهازِ العصبيِّ .

- وأَمّا المُصابُ بالصَّرْعِ الجنيِّ **فهو يتأثرُ جدًّا بقراءةِ القرآنِ ، فيجدُ ضيقًا في صدرِهِ** ، ونفورًا حتّى إنّه يصرخُ ثمَّ يُصْرَعُ .

---

(١) فالقرآنُ الكريمُ هدايةٌ وإصلاحٌ للمؤمنين : ﴿ ونُنَزِّل مِن القرآن ما هُوَ شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ ، وأَمّا المُعْرِضون أَو الضالُّون - والجنّ كذلك - فهو شديدٌ عليهم : ﴿ وإذا ذَكَرْتَ ربَّكَ في القرآنِ وحدَه وَلّوْا على أَدبارِهم نُفورًا ﴾ .

(٢) وليس كما يزعُمُ بعضُ العَصْرانيّين الجَهَلةِ أَنَّ (الموسيقى) تُهَدِّئُ النفسَ ، وتُلَيِّنُ الطَّبْعَ !!

* إنَّ الصَّرْعَ العضويَّ العامَّ هو مَرَضٌ عصبيٌّ يحدثُ على شكلِ نوباتٍ من التشنّجِ والاختلاجِ القويّ ، يتبعُها نومٌ عميقٌ .

- وأمّا الصَّرْعُ الجنيُّ فهو تسلّطٌ من روحٍ خبيثةٍ شيطانيّةٍ على جسدِ الإنسيِّ .

* التشنجُ للصرعِ العضويّ يستمرُّ لمدّةِ دقائق ، ولا يستطيعُ المصروعُ خلالَ النوبةِ الصرعيّةِ أنْ يتحدّثَ مع أيِّ أحدٍ .

- وأَمّا الصَّرْعُ الجنيُّ فإنّه يستمرُّ أحيانًا لمدّةِ ساعاتٍ يستطيعُ المصروعُ أن يتحدّثَ مع المعالجِ عن طريقِ الجنيِّ [1] ، فيخبرُ عن أسبابِ صرعِه للإنسيِّ .

* إنَّ نوباتِ الصَّرْعِ العضويّ تحدثُ في أيِّ وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ ، أو عند النومِ ، فإنَّ الباحثين يقولونَ : إنَّ ربعَ المصابينَ بالصَّرْعِ يصابونَ بنوباتٍ صرعيّةٍ أثناءَ النومِ .

- وأمّا المُصابُ بالصَّرْعِ الجنيِّ فلا يُصرعُ إلّا بعدَ قراءةِ القرآنِ ، أو لشيءٍ ضايقَ الجنيَّ .

---

(١) لا أعلمَ دليلًا شرعيًا يُثْبِتُ وقوعَ كلامِ الجنِّي على لسانِ الإنسيِّ - وهو قولُ شيخِنا الألبانيّ حفظه الله تعالى - .

فإنْ ثَبتَ شيءٌ من ذلك - ولسنا مُنكريه - فيكون دونَ توسُّعٍ ، واستفصالٍ ، ومُحاورات .

... ثمّ رأيتُ في جريدة (المسلمون) (رقم : ٥٥٠) مقالًا للدكتور حُسني مؤذن - المدرّس في جامعة أُمّ القرى / مكّة - صدَّره بقولِه : « **استنطاق الجنّ في المصروع لا أصلَ له** » .

* إنَّ المُصابَ بالصَّرْعِ العضويّ يمكنُه الشعورُ بقربِ حالةِ النوبةِ الصّرْعيّةِ بدقائقَ ، وأَمّا المُصابُ بالصَّرْعِ الجنيِّ فلا يشعرُ بنوبةِ الصَّرْعِ إلّا بعد قراءةِ القرآنِ عليه .

* إنَّ المُصابَ بالصَّرْعِ العضويِّ يمكنُ - بإذنِ اللهِ تعالى - أَنْ يَشفى تمامًا من الحالةِ المرضيّةِ بالجراحةِ أَو استعمالِ الأَدويةِ العلاجيّةِ، ومن الممكنِ أَن يظلَّ طيلةَ حياتِه يتناولُ الأَدويةَ العلاجيّة إلى أَن يتوفاهُ اللهُ تعالى .

- وأَمّا المُصابُ بالصَّرْعِ الجنيِّ فإنَّه يمكنُ - بإذنِ اللهِ تعالى - أَن يشفى بعدَ خُروجِ الجنيِّ من جسدِه ، ويمكنُ أَن يعودَ إليه الجنيُّ مرّةً أُخرى ، إذا كانَ المُصابُ ضعيفَ الإيمانِ ، أَو ارتكبَ بعضَ المُخالفاتِ الشرعيّةِ ، أَو تعرّضَ لعملٍ سحريٍّ ، أَو تسببَ في إيذاءِ جنّيٍّ ، واللهُ تعالى أَعلى وأَعلم » [1] .

□ □ □ □ □

(١) « العلاج القرآني والطبيّ من الصَّرع الجنّي والعضويّ » (ص ٩٣ - ٩٥) .
وقد راجعَ هذا الكتابَ البروفسور الطبيب النفساني الدكتور نبيل سليم ماء البارد / جامعة ويستر - أَلمانيا الغربيّة .

٥ - طرائق الردّ والإنكار

يعمدُ المنكرونَ للصَّرْعِ والمَسِّ إلى أنواعٍ من الشبهاتِ (لِتَثْبيتِ) رفضِهم وإنكارِهم :

النوعُ الأَوّلُ : **التأويلُ** ؛ بمعنى صرفِ اللفظِ عن ظاهرِه ، وتحريفِهِ عن حقيقتِه [1] .

فالنصُّ الَّذي ثَبَتَ عندَهم - سواءٌ أكانَ قرآنًا أم سُنَّةً - يُحرِّفونَه عن معناه ! ويُخرِجونَه عن ظاهرِه ! قائلينَ : المقصودُ به كذا وكذا !! و : ليسَ المرادُ به كذا وكذا .. !! و : لعلَّ معناهُ كذا وكذا !!

« لقد كانَ التأويلُ بابَ شَرٍّ كبيرٍ ، وَلَجَ منه الذين يُريدونَ هدمَ الإسلامِ ، فما تَرَكوا شيئًا إلّا أَوَّلوه ، ولولا حمايةُ اللهِ ورعايتُهُ لهذا الدينِ لَدَرَست معالمُهُ ، وضاعتْ حدودُه » [2] .

---

(١) فليسَ هو عندَ مُخالِفي الحَقِّ في بابِ الصِّفات فقط كما قد يتوهَّمُ مَن لا يعلمُ . وانظر كتاب « الإمام ابن تيميّة وموقفُهُ من قضيّة التأويلِ » للدكتور محمد السيد الجليند ، فهو جامعٌ في مادّته ، نافعٌ في بابِه .

(٢) « التأويل : خطورته وآثاره » (ص ٨) للأَخ الفاضل الدكتور الشيخ عمر الأَشقر وفّقَه المولى .

النوعُ الثاني : التضعيفُ ؛ فإذا كانَ النصُّ الذي بين أَيديهم حديثًا نبويًّا ، ثمَّ عَسُرَ عليهم بابُ تأويلِه: (تحسَّسُوا) له علّةً ينفُذونَ منها إليه ، وتلَمَّسوا له وجهًا يَرُدُّونه بِهِ ، غيرَ مُلتفتينَ كونَ الحديثِ مرويًّا في « صحيح البخاري » !! أَو « صحيح مسلم » [١] !! أَو غير ذلك من الأَحاديثِ التي صحَّحها علماءُ المسلمين ؛ مستخدمينَ في ذلك أَلوانًا من الكلامِ المزخرفِ المنمَّقِ الذي يظهرُ منه لكلِّ طالبِ علمٍ (عارِفٍ) التكلُّفُ الشديدُ ، والتعنُّتُ الأَكيدُ في اختراعِ العِلَلِ ، واصطناعِ الردِّ ، وتثبيتِ الضَّعفِ !!

فحديثٌ له طُرُقٌ مُتعدّدةٌ ؛ ليسَ فيها كذّابٌ ولا مُتَّهَمٌ ، ولكنّه يُخالفُ ما يُريدونَ : فهو تالفٌ ، وباطلٌ ، ومنكرٌ ، وشاذٌّ !!

وعَكْسُهُ : عَكْسُهُ !

النوعُ الثالثُ : التعطيل ؛ وهو ضربُ النصوصِ بعضها ببعضٍ ؛ فإنّهم إذا عَجَزوا عن اختراعِ علّةٍ لحديثٍ ، و (كَعُّوا) عن الإغارةِ عليهِ بالتأويلِ والتحريفِ ، قالوا : هذا مردودٌ ! مُعَطِّلينَ دلالتَه وحُكْمَه !! مُتَعَلِّلينَ بحُجَّةٍ اعتزاليّةٍ (!) قديمةٍ حديثةٍ ، وهي قولُهم : « تقديمُ ظاهرِ القرآنِ على ما عَدَاهُ من آثارٍ » [٢] !! مُفتَخِرين أَنَّهم مِن « مدرسة الرأي » [٢] !!

فهذا كلُّه - منهم - حَرْبٌ وضَرْبٌ ..

وكذلكَ موقِفُهُم مِن الأَحاديثِ النبويّة بعضِها مع بعضٍ ، سواءً بسواءٍ !

---

(١) انظر ما سيأتي في (بيان) الوَجْهِ في ذلك (ص ١٢٧ و ١٣١) .

(٢) كما صرَّحَ الشيخ الغزاليّ (!) في مقدمته على « الأُسطورة » (ص ٩) .

فيقولونَ : هذا يخالفُ هذا !! و : هذا يناقضُ هذا !!

فهم لا يرفعونَ لوجوهِ الجمعِ بين النصوصِ رأسًا ، ولا يُقيمونَ لقواعدِ أَهلِ العلمِ في الشرحِ والبيانِ وَزْنًا !!

مع أَنَّ التوفيقَ بينَ النصوصِ جادّةٌ مسلوكةٌ قديمًا وحديثًا ؛ من المُؤالفينَ والمُخالفين ؛ معتزلةً وعقلانيّين ، فضلًا عن عُلماءِ السُّنّةِ وأَئمّةِ الدِّين .

فكم مِن مرَّةٍ قالَ الرَّازيُّ (!) في « تفسيره » : « لا منافاةَ بينَ الوجهينِ ؛ فوجبَ حملُ اللفظِ عليهما » ، كما في (٧ / ٨٨) منه - مثلاً - .

ولو تأمَّلْتَ - أَخي طالبَ العلمِ - كلماتِ هؤلاءِ (المُنكِرين) في ذلك على اختلافِ دَرَجاتِهم ، وتنوُّعِ مَشَارِبِهم - كما سيأتي بعضُهُ - لَرَأَيْتَ صِدْقَ ما قلتُ ، وصوابَ ما ذكرتُ ..

ولقد قالَ إمامُ أَهلِ السُّنَّة أَحمدُ بنُ حنبلٍ - رحمه اللهُ تعالى - في **أَصحابِ الرأي** ؛ كاشِفًا حقيقتَهم : « هُم مُبتدعةٌ ضُلَّالٌ ، أَعداءٌ للسُّنّةِ والأَثَرِ ، يُبْطِلونَ الحديثَ ، ويَرُدُّونَ على الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ .. وأَيُّ ضلالةٍ أَبْيَنُ مِمّن قال بهذا ، وَتَرَكَ قولَ الرسولِ وأَصحابِه .. وكفى بهذا غِيًّا مُرْدِيًا ، وطُغْيانًا [١] » .

أَقولُ : فَمَن ذا يرضىٰ على نفسِهِ أَنْ يكونَ مِن هؤلاءِ ، أَو مُتَشَبِّهًا - أَو مُتَشَبِّثًا - بأَذيالِهم ؟!

---

(١) « طبقات الحنابلة » (١ / ٣٥) للقاضي ابنِ أَبي يعلىٰ .
وانظر ما سَبَقَ عنه هنا (ص ٨) .



٦ - منزلةُ العقلِ [١] في الشرع

يتوكَّأُ كثيرٌ مِن المخالفينَ المُنكِرين على كلمةٍ صاغوها وزيَّنوها ، وجملةٍ صَنَعُوها وزخرفوها ؛ لِيَرُدّوا بها كثيرًا من حقائقِ الشرعِ ، ونصوصِ السنَّةِ ، بحُجَجٍ باهتةٍ، وشبهاتٍ واهيةٍ ، قائلينَ :

« **إنَّ الإسلامَ دينٌ يقومُ على العقلِ** » [٢]!!

... وهي كلمةٌ ظاهرها فيه الرَّحمةُ ، وباطنها مِن قِبَلِه العذابُ !!

وما ذاكَ - منهم - إلّا لِيَرُدُّوا دلالاتِ ما لم يَعْقِلوهُ مِن نصوصِ الشريعةِ ، بدعوى مُعارضتها للعقلِ ، أو عَدَمِ قَبولِ العقلِ لها !!

فالعقلُ - عندهم - على تبايُنِ أصحابِه ، وتَضارُبِ أَذنابِهِ - هو الحَكَمُ على الشرعِ !

وهذا باطلٌ جدًّا ..

فـ « **تحكيمُ العقلِ في النقلِ من أَهمِّ مظاهرِ الانحرافِ** ، وقد قالَ

---

(١) وفي كتابي « العقلانيُّون : أَفراخُ المعتزلة العصريُّون » تفصيلٌ مطوَّلٌ ، وما هُنا زائدٌ عليه ، فَلْيُضَمَّ إليهِ .

(٢) كما نقله صاحب « الأُسطورة » (ص ٨) عن الشيخ الغزالي !!

الشاطبيُّ [(١)] : إنَّ اللهَ جعلَ للعقولِ في إدراكها حدًّا تنتهي إليه لا تتعدّاه ، ولم يجعل لها سبيلًا إلى الإدراكِ في كلِّ مطلوبٍ ، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري في إدراك جميعِ ما كانَ ، وما يكونُ ، وما لا يكون !

والعقلُ لا يُجعَلُ حاكمًا بإطلاق ، وثبتَ عليه حاكمٌ بإطلاقٍ وهو الشرعُ ، بل **الواجبُ أن يُقَدَّمَ ما حقُّهُ التقديمُ ، وهو الشرعُ ، ويُؤَخَّرَ ما حقُّه التأخيرُ ، وهو العقلُ** .. لأنّه لا يصحُّ تقديمُ الناقصِ حاكمًا على الكاملِ ، وهو خلافُ المنقولِ والمعقولِ ، بل ضدُّ القضيّةِ هو الموافقُ للأدلّةِ ، وقد قيلَ :

« اِجعل الشرعَ في يمينِك ، والعقلَ في يسارِك » ؛ تنبيهًا على تقديمِ النقلِ على العقلِ » .

ولو نقدْنا العقلَ نقدًا علميًّا جزئيًّا – كما قالَ بعضُ الدُّعاةِ [(٢)]– مُجرَّدينَ عن سيطرةِ العقلِ على العقلِ ، نرى أَنَّ العقلَ وحدَه عاجزٌ عن أَداءِ وظيفتِه الطبيعيّةِ ، بل هو مضطرٌّ إلى الاستعانةِ بأَشياءَ هي أَقَلُّ منه قيمةً ، ففي إدراكِ ما لم يُدرِكْه العقلُ مِن قبلُ يحتاجُ إلى استخدامِ المعلوماتِ التي حصلتْ له مُسْبَقًا ، ولا تكونُ هذه المقدماتُ إلّا المحسوساتِ ، فلو حلَّلتَ المعقولاتِ كلَّها تحليلًا دقيقًا ، وسمعتَ رحلةَ العقلِ الطريفةَ ، والطويلةَ المدى ، عرفتَ وسيلةَ العقلِ في اكتشافِ العوالِم الجُدُدِ ، والغوصِ في البحارِ المجهولةِ ،

---

(١) « الاعتصام » (٢ / ٢٧٥) .

(٢) « بين الدين والمدنيّة » (ص ١٦) ، لأَبي الحَسَنِ النَّدْويِّ .

إنّما هي هذه المحسوساتُ ، التي تبدو تافهةً حقيرةً ، والمعلوماتُ البدائيّةُ التي لولاها - ولولا ترتيبها ترتيبًا خاصًّا - ، لَمَا وصلَ العقلُ إلى هذه النتائجِ الخطيرةِ ، ذاتِ القيمةِ الكبيرةِ ، فحيثُ تُشَلُّ الحواسُّ البشريّةُ ، وحيثُ لا تكونُ لدى الإنسانِ ذخيرةٌ من معلومات .. فهنالكَ يعجزُ أَحدُنا عن أَن يعبرَ البحرَ من غيرِ سفينة ، وأَن يطيرَ في الجوِّ من غيرِ طائرةٍ ..

ومن هنا كانَ تحكيمُ العقلِ في النقلِ من أَهمِّ مظاهرِ الانحرافِ لردِّ الأَحاديثِ الصحيحةِ (١) **، دونَ تمييزٍ بين ما يرفضُهُ العقلُ وما لا يُدْرِكُهُ** ؛ لأَنَّ الأَوَّلَ يصطدمُ مع الناموسِ الكليِّ ، ودَوْرِ الإنسانِ المنوطِ به في الحياةِ ، ولأَنَّ الثاني هو شأنُ العقلِ إزاءَ إدراكاتِ الكليّاتِ لهذا الناموسِ ، وإدراكاتِ بعضِ الجزئيّاتِ التي لا يستطيعُ أَن يُدْرِكَها بحالٍ .. !

من أَجلِ ذلك كانَ على العقلِ أَنْ يلوذَ بالصمتِ في مثلِ هذا الموقفِ ، وأَن يُقرَّ بعجزِه ، وأَن يسكتَ سكوتَ المحايدِ !

أَمّا أُولئكَ الذين نزَّلوا العقلَ منزلةً فوقَ منزلتِه ، ومنحوه قَدْرًا فوقَ قَدْرِه ، فإنَّ دعوتَهم حمقاءُ « لا تقومُ على ساقٍ ؛ وهي الزعمُ بأَنَّ العقلَ قادرٌ قدرةً مطلقةً على إدراكِ أَو تحصيلِ جميعِ المعلوماتِ !! إذ إنّه ليسَ لنا أَن ندَّعيَ أَنَّ له مكانًا في الإدراكِ يُتيحُ له أَن يحيطَ بكلِّ شيءٍ بمفردِه واستقلالِه ، بل إنَّ العقلَ متواضعٌ ومحدودٌ في مجالِ إدراكِه ، إذ يُوجَدُ طورٌ فوقَه ، وعالٍ عليه لا يقوى

---

(١) ولو كانَ ذلكَ بأُسلوبِ حَلَزونيٍّ مُلْبِسٍ مُدَلِّسٍ قائمٍ على : « حدَّثنا » و « أَخبرنا » !!

على إدراكِه ، وعلى أَنْ يطرقَ بابَه ، وإنّما الذين يقوَوْنَ على طَرْقِ بابِه والنفاذِ إليه ، إنّما هم الأَنبياءُ الذين أُوتوا وسائلَ توضيحِ حقائقِه ، والتعبيرِ عن قانونِه » [١] .

ومن هنا كان تقدّمُ النقلِ على العقلِ ، وكانَ على العقلِ - الذي شغلَ حيّزًا كثيرًا من الآياتِ بلغتْ بضعًا وأَربعينَ ، وَصَفَتِ المؤمنينَ الذين آمنوا بربِّهم بأَنّهم عقلاءُ ، يتدبّرونَ آياتِ اللهِ ، ووصفت المنحرفينَ بأَنّهم قومٌ لا يعقلونَ ، إن هم إلّا كالأَنعامِ ، بل هم أَضلُّ - أَن يُقِرَّ بأَنَّ **النقلَ شعاعٌ من نورِ الحقِّ ، يضيءُ للعقلِ أَن ينظرَ ويرى** ، على أَنَّ العقلَ الذي أُتيحَ له من فُرَصِ التفكيرِ ما يستطيعُ أَن يعيَ في يقظةٍ وإدراكٍ ، وقف عند مرحلةٍ محدودةٍ من التفكيرِ ، لا يستطيعُ أَن يتجاوزَها ؛ لأَنّها فوقَ استعدادِه ، وفوقَ طاقتِه ، وفوقَ إدراكِهِ [٢] .

إنّه تربّى على أَن يُفكِّرَ في كلِّ ما تقعُ عليه العين ، أَو يأتي إليه عن طريقِ الوسائلِ الحسيّةِ والمدرَكاتِ ، ولكنْ ما وراءَ ذلك التفكيرِ فيه تطاولٌ على الحقيقةِ ؛ لأَنَّ العقلَ يعجزُ أَن يحيطَ بإدراكِ ما لا يقدرُ عليه .. » [٣] !

فمن لم يستوعِبْ عقلُهُ تلبُّسَ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ ، أو المَسَّ الشيطانيّ

---

(١) « آراء أَبي بكر بن العربي الكلاميّة » (١ / ٤٤) للدكتور عمّار الطالبيّ .

(٢) انظر « الفكر الإسلاميّ بين العقل والوحي » (ص ٣٠) عبد العال سالم مكرم .

(٣) « أَضواء على حديث : خَلَقَ اللهُ التربة .. » (ص ٦٥ - ٦٧) للدكتور سَعْد المَرْصَفي - بتصرُّف يسير .

بسائِرِ صُنُوفِهِ ، أَثَرًا ، وإيذاءً ؛ فَلْيَرْمِ عقلَه بالقصورِ والعَجْزِ ، والضَّعْفِ والنَّقْصِ ، فهذه هي طبيعةُ البَشَرِ ..

فلعلّه يأتي اليومُ الذي يقتنعُ فيه (المُنْكِرُ) بما يعُدُّهُ الآنَ (مُسْتحيلًا [١]) (!)، كما جاءَه اليومُ الذي جَعَلَ فيه (**أُسطورةً**) ما كانَ عندَه بالأَمسِ اعتقادًا مُسلَّمًا !!

وليسَ يخفى على العُقلاءِ أَنَّ « عقلَ الإنسانِ خاضعٌ حسبَ ما يحيطُ به من معرفةٍ وما ينهلُ من ثقافةٍ ممّا أَوجدَ في المجتمعِ الإسلاميِّ عقولًا تهبطُ أَو تسمو وفقَ ما تعيه من قيمٍ وما تؤمنُ به من رسالاتٍ ، وما أَثّرَ عليها من ثقافة ، فأَيُّ العقولِ يُدعى الإنسانُ إلى عبادتِه والخضوعِ في هيكلِه وصومعتِه ؟! » [٢].

(١) ومِن هذا البابِ تسميةُ بعضِ المُنكرينَ للصَّرْعِ والتلبُّسِ والمَسّ كتابَه بـ «**استحالة دخولِ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ**» !! وهو بهذهِ التسميةِ المبنيّةِ على غيرِ علم ولا معرفةٍ قد هَدَمَ كتابَه ؛ فإنّ التعريفَ العلميَّ المعروفَ للمستحيلِ هو : « **ما يُوجبُ العقلُ عَدَمَه ، ولا يُجيزُ إمكانَ وجودِه في أَيّةِ حالةٍ مِن الحالاتِ التي يتصوّرها الذِّهْنُ ، مهما تسامَحَ في تخيُّلِ الشروطِ المناسبةِ لِقَبُولِ وجودِهِ معها** ».

كما قالَهُ بعضُ المصنِّفين في العقيدة .

فهل مسأَلةُ (الصَّرْع) و (التَّلبُّس) و (المَسّ) تدخُلُ في هذا المعنى ، ويتضمّنها هذا التعريفُ ؟!

أَم أَنَّ (هؤلاءِ) يكتبونَ ما لا يعرفون ، ويُنكِرون ما لا يفهمون !؟

أَم أَنَّ هذا العنوانِ من قبيلِ استعراضِ العضلاتِ بتضخيمِ الكلماتِ ؟!!

(٢) « مقام العقل في الفكر الإسلاميّ » (ص ٢٨) ، للأستاذ يوسف العظم ، نشر المكتبة الإسلاميّة – عمان .

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميّةَ في « مُوافقةِ صحيحِ المنقولِ لصريحِ المعقولِ » (١ / ١٢٦) :

« النصوصُ الثابتةُ في الكتابِ والسنّةِ لا يعارضُها معقولٌ بَيِّنٌ قطّ ، ولا يُعارضُها إلّا ما فيه اشتباهٌ واضطرابٌ ، وما عُلمَ أنّه حقٌّ لا يعارضُهُ ما فيه اضطرابٌ واشتباهٌ ، ولم يُعلمْ أنَّه حقٌّ .

بل نقولُ قولًا عامًّا كليًّا : إنَّ النصوصَ الثابتةَ عن الرّسولِ ﷺ لم يُعارِضْها قطٌّ صريحُ معقولٍ ، فضلًا عن أَن يكونَ مقدَّمًا عليها ، وإنّما الذي يعارضُها : شُبَهٌ وخيالاتٌ مبناها على معانٍ متشابهةٍ وأَلفاظٍ مجملةٍ ، فمتى وَقَعَ الاستفسارُ والبيانُ ظَهَرَ أَنَّ ما عارَضها شُبَهٌ سوفِسْطائيّةٌ [1] لا براهينُ عقليّةٌ » .

ويقولُ العلّامةُ المؤرِّخُ ابنُ خَلْدون في « مقدّمته » المشهورةِ (ص ٣٦٤ - ٣٦٤) : « العقلُ ميزانٌ صحيحٌ ، فأَحكامُه يقينيّةٌ لا كَذِبَ فيها ، غير أَنَّك لا تَطْمَعُ أَن تَزِنَ بِهِ أُمورَ التوحيدِ ، والآخرةِ ، وحقيقةَ النبوّةِ ، وحقائقَ الصفاتِ الإِلٰهيّة ، **وكلَّ ما وراءَ طَورِه** ؛ فإِنَّ ذلك طَمَعٌ في مُحالٍ ، ومثالُ ذلك مثالُ رجلٍ رأى الميزانَ الذي يُوزَنُ به الذهبُ ، فَطَمِعَ أَن يَزِنَ به الجبالَ ! وهذا لا يَدُلُّ على أَنَّ الميزانَ في أَحكامِه غيرُ صادقٍ ، لكنَّ العقلَ قد يَقِفُ عندَه ، ولا يَتعدَّى طورَه حتّى يكونَ له أَن يُحيطَ باللهِ وبصفاتِه ، فإِنّه مِن ذَرّاتِ الوجودِ الحاصلِ منه » .

---

(١) قال الجرجانيُّ في « التعريفات » (ص ١٥٨) : « السفسطة : قياس مركّب من الوهميّات ، والغرض منه : تغليط الخصمِ وإِسكاته » .

وهذا الإذعانُ المُبِينُ بعجزِ العقلِ وقُصورِه دَفَعَ كثيرًا من (المُنصفين) - وإنْ لم يكونوا مُسلمين - إلى الإقرارِ بجهلهم كثيرًا من الأشياءِ المتعلّقةِ بالإنسانِ ، سواءٌ من الناحيةِ العقليّةِ أو الرُّوحيّةِ :

قال الدكتور ألَكسيس كارِيل في كتابِه « الإنسان ذلك المجهول » (ص ١٧ - ١٩) :

« وواقعُ الأَمرِ أَنَّ جهلَنا مطبقٌ ، فأَغلبُ الأَسئلةِ التي يلقيها على أنفسِهم أُولئكَ الذين يدرسونَ الجنسَ البشريّ تظلُّ بلا جوابٍ ، لأَنَّ هناكَ مناطقَ غير محدودةٍ في دنيانا الباطنيّةِ ما زالتْ غيرَ معروفةٍ .

إننا ما زلنا بعيدينَ جدًّا من معرفة ماهيّةِ العلاقاتِ الموجودةِ بينَ الهيكلِ العظميّ والعضلاتِ والأَعضاءِ ووجوهِ النشاطِ العقليّ والرُّوحيّ .. كيفَ نستطيعُ أَن نحولَ دونَ تدهورِ الإنسانِ وانحطاطِهِ في المدنيّةِ المعاصرةِ ؟

وهناكَ أَسئلةٌ أُخرى لا عدادَ لها يمكنُ أَنْ تُلقى في موضوعاتٍ تعتبرُ على غايةِ الأَهميّةِ بالنسبةِ لنا ، ولكنّها ستظلّ جميعًا بلا جوابٍ ، فمن الواضحِ أَنَّ جميعَ ما حقَّقَه العلماءُ من تقدّمٍ فيما يتعلّقُ بدراسةِ الإنسانِ ما زالَ غيرَ كافٍ ، وأَنَّ معرفتَنا بأَنفسِنا ما زالتْ بدائيّةً في الغالبِ » .

« و**خُلاصةُ القولِ في العلاقةِ بينَ العقلِ والشرعِ** : هو أَنَّ العقلَ يتلقّى عن الرسالةِ الإلهيّةِ ، ودورُهُ أَن يفهمَ ويستوعبَ ما جاءَ في القرآنِ والسنّةِ ، وأَن يقبلَ ما جاءَ فيهما ويطيعَه وينفّذَ ، سواءٌ أَكانَ مدلولُه مألوفًا أَم غريبًا عليه ،

ومن ثمَّ فلا يُحاكمُ العقلُ مقرراتِ الدين – متى صحَّ عندَه أنَّها من اللهِ – إلى أيّةِ مقرراتٍ أُخرى من صنعهِ الخاصّ ، فهو ليسَ شريكًا ليحاكمَ بمقرراتِه الخاصّةِ مقرراتِ اللهِ سبحانَه وتعالى ، فالحقُّ هو ما قالَه الحقُّ ، وليس للعقلِ أنْ يقولَ : ولكنْ أرى المصلحةَ في كذا وكذا ! فالنصُّ هو الدليلُ وليسَ العقلَ ، والعقلُ يتبعُ الدليلَ وليسَ الدليلُ تابعًا للعقلِ ، لأنَّ اللهَ تعالى هو الحاكمُ ، فهو القائل : ﴿ إِنِ الحُكْمُ إِلّا للّهِ يقصُّ الحقَّ وهو خيرُ الفاصلين ﴾ » [(١)] .

○ وها هنا مسألةٌ مهمّةٌ لا بُدَّ من بيانِها وإظهارها ؛ ففهمُها هو الأَصلُ في الرَّدِّ على شبهاتِ المُنكرين :

قالَ الشيخ أَبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهريّ [(٢)] :

« ومن ضروراتِ الأَفكارِ الخالصةِ رفضُ التلازمِ بينَ العلمِ بوجودِ الشيءِ وبينَ العلمِ بكيفيّتِه .

وفطرةُ العقلِ والخبرةُ الحسيّةُ العلميّةُ ترفضُ هذا التلازمَ ، وتقرُّ بأَنَّ العلمَ بكيفيّةِ الشيءِ علمٌ بوجودِهِ وكيفيّتِهِ ، وأَنَّ الجهلَ بالكيفيّةِ لا يقتضي الجهلَ بالوجودِ ، بل قد يحصلُ العلمُ بوجودِ الشيءِ ، ويقصرُ عن العلمِ بكيفيّته .

وما غُيِّبت عنا كيفيّتُه وعلمنا وجودَه قد نعرفُ كيفيّتَه بالوصفِ ، وقد لا نعرفها مطلقًا ، فيكون علمُنا إيمانًا بالواقعِ المغيّبِ .

---

(١) ذَهَبَ عنّي مصدرُ هذا النقلِ ، وتوثيقُه ؛ فأَضعُهُ بينَ قوسين أَداءً لأَمانة العلم .

(٢) في كتابه « أَبو نصر الفارابي » (ص ٧٨ – ٨١) .

وقد نعلمُ الكيفيّةَ بالحسِّ ، فنكونُ مؤمنينَ بالواقعِ المشهودِ .

والعلمُ بالكيفيّةِ ليسَ هو المميّزَ للحقيقةِ من الخرافةِ ، لأَنَّ الحقيقةَ قد تكونُ في قبضةِ الحسِّ البشريِّ المحدودِ ، وقد تكونُ مغيّبةً عنه .

وإنّما الإيمانُ بالخرافةِ ينحصرُ في الإيمانِ بما عُلِمَ امتناعُ وجودِهِ ، وإنّما كانَ خرافةً لأَنّه إلغاءٌ للعلمِ وتعطيلٌ للعقلِ .

وإنكارُ الحقيقةِ جهلٌ ليسَ بأَقلَّ خطرًا من الإيمانِ بالخرافةِ ، ويكونُ إنكارُ الحقيقةِ بإِحالةِ ما عُلمَ وجودُه ، وقطْعِ أَحدِ الاحتمالين عمّا عُلم إمكانُه .

فصاحبُ الخرافةِ مدّعٍ لما ليسَ في الواقعِ ، والملحدُ منكرٌ لما هو في الواقعِ ، وكلاهما جهلٌ وعنادٌ .

يكونُ صاحبُ الخرافةِ جاهلًا إذا لم يعلمْ بالمانعِ ، ويكونُ معاندًا إذا تشبّثَ بما يعلمُ امتناعَه .

ويكونُ الملحدُ جاهلًا إذا لم يعلمْ بوجودِ ما أَنكرَه أَو إمكانِه ، ويكونُ معاندًا إذا عطّلَ العلمَ وأَسقطَ مقتضاهُ .

وما علمنا وجوده بالبرهانِ ، ولم نعاين كيفيّتَه ، قد نعلمُ صفاتِه بمفهومٍ لُغويٍّ ، ولا نعلمُ كيفيّةَ الصفةِ ؛ لأَنّه لا يوجَدُ في حِسّنا البشريِّ كيفيّةٌ مماثلةٌ .

فيكونُ العلمُ حينئذٍ علمًا بالوجودِ ، وعلمًا بوجودِ صفاتِ الموجودِ دونَ علمٍ بكيفيّتِها .

وإنّما قلتُ : « العلمُ بالوجودِ وصفاتِ الموجودِ لا يلزمُ منه العلمُ بالكيفيّةِ

وصفًا أَو معاينةً » لثلاثةِ أَسبابٍ :

أَولها : من واقعِ تحليلنا لمعرفتنا البشريّةِ ؛ فثمّةَ أَشياءُ عرفنا وجودَها قبلَ أَنْ نعرفَ كيفيّتَها ، وثمّةَ أَشياءُ يقرُّ العلمُ الحديثُ بمعرفةِ وجودِها ، ولا يزالُ يجهلُ كيفيّتَها .

وثانيها : أَنَّ ما يعلمُه الإِنسانُ بحسِّهِ بينَ مدٍّ وجزرٍ خلال مرحلةِ العمر منذ رحمةِ المهدِ إلى وحشةِ اللحدِ ؛ فهو يعلمُ في سنِّ اليفاعِ ما لا يعلمُهُ في سنِّ الطفولةِ ، ويعلم بالتعلّمِ ما لا يعلمُهُ في عهدِ الأُميّة ، ويعلمُ كثيرًا ويموتُ وهو لا يعلمُ أَشياءَ أَكثرَ .

إِذن ؛ فالوجودُ ليسَ محصورًا في الحسِّ البشريِّ ، وإِنّما في وُسعِ الحسِّ البشريِّ بعضُ الموجوداتِ .

وثالثها : أَنَّ الحسَّ فيما شاهده عَلِمَ بأَنَّ الموجوداتِ مختلفةٌ ، وربّما عزّ الأُنموذج لأَحدِ الموجوداتِ المحسوسةِ بأُنموذج محسوسٍ أَيضًا .

« إِذن ؛ فما غُيِّبَتْ كيفيّتُه عن الحسِّ البشريِّ ليس من الشرطِ أَنْ يكونَ له في الموجودِ المحسوسِ ما يقاربُ صفتَه، ولهذا سهُلَ على المؤمنِ[1] أَن يتصوَّرَ في الجنَّة ما لا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ[2] » ،

---

(١) الذي مِن أَوائل صفاتِهِ الإِيمانُ بالغيبِ ، أَمّا مَن لم يُقِمْ قَلْبَه على هذا الاعتقادِ الصفيِّ النقيِّ ، فصار يُشَكِّكُ بالغيبيّاتِ ، ويغمزُ فيها !! فإِنَّ هذا له شأنٌ آخرُ ...

(٢) كما رواه البخاري (٣٢٤٤) ، ومسلم (٢٨٢٤) عن أَبي هريرةَ مرفوعًا ؛ حديثًا قدسيًا .

ومثلُهُ - أَيضًا - أَن (يستوعِبَ) ما استعصى عليه فهمُهُ ، أَو صَعُبَ عليه عقلُهُ ، كالمَسِّ ، والصَّرْعِ ، وشِبْهِهِما !!

واللهُ - وحدَه - الهادي .

□ □ □ □ □



٧ - آية المسّ عند المفسّرين

يُعَدُّ قولُهُ تعالى : ﴿ الذينَ يأكُلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الذي يتخبّطُه الشيطانُ من المسّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] هو الأَصلَ الأَصيلَ الذي ثبّتَ به العُلماءُ والأَئمّةُ والمفسّرونَ مسألةَ المَسِّ الشيطانيِّ ، ودخولِ الجانِّ بَدَنَ الإِنسانِ [١] ، وإيذائِهِ إيذاءً بَدَنيًّا .

ولقد فسَّرَ الآيةَ على ظاهرِها وَفْقَ ما تقتضيهِ معاني اللُّغةِ وأَدواتِ البيانِ جمهورُ المفسِّرين [٢] ، وعُمومُ أَئمّةِ المسلمين .

ولم يخالفْ في ذلك إلّا من (مَسَّتْهُ) لوثةُ اعتزالٍ ، أَو (خَبَطَتْهُ) شُبْهَةُ عَقْلَنَةٍ !! أَو (تأثّرَ) بقولٍ لهؤلاءِ أَو أُولئك !!

قال الإِمامُ القرطبيُّ في « الجامعِ لأَحكامِ القرآنِ » (٣ / ٣٥٥) :

« في هذه الآيةِ دليلٌ على **فسادِ إنكارِ مَن أَنكرَ الصَّرْعَ** من جهةِ الجنِّ ،

---

(١) وانظر ما تقدّمَ (ص ٤٠) من كلامِ الأَطبّاءِ في بيانِ ذلكَ وتوجيهِهِ .

(٢) وهو ما أقرَّ به كاتبُ « الأُسطورة .. » (ص ٥٤) ! لكنّه هَدَمَهُ بقولِه : « وهذا مَزْعَمٌ باطلٌ » ! **وهو بِهِ أَحرىٰ !**

وزَعَمَ أَنّه مِن فعلِ الطبائعِ ، وأَنَّ الشيطانَ لا يسلُكُ [١] في الإِنسانِ ، ولا يكونُ مِنْهُ مَسٌّ » [٢] .

وقالَ أَبو حيّان الأَنْدَلُسيُّ في « النَّهْر المادّ » (١ / ٢٧٥) :

« والظّاهِرُ أَنَّ الشيطانَ يتخبّطُ الإِنسانَ حقيقةً » .

ونحوُهُ في « البحر المحيط » (٢ / ٧٠٣) له .

أَقولُ :

ولو نقلتُ أَقوالَ أَئمّةِ التفسيرِ في تأْييدِ ذلك لخرجَ الكتابُ عن مقصودِه ، وتضخَّمَ حجمُهُ أَضعافًا مُضاعَفَةً ، وأَكتفي بما أَشرتُ [٣] ..

ثمَّ رأيتُ لَفْتَةً تفسيريّةً لُغويّةً نفيسةً رائعةً تَنقُضُ على مَن تأوّلَ المَسَّ بالوسوسةِ رأْيَه ، وتَرُدُّ عليهِ بالحُجّةِ قولَه ؛ فلم أُحِبَّ تفويتَها على القُرّاءِ الأَفاضلِ :

قالَ الإِمامُ البِقاعيُّ في تفسيرِه العجيبِ المُسمَّى « نَظم الدُّرَر في تناسُبِ

---

(١) أَي : يدخلُ ، ومنه قولُه تعالى : ﴿ واسْلُكْ يَدَكَ في جَيْبِكَ **تَخْرُجْ** بيضاءَ من غيرِ سوءٍ ﴾ ..

فالسُّلوكُ - وهو الدُّخول - قابَلَه الخروجُ ..

(٢) ونقله عنه وأَقرّه غيرُ واحدٍ من العلماءِ ، منهم الشوكانيّ في « فتح القدير » (١ / ٣٢٦) ، وصدّيق حسن خان في « فتح البيانِ » (٢ / ١٣٨) وغيرهما .

(٣) وسيأتي في مواضعَ من هذا الكتابِ نقولٌ أُخرى عن بعضِ الأَئمّةِ في تفسيرِها ؛ كالطبريِّ ، والبغويِّ ، وابنِ كثيرٍ ، وابن قتيبة ، وابن الجوزيِّ ، وغيرِهم .

الآياتِ والسُّور » (٤ / ١١٠) في تفسيرِ الآيةِ نفسِها :

« ﴿ يتخبّطُه ﴾ : أَي : يتكلّفُ خبطَه ، ويكلِّفُه إِيّاه ، ويشقُّ به عليهِ » .

قال :

« ولمّا كانَ ذلك قد يُظَنُّ أَنّهُ تخبُّطُ الفكرِ بالوسوسةِ مَثَلًا ، قال : ﴿ مِن ﴾ أَي : تخبُّطًا مُبتدِئًا [1] مِن ﴿ المَسِّ ﴾ أَي : الجنون » .

أَقولُ : وهذا وجهٌ قويٌّ مُسْتَحْسَنٌ غايةً .

□ □ □ □ □

---

(١) أَي : مَنْشؤهُ وأَساسُه .

وقد شَرَحَ ذلك العلّامةُ الشيخ الطاهرُ بنُ عاشور في كتابِه « التحرير والتنوير » (٣ / ٨٢) قائلًا :

« وإنّما احْتِيجَ إلى زيادةِ قولِه : ﴿ مِن المَسِّ ﴾ ليظهرَ المرادُ مِن تخبُّطِ الشيطانِ ، **فلا يُظَنُّ أَنّه تخبُّطٌ مجازيّ بمعنى الوسوسة** » .

ثمَّ قالَ : « **ونحن على خلافِ ما يقولُ المعتزلةُ** » .

(**تنبيهٌ**) : نَقَلَ كلامَ ابنِ عاشور هذا – من غيرِ فهمٍ – صاحبُ « الاستحالة » (ص ٨١) مؤيِّدًا به نفيَه !!!

وأَمّا صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٦١) فقد نقلَ منه (فقط) ما ذكره عن المعتزلة – ابتداءً – من تأويلِهم المسّ المذكور ، (وبَتَرَ) هذا الذي أَثبتُّه كلَّه ، وهو المُتضمِّنُ بجلاءٍ إِثباتَ القضيّة ، والنفيَ الصريحَ منه لكلامِ المعتزلةِ !!! فأَينَ الأَمانةُ والإِنصافُ ؟!



٨ - الصَّرْع عند العلماء

□ قال شيخُ الإِسلامِ ابن تيميّة رحمه اللهُ في « مجموعِ الفتاوى » (٢٤ / ٢٧٦) :

« **ليسَ في أَئمّةِ المسلمين مَن يُنكرُ دخولَ الجنّي في بَدَنِ المصروعِ وغيرِه** ، ومَنْ أَنكرَ ذلكَ ، وادَّعى أَنَّ الشرعَ يُكَذِّبُ ذلك ، فقد **كَذَبَ على الشرعِ** ، **وليس في الأَدلّةِ الشرعيّةِ ما ينفي ذلك** [١] » .

ثمَّ قالَ رحمه الله تعالى :

« **دخولُ الجنّيّ ثابتٌ باتّفاقِ أَئمّةِ أَهلِ السنّةِ والجماعةِ..** » .

□ وقال الحافظُ ابنُ حَجرٍ العسقلانيُّ رحمه اللهُ تعالى في « فتح الباري » (١٠ / ١١٩) :

« انْحِباسُ الريحِ قد يكونُ سببًا للصَّرْعِ ؛ وهي علّةٌ تمنعُ الأَعضاءَ الرئيسيّةَ عن انفعالِها منعًا غيرَ تامٍّ .

---

(١) فَمَن لم يَثْبُت عندَه شيءٌ في ذلك فله أَن يتوقَّفَ ويمتنعَ عن القولِ به ، أَمّا أَن يُنكرَ ويستنكر ، ويُلْبِسَ إِنكارَهُ واستنكارَه ثوبَ الشرع ، ولَبُوسَ الحكمِ الدينيِّ فليسَ عندَه في دلائل الشرع ولا شبهُ دليلٍ على ادِّعائِه ودعواه .

وهذه قضيَّةٌ جليلةٌ جدًّا ، فتفهَّمها .

وقد يكونُ الصَّرعُ من الجنِّ ..

والأَوّلُ هو الذي يُثبِتُهُ جميعُ الأَطبّاءِ ، ويذكُرونَ علاجَه ، **والثاني يجحدُهُ كثيرٌ منهم ، وبعضُهم يُثبِتُهُ** ، ولا يُعرفُ له علاجٌ إلّا بمقاومةِ الأَرواحِ الخيِّرةِ العُلويّةِ لتندفعَ آثارُ الأَرواحِ الشريرةِ السُّفليّةِ ، وتُبطلَ أَفعالَها .

ومَّن نصَّ على ذلكَ أَبقراط ؛ فقال لمّا ذَكرَ علاجَ المصروعِ : هذا إنّما ينفعُ في الذي سَبَبُهُ أَخلاطٌ ، وأَمّا الذي يكونُ مِن الأَرواحِ فَلا » .

أَقولُ : وقد سَبَقَ (ص ٢٦ و ٦٩) نقلُ كلامِ عددٍ من أَهلِ العلمِ في ذلك ، منهم القرطبيُّ ، وابنُ القيِّمِ ، وغيرُهما .

ولقد نَقَلَ كلامَ هؤلاءِ الأَئمّةِ غيرُ واحدٍ من العُلماءِ بعدَهم ، **فهم الذين عليهم المُعَوَّل ، وإليهم يُرَدُّ الأَمرُ الآخِرُ والأَوّل** .

□ وقالَ الإمامُ ابنُ حزمٍ في كتابِه « الفِصَلِ في المللِ والأَهواءِ والنِّحَلِ » (٥ / ١١٣) :

« وأَمّا الصرْعُ ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال : ﴿ كالذي يتخبَّطُهُ الشيطانُ من المسِّ ﴾ ، **فذكرَ عزَّ وجلَّ تأثيرَ الشيطانِ في المصروعِ إنّما هو بالمماسّةِ** ، فلا يجوزُ لأَحدٍ أَن يزيدَ على ذلك شيئًا [١] ، ومَن زادَ على هذا شيئًا فقد قَفا ما

---

(١) كمُخاطَبةِ الجنّيِّ ، ومُجادلتِهِ ، والأَخذِ عنه !! وغير ذلك ممّا هو زائدٌ على مُجرّدِ أَمرِهِ بالخروجِ ، وانظر ما سَبَقَ (ص ٥١) .

• وقد نَقَلَهُ القاسميُّ في « مَذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجنّ » (ص ٤٨) .

لا علمَ له به ، وهو حرامٌ لا يَحِلُّ ؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بِهِ علمٌ ﴾ .

وهذهِ الأُمورُ لا يُمْكِنُ أَن تُعْرَفَ البتةَ إِلّا بِخَبَرٍ صحيحٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ ، ولا خبرَ عنه عليه السلامُ بغيرِ ما ذكرنا ، وباللهِ تعالى التوفيق .

فصحَّ أَنَّ الشيطانَ يمسُّ الإنسانَ الذي يسلِّطُه اللهُ عزَّ وجلَّ مسًّا - كما جاءَ في القرآنِ - يُثِيرُ بِهِ من طبائعِه السوداءِ والأَبخرةِ المتصاعدةِ إلى الدماغِ كما يخبرُ به عن نفسِه كلُّ مصروعٍ بلا خلافٍ ، **فَيُحْدِثُ اللهُ عزَّ وجلَّ له الصرعَ والتخبّطَ حينئذٍ كما نُشاهدُه ، وهذا هو نصُّ القرآنِ وما توجبهُ المشاهدةُ** ، وما زادَ على هذا فخرافاتٌ من توليدِ العزَّامينَ والكذّابينَ [١]، وباللهِ تعالى نتأيّدُ » .

□ وقال سماحةُ أُستاذِنا العلّامة الشيخ عبدالعزيزِ بن بازٍ - حفظَه اللهُ تعالى ونَفَعَ به - في « مجموعِ فتاواه » (٣ / ٣٠٠ - ٣٠٣) ما نصُّه :

« ثَبَتَ في « الصحيحين » من حديث أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ أَنّه قال : « إنَّ شيطانًا عرضَ لي فشدَّ عليَّ ليقطعَ الصلاةَ عليَّ ، فأَمكنني اللهُ منهُ ، فذعتُّهُ ، ولقد هممتُ أَن أُوثقَه إلى ساريةٍ حتّى تصبحوا فتنظروا إليه ، فذكرتُ قولَ أَخي سليمان عليه السلام : ﴿ ربِّ اغفِرْ لي وَهَبْ لي مُلكًا لا ينبغي لأَحدٍ مِنْ بَعْدي ﴾ ، فردَّه اللهُ خاسئًا » .

---

(١) انظر التعليق السابق .

هذا لفظُ البخاريّ ، ولفظُ مسلمٍ : « إنَّ عفريتًا من الجنِّ جَعَلَ يفتكُ عليَّ البارحةَ ليقطعَ عليَّ الصلاةَ ، وإنَّ اللهَ أَمكنني منهُ ، فذعتُّهُ ، فقد هممتُ أَن أَربطَه إلى جانبِ ساريةٍ من سواري المسجدِ حتّى تصبحوا تنظرونَ إليه أَجمعون أَو كلُّكم ، ثمَّ ذكرتُ قولَ أَخي سُليمان : ﴿ ربِّ اغفر لي وهبْ لي مُلكًا لا ينبغي لأَحدٍ من بعدي ﴾ فردَّه اللهُ خاسئًا » .

وروى النسائيُّ على شَرطِ البخاريِّ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « .. حتّى وجدتُ بَرْدَ لسانِه على يدي ، ولولا دعوةُ سليمان لأَصبحَ مُوثقًا حتّى يراه النّاسُ » .

ورواهُ أَحمدُ وأَبو داودَ من حديثِ أَبي سعيد ، وفيه : « ... فأَهويتُ بيدي ، فما زلتُ أَخنقُهُ حتّى وجدتُ بَرْدَ لُعابِهِ بين أَصابعي هاتين ؛ الإِبهامِ والتي تليها » .

وخرّجَ البخاريُّ في « صحيحه » تعليقًا مجزومًا به [1] (٤ /٤٨٧ - من

---

(١) لهذا الحديث طُرقٌ كثيرةٌ جدًّا موصولةٌ ، بأَسانيدَ مُتنوّعةٍ ؛ فيها الضعيفُ يسيرًا ، وفيها الحَسَنُ ، وفيها الصحيحُ ، لو جُمعت لجاءت كتابًا مُستقلاًّ .

ثمَّ رأيتُ صاحبَ « الأُسطورةِ » (ص ٩٧) يقولُ فيه : « **قرّرنا ضعْفَه** .. » !! فَدُهِشتُ لصنيعِهِ ، وفُجِعْتُ لِتَعْبيرِه !

أَقولُ : وفضلُ آيةِ الكرسيِّ في السنّةِ ثابتٌ من وجوهٍ متعدِّدةٍ ، وكذلك آثارُها - في الواقع - ونتائجها ؛ يقول شيخُ الإسلام ابن تيميّة رحمه اللهُ تعالى في « مجموع الفتاوى » (١٩ / ٥٥) :

* « ومع هذا فقد جرَّبَ المجرِّبونَ الذين لا يُحصون كثرةً أَنَّ لها من التأثيرِ في دفعِ =

« الفتح ») عن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أَنَّه قالَ : وكَّلني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاةِ رمضانَ ، فأَتاني آتٍ فجعلَ يحثو من الطعامِ ، فأَخذتُهُ ، فقلتُ : واللهِ لأَرفعنّكَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، قال : إنّي محتاجٌ ، وعليَّ عيالٌ ، ولي حاجةٌ شديدةٌ ، قال : فخلّيتُ عنه ، فأَصبحتُ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « يا أَبا هُريرةَ ما فعلَ أَسيرُكَ البارحةَ ؟ » ، قلتُ : يا رسولَ اللهِ ! شكى حاجةً شديدةً وعيالًا ، فرحمتُه وخلّيتُ سبيلَه، قال: « أَمَا إنَّه قد كَذَبَكَ ، وسيعودُ »، **فعرفتُ أَنّه سيعودُ لقولِ [1] رسولِ اللهِ ﷺ** ، فرصدتُه ، فجاءَ يحثو من الطعامِ ، فأَخذتُه ، فقلتُ : لأَرفعنّكَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، قال : دعني فإنّي محتاجٌ ، وعليَّ عيالٌ ، ولا أَعودُ ، فرحمتُه فخلّيتُ سبيلَه ، فأَصبحتُ ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ : « يا أَبا هُريرةَ ! ما فعلَ أَسيرُكَ البارحةَ ؟ » ، فقلتُ : إنّه شكى حاجةً شديدةً وعيالًا فرحمتُه ، وخلّيتُ سبيلَه ، قال : « أَمَا إنّه قد كَذَبَكَ، وسيعودُ »، فرصدتُه الثالثةَ ، فجاء يحثو من الطعامِ ، فأَخذتُه ، فقلتُ : لأَرفعنَّكَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، وهذا آخرُ ثلاثِ مرّاتٍ ، إنّك زعمتَ لا تعودُ

= الشياطينِ وإبطالِ أَحوالِهم ما لا ينضبطُ من كثرته وقوّته ، فإنَّ لها تأثيرًا عظيمًا في دفعِ الشياطينِ عن نفسِ الإنسانِ وعن المصروعِ وعمّن تعينُه الشياطينُ مثل أَهل الظلمِ والغضبِ ، وأَهل الشهوةِ والطربِ ، وأَربابِ سماعِ المُكاءِ والتصديةِ ، إذا قرئت عليهم بصدقٍ دفعت الشياطين ، وبطلت الأُمورُ التي يخيلُها الشيطان ، ويبطلُ ما عند إخوانِ الشياطينِ من مكاشفةٍ شيطانيّةٍ وتصرُّفٍ شيطانيٍّ ، إذ كانت الشياطين يوحون إلى أَوليائهم بأُمور يظنّها الجهّال من كراماتِ وأَولياء الله المتقين ، وإنّما هي من تلبُّساتِ الشياطين على أَوليائهم المغضوب عليهم والضالّين » .

(١) هذا هو التسليمُ الحقُّ لأَقوالِ سيّد الخَلْق .

ثمَّ تعودُ .. قال : دعني أعلِّمْكَ كلماتٍ ينفعُكَ اللهُ بها ، قلتُ : ما هي ؟ قال : إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسيّ : ﴿ اللهُ لا إلٰه إلّا هو الحيُّ القيّومُ ... ﴾ حتّى تختمَ الآيةَ ، فإنّك لن يزالَ عليكَ من اللهِ حافظٌ ، ولا يقربنّكَ شيطانٌ حتّى تصبحَ ، فخلّيتُ سبيلَه فأصبحتُ ، فقالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ : « ما فعلَ أسيرُك البارحةَ ؟ » قلتُ : يا رسولَ اللهِ ! زعم أنَّه يعلِّمني كلماتٍ ينفعُني اللهُ بها ، فخلَّيتُ سبيلَه ، قال : « ما هي ؟ » قلتُ : قالَ : إذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأْ آيةَ الكرسيّ من أولِها حتّى تختمَ الآيةَ : ﴿ اللهُ لا إلٰه إلّا هو الحيُّ القيّوم ... ﴾ ، وقال لي : لن يزالَ عليكَ من اللهِ حافظٌ ، ولا يقربُك شيطانٌ حتّى تصبحَ - **وكانوا أحرصَ شيءٍ على الخيرِ** - فقالَ النبيُّ ﷺ : « أمَا إنّه **قد صدَقَك** وهو كَذوبٌ ، تعلمُ مَن تُخاطبُ منذُ ثلاثِ ليالٍ يا أبا هُريرةَ ؟ » ، قال : لا ، قال : « ذاك شيطانٌ » .

وقد أخبر النبيُّ ﷺ في الحديثِ الصحيح الذي رواه الشيخانِ : « إنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ » [1] .

كما ثَبَتَ في الأحاديث الصحيحةِ عن النبيِّ ﷺ أَنَّ كلَّ إنسانٍ معه قرينٌ من الملائكةِ ، وقرينٌ من الشياطينِ حتّى النبيّ ﷺ ، إلّا أنَّ اللهَ أعانَه عليه فأسلمَ ، فلا يأمرُه إلّا بخير [2] .

---

(١) انظر ما سيأتي حول هذا الحديث (ص ١٤١) .

(٢) رواه مسلم (٢٨١٤) عن ابن مسعودٍ .

وقد دلَّ كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ وسنّةُ رسولِه ﷺ وإجماعُ الأُمّةِ على جوازِ دخولِ الجنيِّ بالإنسيِّ وصرعِه إيّاهُ ، فكيفَ يجوزُ لمن ينتسبُ إلى العلمِ (١) أن ينكرَ ذلك بغيرِ علمٍ ولا هدى ، بل تقليدًا لبعض أهلِ البدعِ المخالفينَ لأهلِ السنّةِ والجماعةِ ؟!

فاللهُ المستعانُ ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ .

وأنا (٢) أذكرُ لكَ أيّها القارئُ ما تيسّر من كلامِ أهلِ العلمِ في ذلِك ، إن شاءَ اللهُ :

– بيانُ كلام المفسرين رحمه اللهُ في قولِه تعالى :

﴿ الذينَ يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الذي يتخبّطُهُ الشيطانُ من المسِّ ﴾ :

قال أبو جعفر بن جريرٍ [الطبريّ] رحمه اللهُ في تفسير قولِه تعالى : ﴿ الذين يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الذي يتخبّطُهُ الشيطانُ من المسِّ ﴾ ما نصُّه (٣) : **يعني بذلك : يَتَخَبَّلُه (٤) الشيطانُ في الدنيا ؛ وهو الذي يخنقُهُ فيصرعُه** ، ﴿ من المسّ ﴾ يعني من الجُنونِ .

---

(١) فكيفَ الحالُ بمن ليسَ له في العلمِ صِلَةٌ إلّا النقل والإنشاء ، مَعَ تأوٍ فارغٍ ؟!

(٢) وما يزالُ الكلامُ لسماحةِ الشيخ ابن باز .

(٣) « جامع البيان » (٦ / ٨ – المحقّقة) .

(٤) قال الأُستاذُ محمود شاكر شارحًا : « أي : **أفسدَ عقلَه وأعضاءَه** » .

وقال البغويُّ رحمه الله في تفسير الآيةِ المذكورةِ ما نصّه [١] :
﴿ لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الذي يتخبّطهُ الشيطانُ من المسِّ ﴾ أي : الجنون ، يقال : مُسَّ الرَّجلُ فهو ممسوسٌ ؛ إذا كانَ مجنونًا .

وقالَ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ في تفسير الآيةِ المذكورةِ ما نصّه [٢] :

﴿ الذينَ يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الذي يتخبَّطُهُ الشيطانُ من المسِّ ﴾ أي : لا يقومونَ من قبورِهم يومَ القيامةِ **إلّا كما يقومُ المصروعُ حالَ صَرعِهِ وتخبّطِ الشيطانِ له** ، وذلكَ أنّه يقومُ قيامًا منكرًا » . » ا.هـ .

□ وقالَ فضيلةُ الشيخ محمد بن صالح العثيمين في « مجموع فتاواه » (١ / ١٥٦ - ١٥٧) جوابًا على مَن سألَ : هل للجنِّ تأثيرٌ على الإنسِ ؟ وما طريقُ الوقايةِ منهم ؟!

فقالَ نَفَعَ اللهُ به :

« لا شكَّ أَنَّ الجنَّ لهم تأَثيرٌ على الإنسِ بالأَذيّةِ التي قد تصلُ إلى القتلِ ، وربّما يؤذونَه برمي الحجارةِ ، وربّما يُروِّعونَ الإنسانَ .. إلى غيرِ ذلك منَ الأَشياءِ التي **ثَبتَتْ بالسنّةِ ، ودلَّ عليها الواقعُ** ، فقد ثَبتَ [٣] أَنَّ الرَّسولَ ﷺ أَذِنَ لبعضِ أَصحابِه أَن يذهبَ إلى أَهلِه في إحدى الغزواتِ - غزوة

---

(١) « معالم التنزيل » (١ / ٣٤٠) .

(٢) « تفسير القرآن العظيم » (١ / ٦٠١ - تحقيق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي) .

(٣) سيأتي الحديثُ تامًّا (ص ١٣٤ - ١٣٥) فراجعْهُ .

الخندق - ، وكانَ شابًّا حديثَ عهدٍ بعرسٍ ، فلمّا وصلَ إلى بيتِه وإذا امرأتُه على البابِ ، فأَنكرَ عليها ذلك ، فقالت له : ادخل ، فدخل ، فإذا حيّة ملتويةٌ على الفراشِ ، وكانَ معه رمحٌ فوخزها بالرُّمحِ حتّى ماتت ، وفي الحالِ - أَي : الزمن الذي ماتت فيه الحيّةُ - ماتَ الرَّجلُ ، فلا يُدرى أَيّهما أَسبقُ موتًا الحيّةُ أَم الرَّجلُ ! فلمّا بلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ نهى عن قتلِ الجُنَّانِ [1] التي تكونُ في البيوتِ إلّا أَبتر وذا الطُّفْيَتَيْنِ .

وهذا دليلٌ على أَنَّ الجنَّ قد يعتدونَ على الإنسِ ، وأَنّهم يُؤْذُونهم ، **كما أَنَّ الواقعَ شاهدٌ بذلك ؛ فإنّه قد تواترت الأَخبارُ واستفاضت بأَنَّ الإنسان قد يأتي إلى الخربةِ فيرمي الحجارةَ وهو لا يرى أَحدًا من الإنسِ في هذه الخربةِ ، وقد يسمعُ أَصواتًا ، وقد يسمعُ حفيفًا كحفيفِ الأَشجارِ وما أَشبهَ ذلكَ ممّا يستوحشُ به ، ويتأذّى به .**

وكذلكَ أَيضًا قد يدخلُ الجنيُّ إلى جسدِ الآدميّ ؛ إمّا بعشقٍ ، أَو لقصدِ الإيذاءِ [2] ، أَو لسببٍ آخرَ من الأَسبابِ ، ويشيرُ إلى هذا قولُه تعالى : ﴿ الذينَ يأكلونَ الرِّبا لا يقومونَ إلّا كما يقومُ الذي يتخبّطُه الشيطانُ من المسِّ ﴾.

وفي هذا النوعِ قد يتحدّثُ الجنيُّ [3] من باطنِ الإنسيِّ نفسِه ، ويخاطبُ

---

(١) انظر « مَجْمع بحار الأَنوار » (١ / ٤٠٢) للفَتَّني الهندي .

(٢) تعيينُ أَيٍّ من هذه الأَسبابِ يحتاجُ بيّنةً .

(٣) قد تقدّمَ (ص ٥١) أَنّي لا أَعلمُ دليلًا شرعيًا فيه إثباتُ وقوعِ مثلِ هذه المحادثةِ أَو المخاطبةِ .

من يقرأُ عليه آياتٍ من القرآنِ الكريمِ ، وربّما يأخذُ القارئُ عليه عهدًا ألّا يعودَ ، إلى غيرِ ذلكَ من الأُمورِ الكثيرةِ التي استفاضتْ بها الأَخبارُ ، وانتشرت بينَ النّاسِ .

وعلى هذا ؛ فإنَّ الوقايةَ المانعةَ من شرِّ الجنِّ أن يقرأَ الإنسانُ ما جاءت به السنّةُ ممّا يتحصّنُ بهِ منهم ؛ مثل آيةِ الكرسيّ ؛ فإنَّ آيةَ الكرسيِّ إذا قرأها الإنسانُ في لَيْلِهِ لم يزلْ عليه من اللهِ حافظٌ ولا يقربُه شيطانٌ حتّى يصبحَ ، واللهُ الحافظُ » .

وسُئِلَ أَيضًا : هل للجنِّ حقيقةٌ ؟ وهل له تأثيرٌ ؟ وما علاجُ ذلك ؟

فأَجابَ - نَفَعَ اللهُ به - قائلًا : أَمّا حقيقةُ حياةِ الجنِّ فاللهُ أَعلمُ بها ، ولكنّنا نعلمُ أَنَّ الجنَّ أَجسامٌ حقيقيّةٌ ، وأَنّهم خُلقوا من النّارِ ، وأَنّهم يأكلونَ ويشربونَ ويتزاوجونَ ، ولهم ذريّةٌ كما قالَ الله تعالى في الشيطان : ﴿ أفتتخذونَه وذريّتَه أَولياءَ من دُوني وهم لكم عدوٌّ ﴾ [الكهف : ٢٠] ، وأَنّهم مكلّفونَ بالعباداتِ ، فقد أُرسلَ إليهم النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ ، وحضروا واستمعوا القرآنَ الكريمَ ؛ كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ قُل أُوحيَ إِليَّ أَنّه استمعَ نفرٌ من الجنِّ فقالوا إنّا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرُّشدِ فآمنّا به ولن نشركَ بربِّنا أَحدًا ﴾ [الجنّ : ١ ، ٢] .

وَثبتَ [١] عن النبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ أَنّه قالَ للجنِّ الذين وفدوا إليهِ

• (١) رواه مسلمٌ (٤٥٠) عن ابن مسعود .

وسألوهُ عن الزَّادِ ؟ قال : « لكم كلُّ عظمٍ ذُكرَ اسمُ اللهِ عليه تجدونَه أَوفرَ ما يكونُ لحمًا » .

وهم - أَعني الجنّ - يشاركونَ الإنسانَ إذا أَكلَ ولم يذكرِ اسمَ اللهِ على أَكلِهِ ، ولهذا كانت التسميةُ على الأَكلِ واجبةً ، وكذلكَ على الشربِ ؛ كما أَمرَ بذلك النبيّ ﷺ .

وعليه ؛ فإنَّ الجنَّ حقيقةٌ واقعةٌ ، وإنكارُهم تكذيبٌ للقرآنِ الكريمِ وكفرٌ باللهِ عزَّ وجلَّ ، وهم يُؤمرونَ ويُنهونَ .

أَمّا تأثيرُهم على الإنسِ فإنّه واقعٌ أَيضًا ؛ فإنّهم يؤثِّرونَ على الإنسِ ؛ إمّا أَن يدخلوا في جسدِ الإنسانِ فيُصرعَ ويتألّمَ ، وإما أَنْ يؤثِّروا عليه بالترويعِ والإيحاشِ ، وما أَشبهَ ذلك .

والعلاجُ من تأثيرِهم بالأَورادِ الشرعيّةِ مثلُ قراءةِ آيةِ الكرسيّ ، فإنَّ من قَرَأَ آيةَ الكرسيِّ في ليلةٍ لم يزل عليه من اللهِ حافظٌ ولا يقربُه شيطانٌ حتّى يصبحَ » .

□ وقالَ الشيخُ محمد الحامد الحمويّ في كتابِه « ردود على أَباطيل » (٢ / ١٣٥) ما نصّه :

« **إذا كانَ الجنُّ أَجسامًا لطيفةً لم يمتنعْ عقلًا ولا نقلًا سلوكُهم في أَبدانِ بني آدمَ** ؛ فإنَّ اللطيفَ يسلكُ في الكثيفِ ، كالهواءِ مثلًا فإنّه يدخلُ في أَبداننا ، وكالنّارِ تسلكُ في الجمرِ، وكالكهرباءِ تسلكُ في الأَسلاكِ، بل وكالماءِ

في الأَتربةِ والرِّمالِ والثيابِ ، مع أَنّه ليس في اللطافةِ كالهواءِ والكهرباءِ » .

قال : « **وقد وقفَ أَهلُ الحقِّ موقفَ التسليم للنصوصِ المخبرةِ بدخولِ الجنِّ أَجسادَ الإِنسِ ، وقد بلغت من الكثرةِ مبلغًا لا يصحُّ الانصرافُ عنهُ إِلى إِنكارِ المُنكرينَ وهذيانِهم** ؛ فإِنَّ الوحيَ الصادقَ قد أَنبأنا هذا ، وإِنَّ الإِذعانَ له يقتضيه دونَ ما تأويلٍ **سخيفٍ** يُخرِجُ النصوصَ عن صراطِها إِلى تعريجاتٍ لا يسلَمُ معها إِسلامٌ ولا ينعقدُ بها اعتقادٌ صحيحٌ هو الإِيمانُ المُجْزِئُ المُنجي من نارِ الخلودِ في الآخرة » .

● ● **وأَمّا المخالفونَ لذلكَ** فهُم (بعضُ) المعتزلة ، أَو أَذنابُهم ، أَو المبهورونَ بإِشعاعاتِ أَفكارِهم ، أَو (المتأثِّرون) بِسُموم مقالاتِهم [١] !!

قال السيوطيُّ في « لقط المرجان » (ص ١٣٤) :

« أَنكرَ **طائفةٌ** مِن المعتزلةِ دخولَ الجنِّ في بَدَنِ المصروعِ » [٢].

أَقولُ : ومثلُهم بعضُ الرَّوافضِ ؛ كما حكى أَبو الحسنِ الأَشعريّ في « مقالات الإِسلاميين » (ص ٦١) عن أَصحابِ هشامِ بن الحكَمِ قولَهم عن الجنّ : « فعلمنا أَنّه يوسوسُ [٣] ، وليس يدخلُ أَبدانَ النَّاسِ .. » !

وقد نَقَلَ الشِّبْليُّ في « آكامِ المَرْجان » (١٣٤) عن أَبي الحسنِ الأَشعريِّ قولَه في « **مقالاتِ أَهلِ السنّةِ والجماعةِ** » [٤] : « أَنّهم يقولونَ : **إِنَّ الجنَّ**

---

(١) وقد يكونُ (بعضٌ) مِن هؤلاءِ مِن أَهلِ السنّةِ !

(٢) ونقله - قبلَه - الشِّبْليُّ في « آكام المرجان » (ص ٢٣٥) .

(٣) قارن بما سيأتي (ص١١٨) من كلامِ صاحِبَي « الأُسطورة » و« الاستحالةِ » ونقده!!

(٤) قارن بما تقدَّمَ (ص ٦) من النقلِ عنه في كتابه « الإِبانة عن أُصولِ الديانة » .

تدخُلُ في بَدَنِ المصروعِ » .

ثمَّ نقلَ (ص ١٣٦) عن أَبي عثمان عَمْرو بن عُبيدٍ [١] قولَه : « **إنَّ المنكرَ لدخولِ الجنِّ في أَبدانِ الإِنسِ دهريٌّ ، أَو يجيءُ منه دهريٌّ** » .

ونَقَلَ - عَقِبَهُ - قولَ القاضي عبدالجبّار [٢] مُعَلِّلًا :

« وإِنّما قالَ ذلك لأَنّها [٣] قد صارتْ في الشهرةِ والظهورِ كشهرةِ الأَخبارِ في الصلاةِ ، والصيامِ ، والحجِّ ، والزكاةِ .

ومَن أَنكرَ هذه الأَخبارَ التي ذكرناها كانَ رادًّا ، والرادُّ على الرسولِ ﷺ ما لا سبيلَ إِلى علمِه إِلّا من جهتِه كافرٌ [٤] .. » .

ثمَّ أَطالَ في بيانِه ...

وأَمّا الزمخشريُّ - المفسّر المعتزليُّ المشهورُ - فقد قالَ في « كشّافِه » (١ / ١٦٤) : « وتخبُّطُ الشيطانِ مِن زَعَماتِ العَرَبِ » [٥] !!

فقال العلّامةُ ابنُ المُنيِّر في « الانتصاف » (١ / ١٦٤) مُتعقِّبًا عليه :

« وهذا القولُ - على الحقيقة - من تخبُّطِ الشيطانِ بالقَدَريّةِ في

(١) وهو من المعتزلة المُثبتين لصَرْعِ الجنِّ، انظر « البداية والنهاية » (١٠/٧٣) لابن كثير.

(٢) وهو مِن المُعتزلة أَيضًا ، وفي تحريرِ النَّقْلِ عنه وقفةٌ ، لم أفرغ لها .

(٣) أَي : الوقائع .

(٤) **وفي هذا التكفيرِ نَظَرٌ !**

(٥) مع أَنَّ ظاهرَ كلامِهِ في « أَساسِ البلاغة » - وقد تقدّم (ص٢٨) - يُخالفُ هذا !!

زَعَماتِهم المردودةِ بقواطعِ الشرعِ ؛ فقد وَرَدَ : « ما مِن مولودٍ إلّا يمسُّه الشيطانُ فيستهلّ صارخًا .. » [1] .. » .

إلى آخرِ ما قالَه [2] .

ونقلَه عنه العلّامةُ القاسميُّ في « محاسنِ التأويل » (٣ / ٧٠١) ، ثمّ قالَ :

« **واعتقادُ السَّلفِ وأَهلِ السنّةِ أَنَّ هذه أُمورٌ على حقائقِها ، واقعةٌ كما أَخبرَ الشرعُ عنها** ، وإنّما القَدَريّةُ خُصماءُ العلانيةِ ، فلا جَرَمَ يُنْكرونَ كثيرًا ممّا يزعمونَه مُخالفًا لقواعدِهم ، مِن ذلك : السحرُ ، **وخبطةُ الشيطانِ** ، ومعظمُ أَحوالِ الجنِّ .

وإن اعترفوا بشيءٍ من ذلك ، فعلى غيرِ الوجهِ الذي يعترفُ به أَهلُ السنّةِ ، ويُنْبئُ عنه ظاهرُ الشرعِ ... في خَبْطٍ طويلٍ لهم » .

أَقولَ : وهذا - ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلّا باللهِ - مِن خَبْطِ الشيطانِ !!

وقالَ العلّامةُ البِقاعيُّ في « تفسيره » (٤ / ١١١) تعقُّبًا على الزمخشريِّ :

« **وظاهِرُهُ إنكارُ ذلك ، وليس بمنكر ، بل هو الحقُّ الذي لا مِرْيَةَ**

---

(١) سيأتي إيرادُهُ وتخريجُهُ وبيانُ وجهِ دلالتِهِ (ص ١٤٤) .

(٢) ولقد نَقَلَ صاحبُ « الاستحالة » (ص ٨٢) هذا الكلامَ تأييدًا لقولِه (!) ، عازيًا إيّاه للحافظِ ابن حَجَرٍ !! وكلُّ ذلكَ مُنتَقَضٌ عليه كما ترى .

فيه » [١] .

وقالَ التفتازانيُّ في « شرح المقاصد » (٣ / ٣٦٩) [٢] :

« الجنّ أَجسامٌ لطيفةٌ هوائيّةٌ تتشكّلُ بأَشكالٍ مختلفةٍ ، ويظهرُ منها أَحوالٌ عجيبةٌ .

والشياطينُ أَجسامٌ ناريّةٌ شأنُها إِلقاءُ النّاسِ في الفسادِ والغوايةِ ؛ ولكونِ الهواءِ والنّارِ في غايةِ اللطافةِ والتشفيفِ كانت الملائكةُ والجنُّ والشياطينُ يدخلونَ المنافذَ الضيّقةَ، **حتّى أَجوافَ النّاسِ** ، ولا يُرَوْنَ بحسِّ البصرِ إِلّا إِذا اكتسبوا مِن المُمْتَزَجاتِ » .

○ ○ **تنبيه مُهِمٌّ** :

ومن غرائبِ التلبيسِ - أَو قلّة التأمّل - أَيضًا [٣] - عَدُّ صاحبِ « الأُسطورةِ » (ص ٥٧) القاضي أَبا يعلى من المُنكرينَ الصرْعَ المصطلحَ عليه ! مع أَنَّ كلامَه المنقولَ عنه - **عندَه** - فيه التصريحُ الواضحُ بأَنَّ إِنكارَ ذلك مِن صَنيعِ المُتكلِّمين ، حيثُ قالَ بعد أَن ذكرَ وسوسةَ الشيطانِ وخطرَها :

« .. **ويكونُ منه مسٌّ وسلوكٌ ودخولٌ في أَجزاءِ الإِنسان ، ويتخطّفه ، خلافًا لبعضِ المتكلّمين في إِنكارِهم سلوكَ الشيطانِ في أَجسامِ الإِنسِ** ، وزعموا أَنّه لا يجوزُ وجودُ روحينِ في جسدٍ ! والدِّلالةُ عليه قولُه تعالى : ﴿ لا

---

(١) ثمَّ نَقَلَ عن « تفسير المهدويّ » ما ينصره ويؤيّده .

(٢) ونقله البِقاعيّ في « نظم الدرر » (٤ / ١١١ - ١١٢) ، وأَقرّه .

(٣) أَو كلاهما معًا !!

يقومونَ إلّا .. ﴾ » .

ثمَّ قالَ : « ولأَنَّه **لا يمتنعُ أَنْ يدخلَ الشيطانُ في أجسامِنا** ، سواءٌ كانت رقيقةً ، أَو كثيفةً ، كالطعامِ والشرابِ » .

أَقولُ : فهذه نصوصٌ صريحةٌ قاطعةٌ في ردِّ ما أَرادَ كاتبُ « الأُسطورةِ » الإِيهامَ به ، مع أَنَّها تُثبتُ عكسَ كلامِه !!

نعم ؛ قال أَبو يعلى في صدرِ كلامِه : « ولا سبيلَ للشيطانِ إِلى تخبيطِ الإِنسانِ .. » ، لكنَّ مقصودَه هُنا الردُّ على وَهَمٍ عقائديٍّ يقعُ به البعضُ في قضيّةِ إِسنادِ الفعلِ إِلى فاعلِه ، وربط الأَسباب بالمُسبَّباتِ [١] ، - وهي قضيّةٌ كلاميّةٌ فلسفيّةٌ - وليس مرادُهُ نفيَ التلبُّسِ ودخولِ الجنِّ ، بدليلِ قولِه بعد ذلكَ بسطر واحدٍ : « .. لاستحالةِ فعلِ الفاعلِ في غيرِ محلِّ قدرتِهِ ، وإِنّما ذلك من فعلِ اللهِ تعالى يُجري العادةَ .. » .

ثمَّ قالَ الكلامَ الذي صدّرتُ نقلي عنه به .

فهما - إِذَنْ - مسأَلتانِ مُنْفَصلتانِ [٢] ..

---

(١) انظر كتاب « منهج أَهل السنّة والجماعة ومنهج الأَشاعرة في توحيد الله تعالى » (١ / ٢٦٣ - ٢٦٧) للأَخ الفاضل خالد محمد نور ، ففيه تفصيلٌ حَسَنٌ .

(٢) ثمَّ رأيتُ القاضي أَبا يعلى نفسَه يُصَرِّحُ بهذه المسألةِ في كتابِهِ « المعتمد » (ص ١٤٢) أَيضًا ، إِذ يرى في هذه المسألةِ قولَ الأَشاعرةِ ، ويميلُ إِليه (!) .

وانظر كتاب « موقف ابن تيميّة من الأَشاعرة» (١١٣٣/٣) للدكتور عبدالرحمن المحمود.

فتأمّل كيفَ جعل هذا (الكاتبُ) الكلامَ المُوْهِمَ - عندَه - قاضيًا على الكلامِ البيِّنِ الصَّريحِ ؟! واحْكُمْ - بإنصافٍ - في هذا الصَّنيعِ ...

ثمَّ (**حَشَرَ**) صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٥٧ - ٥٨) ابنَ حزمٍ في قائمةِ المُنكِرينَ للصَّرْعِ المصطلَحِ عليه ، مُدَلِّلًا على كلامِه بقولٍ لابنِ حزمٍ (ظَفِرَ) به مِن « مجموعة رسائلِه » (٣ / ٢٢٨) ! ليس فيه أَكثرُ من نفي كلامِ الشيطانِ على لسانِ المصروعِ ، وإنكارِ ذلك [1] !!

وهذا شيءٌ ، وإنكارُ الصَّرْعِ شيءٌ آخرُ ، مع أَنَّ ابنَ حَزْمٍ في كلامِه هذا ليس معه إِلّا النفي ، وقد تقدَّمَ بيانُ وجهِهِ ..

ثمَّ (**طَوى**) صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٥٨) النقلَ الواضحَ البيِّنَ عن ابن حزمٍ - وقد تقدّم عندنا (ص ٧٤) - مدّعيًا فيه عكسَ واقعِه ، قائلًا : « وهذا النصُّ أَصرحُ وأَوضحُ ممّا ذَكرَ في كتابِه « الفِصَل .. » .. » !!!

ولستُ أُريدُ هنا إِلّا إِحالةَ القارئِ (القارئ) على ما تقدّمَ نقلُه عن ابن حزمٍ للمقارنةِ بين النصَّيْنِ ، والحكمِ بين الخصمين !!

ثمَّ ثلَّث بالنقلِ عن الجُبَّائيِّ ، وهو مَن هو في قائمةِ المعتزلةِ المعروفةِ أَحوالُهم وأَفكارُهم !!

وَمَعَ ذلك ؛ فإنكارُ [2] آخَرين مِن المعتزلةِ لهذا الإِنكارِ جيِّدٌ قويٌّ منهم ،

---

(١) مع أَنَّ كلامَه في « الفِصَل » - أَيضًا - يُلْمَحُ منه الإِنكارُ نفسُهُ .

(٢) بل تكفير ! **وإِن كنّا لا نقولُ به !!**

كما تقدّمَ نقلُهُ عن عمرِو بن عُبَيد ، وأَيّده القاضي عبدالجبّار [١] ..

ثمّ نَقَلَ - بَعْدُ - عن الطاهرِ بن عاشور ما (يُوْهِمُ) القارئ أنَّه على مذهبِ المعتزلةِ في هذه المسألةِ [٢] (!) مع أنّه صرّحَ بكلامٍ واضحٍ بَيِّنٍ أنّه على خلافِ قولِهم ، لكنّ صاحبَ « الأُسطورةِ » - أَصلَحه اللهُ - قد حَذَفَ هذا التصريحَ !! وبَتَرَهُ من نَقْلِهِ عنه !!

○ وقالَ الدكتور إبراهيم كمال أدهم في كتابه « العلاقة بينَ الجنِّ والإنس » (ص ١٨٤ - ١٨٦) مُبيِّنًا شيئًا من أَسبابِ وجودِ الخلافِ بينَ المعتزلةِ وأَهلِ السنّةِ في هذه المسألةِ :

« وهنالك رأيٌ حديثٌ يعتقدُ به بعضُ النّاسِ الذي يُحاوِلونَ **التوفيقَ بينَ العلمِ والدينِ** [٣] في أَمر الصَّرْعِ والمسِّ الرُّوحيِّ ، يتوافقُ بعضَ الشيءِ مع رأي المعتزلةِ والذين ينفونَ دخولَ الجنيِّ بدنَ الإِنسيِّ ، ولكنّهم لا ينفونَ أَمرَ الوسوسةِ ، وهذا الرأيُ يقول : « إنَّ الجنَّ توسوسُ في صدورِ النَّاسِ ، وإنَّ هذه الوسوسةَ من شدّتها تتملَّكُ من نفسِ الإِنسيِّ فيصدقُها ويعتقدُ بصحّتِها ، فيصبحُ خاضعًا في تصرّفاتِه لهذه الوسوسةِ أَو الإِيحاءِ الذي يستخدمُه المنوّمُ المغناطيسيّ ، كما يؤثِّرُ على الوسيطِ أَو النائمِ ، إذ إنَّ الإِيحاءَ الذي يسلّطُه

---

(١) وبقيّةُ نقوله عن المنكرين مبنيّةٌ على وَهَمٍ ، أَو نفيٍ ، أَو تأويل ، أَو تحكيمِ عَقْلٍ !! فلا أشتغلُ بها .

(٢) انظر ما سبق (ص ٧١) في إيضاحِ ذلك وبيانِه .

(٣) ولو على حِساب الدّين !!

المنوّمُ على النائمِ هو الذي يؤدي به إلى حالةِ النّومِ ، تمامًا كما تفعلُ حبّةُ الدواءِ المنومة بل أَشدّ ، وأَحيانًا في وقتٍ أَقصر ، كما يمكنُ أَن يدومَ تأثيرُ الإيحاءِ التنويمي وقتًا أَطولَ من حبّةِ الدواءِ لو أَرادَ المنوّمُ ذلك ، وباستطاعةِ المنوّم حينَ يسلّطُ إيحاءَه على الوَسيطِ أَن يجعلَهِ يرى ويشعرُ ويتحسسُ أَيَّ شيءٍ يرغبُ فيه ، كما يشاءُ وكما يُريدُ ، بعيدًا عن الضوابطِ العقليّةِ والقواعدِ الحسيّةِ للنائمِ أَو الوسيطِ ، كذلكَ الحالُ تكونُ بينَ الجنيِّ والإنسيِّ ، إذ يمكنُ أَن نعتبرَ المنوّمَ هو الجنيَّ ، والنائمَ هو الإنسيَّ ، فيوسوسُ الجنيُّ أَو الشيطانُ ما يشاءُ للإنسَيِّ ، وبما أَنَّ الشيطانَ لا يرغبُ إلّا أَن يجعلَ الإنسيَّ حزينًا خائفًا تعيسًا مشوشَ الفكرِ ، فاقدًا للوعي ، فإنّه يوحي بهذه الأُمورِ ، فإذا اقتنعَ بها الإنسيُّ أَصبحَ كالمصروعِ يتخبّطُ في مشيتِه وتصرّفاتِه كالمجنونِ [1] !!

لكن هذا الرّأي مع ما يحملُ من حسن نيّةِ أَصحابِه [2] وغيرتِهم على الدينِ الحنيفِ ، وما يحملُه من منطقٍ وأُسلوبٍ علميٍّ تجريبيٍّ سليمٍ إلّا أَنَّ به ثغراتٍ تدحضُه ، وتؤكِّدُ رأيَ أَهلِ السنّةِ والجماعةِ في أَنَّ الجنَّ لا يقفُ عند حدودِ الوسوسةِ ، بل يتعدّاهُ إلى دخولِ جسدِ بني آدمَ فيفسدُ عليه عقلَه وفكرَه ، ويجعلُ أَعضاءَه تتصرّفُ بطريقةٍ مغايرةٍ للمألوف .

ولقد أَعانني [3] اللهُ سبحانَه وتعالى ومكّنني من أَن أَتبيَّنَ هذه الثغراتِ

---

(١) هذا كلُّهُ بيانُ رأيِ المُخالفِ ، وسيأتي - الآن - نَقْضُهُ .

(٢) قد يكون هذا في البعضِ ، **ولكنّ (بعضًا) آخرَ قد لا يكونُ كذلك !!**

(٣) ولا يزالُ الكلامُ للدكتورِ إبراهيم كمال أَدهم .

وأُسلِّطَ عليها منظارَ الفكرِ العلميّ الإِيمانيّ لدحضِ هذا الرأيِ لما أَتمتعُ به من خبرةٍ نظريّةٍ وعلميّةٍ في فنِّ التنويمِ المغناطيسي الذي مارستُه زُهاءَ خمسَ عشرةَ سنةً تقريبًا كباحثٍ ، لا كمتكسّبٍ من هذا الفنِّ ، فعلمتُ ما للإِيحاءِ من أَثرٍ على النفسِ الإِنسانيّةِ ، فبالإِيحاءِ يستطيعُ المرءُ أَن يُظهرَ الأَبيضَ أَسودَ ! والأَسودَ أَبيضَ ! والصوابَ خطأً ! والخطأَ صوابًا ! والحارَّ باردًا ! والباردَ حارًّا ! كما أَنَّ الإِيحاءَ يمكنُ أَن يشفيَ في بعضِ الحالاتِ ، كما يمكنُ أَن يتسببَ في المرضِ .. وهكذا .

إِلّا أَنَّ الفرقَ بينَ من هو في حالةِ إِيحاءٍ أَو وسوسةٍ ، وبينَ من هو في حالةِ صَرْعٍ وتلبّسٍ شيطانيٍّ يمكنُ أَنْ نتبيَّنَها من طريقةِ شفاءِ المصروعِ :

أَوّلًا : في حالةِ الوسوسةِ لا يمكنُ أَن يشفى الشخصُ من جلسةٍ واحدةٍ ، بينما نجدُ في حالةِ الصَّرْعِ أَو المَسِّ الرّوحيّ أَنَّ الشفاءَ يتمُّ في جلسةٍ واحدةٍ .

ثانيًا : أَنَّ المُصابَ بحالةِ الوسوسةِ عندما يشفى بعدَ عدّةِ جلساتٍ نجدُه بعدَ مدّةٍ يعودُ إِلى نوعٍ آخرَ من الوسوسةِ ، بينما الذي كانَ مُصابًا بحالةِ الصَّرْعِ إِذا شفيَ فنادرًا ما يعودُ إِلى الصَّرْعِ إِذا اتَّبعَ نصائحَ الطبيبِ المداوي .

ثالثًا : إِنَّ مَنْ يكونُ مريضًا بالوسوسةِ يحتاجُ إِلى علاجٍ يعتمدُ على الإِيحاءِ النَّفْسِيِّ ، بينما المصابُ بالصَّرعِ لا يحتاجُ إِلى إِيحاءٍ نفسيٍّ ، ولا يؤثِّرُ فيه هذا الإِيحاءُ ، لكنّه حينَ يُقرأُ عليه بعضُ آياتِ القرآنِ الكريمِ المشهودِ لها

بعلاجِ الصَّرْعِ أَو يُؤذِّنُ في أُذنِه [١] ، فتسمعُ الجنيَّ يتأففُ ويصيحُ طالبًا التوّقفَ عن قراءةِ القرآنِ أَو الأَذانِ .

رابعًا : إنَّ الموسوسَ لا ينطقُ بلغةٍ غيرِ اللغةِ التي يعرفُ ، بينما المصروعُ أَو الملبوسُ بالجنِّ ، قد ينطقُ بلغةٍ أَو لسانٍ غيرِ لسانِ صاحبِهِ ، وبلهجةٍ وصوتٍ غيرِ لهجةِ وصوتِ صاحبِهِ [٢] .

خامسًا : إنَّ الموسوسَ تبقى معلوماتُه ضمنَ حدودِ حواسِّه ومعارفِه السابقةِ ، بينما المصروعُ تصبحُ معلوماتُه وما يخبرُ به فوقَ حدودِ حواسِّه ، وفوقَ المخزونِ من المعلوماتِ والمدرَكاتِ التي يمتلكُها ، بمعنى أَنّه قد يخبرُ عن أَشياءَ تحصلُ في مكانٍ آخرَ بعيدٍ ، وأَنت جالسٌ بجوارِه ، أَو قد يَحُلُّ معضلةً معيّنةً قد يعجزُ عن حلِّها لو كانَ في حالةٍ طبيعيّةٍ .

سادسًا : أَنَّ الموسوسَ لو ضُربَ لبقي أَثرُ الضَّربِ عليه ، ولعانى منه أَيّامًا عديدةً ، لكنَّ المصروعَ إِذا ما ضُربَ [٣] وخرجَ منه الجنُّ ، فإِنّه يستيقظُ وينظرُ يمنةً ويسرةً ، ويستغربُ .

وهناك وجوهٌ أُخرى ليس من الضروريِّ ذكرُها ، لأَنّها لا تهمُّ إِلّا

---

(١) تخصيص الأَذان في الأُذُنِ لا أَعلمُ عليه دليلًا .

(٢) سَبَقَ بيانُ أَن لا دليلَ شرعيٌّ على وقوعِ مثل - هذا ، فإِنْ (ثَبتَ) في الواقع فنحن لا نُنكِرُهُ .

(٣) وليس الضَّربُ من الوسائلِ الشرعيّةِ في مثلِ ذلك ، لِمَا قد يتسبّبُ - أَحيانًا - من الإِيذاءِ الشديد ، بل القتلِ !!

أَصحابَ الخبرةِ والاختصاصِ .

لذا أَرى أَنَّ المنطقَ السليمَ والتفكيرَ القويمَ يرجّحُ كفّةَ رأيِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ الذي يقولُ بدخولِ الجنِّ بدنَ الإِنسيِّ ، **إِلّا أَنَّ هذا الدُّخولَ قليلٌ ، ونادرًا ما يحصلُ** ، وليسَ كما يتصوّرُ العامّةُ من النّاسِ الذين نشاهدُهم يتزاحمون في طَوابير على أَبوابِ المشعوذين ومدّعي المشيخةِ ، طالبين عونَهم على إِخراجِ الجنِّ والشياطين من أَبدانِهم دونَ التمييزِ بينَ ما هو بسببِ الجنِّ ، وما هو بسببِ مرضٍ عضويٍّ أَو نفسيٍّ صِرْفٍ » .

قالَ أَبو الحارث - عفا اللهُ عنه - : وهذا كلامٌ وَسَط ، لا وَكْسَ فيه ولا شَطَط ..

□ □ □ □ □

٩ - حوادثُ عَمَليّة عِلْميّة

أَمّا قَولي : « **عَمَليّة** » ؛ فالمرادُ بِهِ : شهاداتٌ ناطقةٌ من عُلماءَ معروفينَ برجاحةِ العقلِ ، ورزانةِ الفكر ، وحُسْنِ الرأي ، وصِدْقِ الحِسِّ .

وذلكَ عَبْرَ أَحداثٍ وقعتْ مَعَهم ، أَو شهدوها ، فنقلوها مُثْبِتينَ غيرَ منكرينَ [١] .

وأَمّا قولي : « **عِلْميّة** »، فَلِنَفي كُلِّ ما يُتَوَهّمُ منه أَنّه من أَفعالِ المشعوذين؛ إِمّا « شعوذةٌ بدَجلٍ ، أَو شعوذةٌ بسحرٍ » [٢] !! كما قد يظنُّه البعضُ ، وبالتالي ؛ فلا يكونُ ذلك فَتْحًا لأَيِّ بابٍ من أَبوابِ الخرافاتِ كما توهّمَ المتوهِّمون [٣] :

* أَمّا النقلُ عن **الإمامِ أَحمدَ بنِ حنبلٍ، وشيخِ الإسلامِ ابن تيميّةَ، والعلاّمة ابن القَيِّم** في حوادثَ شخصيّةٍ هم كانوا القائمينَ بها : فمشهورةٌ معروفةٌ ، لا سبيلَ

(١) قالَ الشيخُ أَبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهريّ في كتابِه « أَبو نَصْر الفارابي » (ص ٧٧) : « **إِنَّ التجربةَ اليقينيّةَ أَو الرّاجحةَ تُغَذّي معرفةَ العقلِ ، ولا تُلغي يقينيّاتِه بمبادئه** » .

(٢) كما قالَه الدكتور حمدي مراد ، فيما نقله صاحب « الأُسطورة » عنه وأَثْبَتَهُ على غلافِهِ !!

(٣) كما وردَ في كلامِ الشيخ الغزاليّ ، فيما نقله كاتبُ « الأُسطورة » عنه وأَثبته على غلافِهِ !!

إلى ردِّها ، ولا طريقَ إلى إنكارِها [1] ، وقد نَقَلَها وَرَضيَها غيرُ واحدٍ ، منهم : الشِّبلي في « آكامِ المرجان » (ص ١٣٤ - ١٣٥) وابن القيّم في « زاد المعاد » (٣ / ٨٤) ، وابنُ مُفلحٍ في « مصائب الإِنسان » (ص ١٤٤) ، وشيخُ الإِسلام ابنُ تيميّة في « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٢٧٧) و (١١ / ٥٧٣) ، والسيوطيّ في « لَقْطِ المرجان » (ص ٩٣) ، والقاضي ابن أَبي يعلى في « طبقات الحنابلة » (١ / ٢٣٣) ، وابنُ مُفلحٍ في « المقصد الأَرشد » (٢ / ٢٦٦) والعليمي في « المنهج الأَحمد » (١ / ٤٣١) .

* وقالَ العلّامةُ **بُرهان الدين البِقَاعيُّ** المتوفّى سنة (٨٨٥هـ) في كتابِه « نَظْم الدُّرَر » [2] (٤ / ١١٢) :

« وأَمّا **مُشاهدةُ** المصروعِ يُخبرُ بالمغيَّباتِ وهو مصروعٌ ، غائبٌ عن الحِسِّ ، وربّما كانَ مُلقى في النّارِ وهو لا يحترقُ ، وربّما ارتفعَ في الهواءِ مِن

---

(١) ولئن كانَ في إسنادِ قصّة الإمام أَحمد مع جارية المتوكّل المصروعةِ شيءٌ ، فإِنَّ إثباتَ أَصلِ الصَّرْعِ ثابتٌ عنده ، لا يُنكَر ؛ ففي « طبقاتِ الحنابلةِ » (١ / ١٨٥) و « المنهج الأَحمد » (١ / ٢٩٧) أَنَّ عبدَاللهِ ابنَ الإِمام أَحمدَ سأَل أَباه عن وجهِ التوفيقِ بين حديثِ تسلسلِ الشياطينِ في رمضان ، ورُؤيةِ المجنونِ يُصْرَعُ في رمضان ؟!

فقالَ رحمةُ اللهِ عليه : « هكذا الحديثُ ، ولا نتكلّمُ في هذا » .

أَي : نُسلِّمُ تسليمًا تامًّا مِن غيرِ إِنكارٍ .

وهذا هو المُرادُ .

(٢) ونقلَه عنه العلّامة القاسميّ في « محاسن التأويل » (٣ / ٧٠٢) .

غيرِ رافعٍ : فَكثيرٌ جدًّا ، لا يُحصى مُشاهِدوهُ ، إلى غير ذلكَ مِن **الأُمورِ الموجِبةِ** للقَطْعِ أَنَّ ذلكَ مِن الجنِّ أَو الشياطينِ » .

* وقال الشيخُ محمد الحامد الحَمَويّ في كتابِه « ردود على أباطيل » (٢ / ١٣٥) :

« **ووقائع** سلوكِ الجنِّ في أَجسادِ الإِنسِ كثيرةٌ **مُشاهَدَةٌ** ، لا تكادُ تُحصى لكثرتِها ، فُمُنكِرُ ذلكَ مُصطدمٌ بالواقعِ المُشاهَدِ ، وإِنّه لَيُنادي ببطلانِ قولِه » .

* وهذا الشيخُ محمد رشيد رضا ؛ مع أَنّه مِن المُتَوَقِّفين (نظريًّا) [١] في مسأَلةِ الصَّرْعِ -كما في « تفسير المنار » (٣/ ٩٥) -، لكنّه يُقِرُّ ببعضِ مُشاهداته في هذه القضيّةِ ، فيقولُ في « تفسيره » (٨ / ٣٧٠ - ٣٧٢) جوابًا على سؤالِ مَن سأَلَه عمّا وردَ في كلامِ ابن تيميّة وابن القيِّم في مسألةِ الصَّرْعِ ، وإِخراجِ الشياطين من المصروعين ، وكذا عمّا وَرَدَ في الأَناجيل من إِخراجِ المسيحِ عليه الصلاةُ والسلامُ للشياطينِ ؟ فقال رحمهُ اللهُ وعفا عنه :

« إِنّنا وإِن كنّا لا نعرفُ لهذهِ الأَناجيلِ أَسانيدَ صحيحةً متصلةً [٢] ،

---

(١) مع اعتقادِهِ بإمكانيّة وقوعِها .. هكذا يكونُ العلمُ ..

(٢) على وَجْهِ الجُملةِ ، وفي المسألةِ تفصيلٌ دقيقٌ يُنْظَرُ له لزامًا « إغاثة اللهفان » (٢ / ٣١٥) و « فتح الباري » (١٣ / ٤٢٥ - ٥٢٥) .

(**فائدة**) : نَقَلَ العلاّمةُ البِقاعيُّ في « نظم الدرر » (٤ / ١١٤ - ١٢٢) نقلًا مطوّلًا عن الأَناجيلِ فيه إِثباتُ الصَّرْعِ ، ودخولُ الجانِّ بَدَنَ الإِنسانِ ، وإِخراج المسيح لذلك ، ثمَّ قال :

« **وإِنّما كتبتُ هذا مع كونِ ما نُقلَ عن نبيِّنا ﷺ كافيًا ، لأَنّه لا يُدْفَعُ أَن يكونَ فيهِ** =

وقد أُمرنا أَنْ لا نُصدِّقَ أَهلَ الكتابِ ولا نكذبَهم فيما لا حُجّةَ له أَو عليهِ في كتابِنا ، وإِنْ كانَ شيخا الإِسلامِ من أَجلِّ الثقاتِ عندنا فيما يرويانِ عن أَنفسِهما وعن غيرِهما بالجزمِ ، فإِننا نقولُ :

إِنَّ وقائعَ الأَحوالِ في هذا المقامِ فيها إِجمالٌ هي به قابلةٌ لأَنواعٍ شتّى من الاحتمالِ على ما يُؤخذُ على ظاهرِه ، لا حُجّةَ فيه على شيءٍ من أَعمالِ الدَّجالينَ التي ينكرها الشرعُ والعقلُ ، **وأَين دجلُ الفسّاقِ المحتالينَ من معجزةٍ أَو كرامةٍ يُكرمُ اللهُ بها نبيًّا مرسلًا ، أَو وليًّا صالحًا فيشفي على يديه مصروعًا أَلَمَّ الشيطانُ أَم لم يلمّ به** [1] ؟!

وما إِلمامُ الشيطانِ ببعضِ النّاسِ بالمُحالِ عقلًا حتّى نحارَ في فهمِ أَمثالِ هذه الرواياتِ النادرةِ عندَ أَهلِ الكتابِ وعندنا ، بل عند جميعِ الأُممِ، وإِنَّ بعضَ الأَمراضِ العصبيّةِ التي يُصرَعُ أَصحابُها لابَسَهم الشيطانُ فيها أَم لا ، لتشفى بتأثيرِ الاعتقادِ وبتأثيرِ إِرادةِ الأَرواحِ القويّةِ إِذا توجّهت إِلى اللهِ تعالى سائلةً شفاءَها .

= **إيناسٌ له ومصادقةٌ تزيدُ في الإيمان »** .

أَقولُ : والمواضعُ المُتيَقَّنُ تحريفُها في الأَناجيلِ هي مباحثُ التثليثِ والصَّلْبِ و البِشارة بالنبيِّ ﷺ ، وما شابَهَها ممّا قد يكونُ فيه حُجّةٌ ضدّ عقائدِهم الباطلةِ ، أَمّا المباحثُ الأُخرى العامّةُ - ومنها ما هُنا - **فيغلبُ على الظنِّ سلامتُها من التحريفِ لعدمِ جدواه فيها** ، فتأمّل .

وانظر « مجموع الفتاوى » (١٩ / ٥٦) و « الجنّ والشياطين بينَ العلم والدين » (١٨ / ١٩٤) رياض العبد الله .

(١) وهذا منهُ إِقرارٌ واضحٌ جدًّا في إِثباتِ أَصلِ مسأَلةِ المَسِّ والتلبُّس ، وأَنَّ نكيرَه إِنّما هو على المُتَزَيِّدين بغيرِ علمٍ .

وما نحنُ بالَّذينَ يُدارونَ الماديِّينَ أَو يبالونَ بإِنكارِهم لكلِّ ما لا يُثبتُه الحسُّ لهم [١] ، بل نرى أَنَّ جملةَ ما رُوي عن الأَنبياءِ والعلماءِ وما اشتهرَ عندَ كلِّ الأُممِ ، **يفيدُ في مجموعِه التواترَ المعنويَّ** [٢] **في إِثباتِ أَصلٍ لهذهِ المسألةِ** » .

ثمَّ قالَ رحمَه اللهُ :

« وما لنا لا نذكرُ أَنّه قد وقعَ لنا من ذلك ما يعدّه كثيرٌ من النَّاسِ أَمرًا عظيمًا ، يستبعدونَ أَن يكونَ من فلتاتِ الاتفاقِ ، ونوادرِ المصادفاتِ ، من ذلك : أَنّه كانَ في بلدنا (القلمون) في سوريّة رجلٌ صيّاد اسمه (عمر كسن) رمى شبكتَه ليلةً في البحرِ ، فسمعَ صوتًا غيرَ مألوفٍ ، فما لبثَ بعدَ ذلكَ أَن صارَ يُصرَعُ ، ويُخيّلُ إِليه هجومُ فئةٍ من الجنِّ عليه ويضربونَه ، متَّهمين إِيّاه بإِصابةِ فتاةٍ منهم .

ورآني وهو غائبٌ عن الحسِّ بالهيئةِ التي كنت أَخلو فيها للعبادة وذكرِ اللهِ في حُجرةٍ خاصّةٍ ، وبيدي مِخصَرة [٣] قصيرة من الأَبنوسِ [٤] ، كنتُ أَعتمدُ عليها - ولم يكنْ رأى ذلك قطّ - رآني أَطردُ الجنَّ عنه بهذه المِخصرةِ ، وكانَ أَهلُه قد ذكروا لي أَمرَه ، ثمَّ دعوني إِلى رؤيتِه ورقيتِه والدعاءِ له ،

---

(١) وغَيْرُهُ يفعلُ !!

(٢) فتأمَّلْ .

(٣) شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه ؛ كالعصا .

(٤) نوعٌ من الخشبِ الجيّد .

فذهبتُ فأَلفيتُه مُغمى عليه ، لا يرى ولا يسمعُ ممّن حولَه شيئًا ، ولكنّه كانَ يقول : جاء سيدُنا الشيخ رشيد ... ، ولمّا رأيتُه على هذه الحالةِ توجّهتُ إِلى اللهِ بإِخلاصٍ وخشوعٍ ، ووضعتُ يدي على رأسِه ، وقلت : بسمِ الله الرحمن الرحيم : ﴿ فسيكفيكَهمُ اللهُ وهو السميعُ العليم ﴾ [1] ، ففتحَ عينيهِ ، وقامَ كأنّما نُشِطَ من عقالٍ ، ثمّ عادَ إِليه هذا بعد زمنٍ طويلٍ لا أَذكُرُهُ ، وشفاهُ اللهُ تعالى وأَذهبَ عنه الرَّوعَ ثانيةً بنحوِ ما أَذهبَه عنه في المرّةِ الأُولى ، ولكنني لم أَرَ أُولئك الجنَّ الذين كانَ يراني أُجادلُهم وأَذودهم عنه .

والواقعةُ تحتملُ التأويلَ عندي ، ولا أَعدّها دليلًا قطعيًّا على كونِ صرعِه كانَ من الجنِّ ، **كما أَنّه لا مانعَ عندي أَن يكونَ منهم** ، وقد ذكرتُ هذه الواقعةَ لشهرتِها عندنا في البلد ، وكثرةِ من شهدها .

وقد يكونُ من غريبِ الاتفاقِ أَنّني كنتُ أُعاشرُ بعضَ أَصحابِ هذا الصرعِ ، ولكنْ لم يحدث لهم وأَنا معهم قطّ ، ومنهم (حمودة بك) أَخو شيخنا الأَوحد الإِمام [محمد عبدُه] [2] ، كنتُ أَكثرَ الناسِ معاشرةً لهم ، وما من أَحدٍ كانَ يُكثرُ زيارتَهم إِلا وكان حمودة يصرع ، ولا سيما بعد اشتدادِ النوباتِ في أَثناءِ مرض الشيخِ وبعدَه ، حتّى كانت تتعددُ في اليومِ الواحدِ ، ولكنني كنتُ أَمكُثُ عندهم في الإِسكندريّةِ الأَيامَ والليالي ، ولم يقع له شيءٌ من ذلك أَمامي .

---

(١) لا أَعلمُ دليلًا يُخَصِّصُ قراءةَ هذه الآيةِ الكريمةِ بعينِها .

(٢) وهو من شيوخِ الأَزهر الذين تأثّروا بالمدرسة العقليّة ! وعليه ملاحظات عدّة .

ومثلُه في ذلك صديقنا (محمد شرف الفاروقي) رحمهما اللهُ تعالى...

ولا أَستبعدُ أَن يكونَ لبعضِ الأَرواحِ تأثيرٌ في بعضٍ بإِذنِ اللهِ تعالى ، كما لا أَنفي على سبيلِ القطعِ أَن يكونَ ذلك من نوادرِ الاتفاقِ ، وكانَ شيوخُ بلدِنا ينقلونَ عن جدِّي الثالثِ غرائبَ في هذا البابِ .

وإِنني لم أَذكر مثل هذا الأَمرِ إِلّا لأَمرين :

أَحدهما : **أَنْ لا يظنَّ ظانٌّ أَنّي أَميلُ في تشدُّدي في كشفِ غِشِّ الدَّجالين إِلى آراء الماديينَ** [١] .

وثانيهما : أَن لا يجعلَ أَحدٌ ما نُقل عن مثلِ شيخِ الإِسلامِ [ابن تيميّة] من إِرسالِه رسولًا إِلى المصروعِ يُخرجُ منه الشيطانَ حجةً على من يُنكرُ دجلَ هؤلاءِ الضالين من عبّادِ الشياطينِ ، أَو الدعاء إِلى عبادتِهم ، وتخويف النَّاسِ ممّا لا يخيفُ منهم ، أَو التقرُّب إِليهم ممّا يُعَدُّ عبادةً لهم ، كما يعبدُ اليزيديّةُ [٢] إِبليسَ جهرًا ، بدعوى أَنّهم بذلك يتقونَ شرَّه ! - والعياذُ باللهِ تعالى - ، فأَمثالُ هؤلاءِ الدجالينَ وأَتباعِهم هم الذين قالَ اللهُ تعالى فيهم : ﴿ إِنّا جعلنا الشياطينَ أَولياءَ للذينَ لا يؤمنونَ ﴾ .

أَقولُ : نَقَل ذلكَ كلَّه الدكتور عبدُالكريم نُوفان في كتابِه « عالم الجنّ في ضَوْء الكتابِ والسنّة » (ص ٣١٧) ثمَّ قال :

---

(١) ولعلَّ هذه هي (العُقدة) الّتي أَوقعَ (الشيطانُ) بها بعضَ المُنكرين ، فَنَقَلَهم من أَقصى اليمينِ إِلى أَقصى الشمال ؛ كما يُقالُ اليومَ !!

(٢) مِن الفِرَقِ الباطنيّةِ الكافرةِ ، وانظر - للطرافة - ما سيأْتي (ص ١٧٨) !

« والذي يظهرُ من كلامِ الشيخ محمد رشيد رضا أَنّه ينكرُ على الدَّجالِينَ أَنّهم يدّعونَ إِخراجَ الشياطينِ من المصروعينَ ، ويعتبرُ ذلك خطورةً على الإِسلامِ يجبُ محاربتُها .

أَمّا ما يحصلُ من شفاءِ بعضِ المصروعينِ على يدِ نبيٍّ أَو وليٍّ فهو معجزةٌ لذلك النبيِّ أَو كرامةٌ من اللهِ لذلكَ الوليِّ ، وهو لا يستبعدُ أَن تكونَ مثلُ هذه الحالاتِ من قبيلِ الأَمراضِ العصبيّةِ ، كما أَنّه لا ينفي أَن تكونَ بفعلِ الجنِّ ، والحالاتُ التي تحدثُ بفعْلِ الجنِّ إِنّما هي من نوادرِ الاتفاقِ ، والنادرُ لا حكمَ له كما قرَّرهُ » .

* وقال الشيخُ أَبو بكرٍ الجزائريُّ في كتابِه « عقيدة المؤمنِ » (٢٢٠ - ٢٢١) حاكيًا عن حادثةٍ خاصّةٍ [١] :

« إِنّه كانَ لي أُختٌ أَكبرُ منّي تدعى (سعديّة) ، وكنّا يومًا ونحن صغارٌ نُطلعُ عراجينَ التمرِ من أَسفلِ البيتِ إِلى سطحِه بواسطةِ حبلٍ يُربطُ به القِنْوُ (العرجون) ، ونسحبُه إِلى السطحِ ونحنُ فوقَه ، فحصلَ أَنَّ أُختي سعديّة جرّت الحبلَ ، فضعفت عنه ، فغلبها ، فوقعت على الأَرضِ على أَحدِ الجُنونِ [٢] ، فكأَنّها بوقوعِها عليه آذتْه أَذى شديدًا ، فانتقمَ منها ، فكانَ يأتيها عند نومِها في كلِّ أُسبوعٍ مرّتين أَو ثلاثًا أَو أَكثر ، فيخنقُها ، فترفسُ المسكينةُ برجليها ، وتضطربُ كالشاةِ المذبوحةِ ، ولا يتركُها إِلّا بعدَ أَن تصبحَ أَشبه

---

(١) وانظر تفسيرَه المسمّى « أَيسر التفاسير » (١ / ٢٦٨) .

(٢) جمع (جنّي) .

بميتة ، ونطقَ مرّة على لسانِها [١] مصرِّحًا بأنّه يفعلُ بها هذا لأنّها آذته يومَ كذا في مكانِ كذا .

وما زالَ يأتيها ويعذِّبُها بصرعةٍ تأتيها عندَ النومِ فقط ، حتّى قتلَها بعد عشرِ سنواتٍ من العذابِ الذي لا يُطاقُ ، فصرعَها ليلةً على عادتِه ، فما زالت ترفسُ برجليها وتضطربُ حتّى ماتت ، غفرَ الله لها ورحمها ، آمين .

هذه الحادثةُ عشتُها بنفسي ، وبعيني رأيتُها ، وما راءٍ كَمَن سمع » [٢] .

ولكي لا أُخليَ المقامَ من إيرادِ الجانبِ الطبِّي التخصُّصيّ ، أذْكُرُ بَعْضَ (المشاهداتِ) العِلميّةِ (المُتَخصِّصة) الصادرةِ من أطبّاءَ دارسينَ ، وعُلماءَ عارفين ، وخُبَراءَ واعينَ ؛ أَذكرُها لِمَزيدٍ من الفائدةِ ، ولكيْ يتكلَّمَ مَن يريدُ (الكلامَ) عن بيِّنةٍ من أَمرِه :

المُشاهدَةَ الأُولى : قال الدكتور قيس غانم (اختصاصيّ الأَمراض العصبيّة وتخطيط الدماغ في كندا) في كتابِه المُتَميِّز « مرض الصَّرَع : أَعراضُهُ وعلاجُه » [٣] (ص ٢٢ - ٢٤) :

---

(١) سبق بيانُ ما في ذلك .

(٢) ولئن كانت القصّةُ موضعَ أَخذٍ وردٍّ من حيثُ دلالتِها ، لكنّها - مع الحوادث العمليّة الأُخرى بالإضافةِ للنصوصِ الشرعيّةِ السابقةِ - تُطمئنُ الناظرَ أَنَّ أَصلَ المسألةِ ثابتٌ ومُقرٌّ به عندَ أَهلِ العلمِ ، وليسَ هو من اختراعِ المشعوذين أَو الدجّالين كما يَفْتَريهِ البعضُ !

وسيأتي (ص ١٤٢) شهادةٌ أُخرى عن الحافظ ابن حجر رحمه اللهُ تعالى .

(٣) وقد قَرّظَ كتابَه وأثنى عليه الدكتور أَشرف الكردي أَمين عام اتّحاد الأَطباء العرب للعلومِ العصبيّة .، والكتاب من مطبوعاتِ الدار اليمنيّة / سنة ١٩٨٥ م .

« ... فقد كانت لي مريضةٌ صغيرةٌ تبلغُ من العمرِ خمسةَ أَعوامٍ ، كانَ والدُها مدرسًا سعوديًّا في الإماراتِ العربيّة المتحدة .

وأُصيبت البنتُ بحالةِ صرعٍ من النوعِ الاختلاجي [1] العضلي السريع الذي يرمي الطفلةَ إِلى الأَرض لمدّةِ ثوانٍ معدودةٍ ، تقومُ بعدَها كأَنَّ شيئًا لم يكن ، وقمتُ بفحصِها فلم أَجد سببًا للنوباتِ ، وأَجريتُ لها أَكثرَ من تخطيطٍ للدماغِ بَرْهَنَ بوضوحٍ على وجودِ حالةِ صَرْعٍ شديدةٍ ، فبدأتُ بعلاجِها بالأَدويةِ المعروفةِ ، وثابرتُ على ذلك لفترة طويلةٍ ، مُستعينًا بالمختبرِ في قياسِ كميّاتِ الدواءِ الموجودةِ في الدَّمِ ، ولم أَستطع أَن أُغيّرَ من النوباتِ التي استمرّت في الحدوثِ عدّةَ مرّاتٍ يوميًّا .

وفي يومٍ من الأَيّامِ صارحني الرجلُ السعوديُّ بأَنّه يفكرُ في أَخذِها إِلى رجلٍ صالحٍ مشهورٍ في منطقةٍ معينةٍ من المملكةِ ، فقلتُ له : « على بركة اللهِ » ، خاصّةً وأَنني فشلتُ في علاجِها .

فلمّا عادَ ، بشَّرني بأَنَّ النوباتِ قد توقفتْ تمامًا ، وأَنّها لا تتعاطى أَيَّ دواءٍ، وأَنَّ الرجلَ الصالحَ أَعطاها جرعةً واحدة من قِدْرٍ كبيرٍ [2] بينا كانَ يقرأُ بعضَ الآياتِ ، وفي الوقتِ الذي فرحتُ فيه للفتاةِ ، كنتُ أَشكُّ في صدقِ هذا النجاحِ الباهرِ ، فلربما أَنَّ النوباتِ التي تستغرقُ ثوانيَ معدودةً كما قلنا ،

(١) أي : التشنُّجيّ .

(٢) قد يكونُ عَسَلًا ، أَو زيتَ زيتونٍ ، أَو الحبّةَ السَّوداء ؛ ممّا وَرَدَ له فضلٌ في صحيح السنّة المشرّفة .

تحدثُ بسرعةٍ فائقةٍ بحيث لا تلاحظُها الأمُّ ، ولكنَّ الأَبَّ أَصرَّ على أَنَّ النوباتِ توقفتْ بالفعلِ .

وقلتُ له : دعنا نعيدُ تخطيطَ الدماغِ لكي نرى ما إذا كانَ فرْقٌ قد طرأَ عليه ، وكانَ التخطيطُ سليمًا للغايةِ ! وكانَ الشكُّ ما زالَ يساورني ، فطلبتُ منه إعادةَ الطفلةِ إليَّ بعد شهرين ، فلمّا عادَ أَكّدَ أَنَّ النوباتِ لم تعُد مطلقًا ، وبما أَنَّ التخطيطَ يمكنُ أَن يكونَ سليمًا حتّى لدى المصابين بالصَّرْعِ الشديدِ ، أَعدتُ التخطيطَ مرّةً أُخرى ، وذُهلتُ من جديدٍ عندما وجدتُه سليمًا .

ومثلُ هذه القصّةِ النادرةِ تجعلُ الطبيبَ مهما كانَ تدريبُه علميًّا يدركُ أَنَّ هناكَ عواملَ أُخرى تحتاجُ إلى دراسةٍ إِضافيّةٍ في محيطِنا العربيِّ الإِسلاميّ » .

أَقولُ : فلعلَّ كتابي هذا - إنْ شاءَ اللهُ - على وجازتِهِ وقلّةِ مادّتِهِ - يجيبُ على **شيءٍ** مِن هاتيك الإِشكالاتِ التي وَقَفَ الكثيرونُ أَمامَها حَيَارىٰ ، لا يعرِفونَ لها تفْسيرًا ، ولا يعلمونَ لها وَجْهًا ...

والمشاهدةُ الثانيةُ : ما كَتَبَهُ [1] الدكتورُ نبيل سليم ماء البارد (بروفُسور جراحة المخّ والأَعصاب والعمود الفِقري / جامعة مُونيستر - أَلمانيا الغربيّة) عن حالةٍ وَقَعَتْ أمامَ عَيْنَيْهِ لإِحدىٰ المريضاتِ ، قال :

« قبلَ القراءةِ عليها كانت المريضةُ قلقةً متوترةً مع نوباتٍ من الهمودِ

(١) ونَقَلَهُ عنه الشيخ أَحمد بن محمود الدِّيب في كتابِه « العلاج القرآنيّ والطبيّ مِن الصرعِ الجنّيّ والعُضويّ » (ص ٩٨ - ١٠٠) .

النفسيّ تجيبُ على الأَسئلةِ المطروحةِ عليها ، ولكنّها غير متعاونةٍ تمامًا ، يبدو أَنّها قَلِقَةٌ ليست على نفسِها فقط ، ولكن على كلٍّ من حولَها من عائلتها ، أَظهرَ الفحصُ العصبيُّ المختصُّ أَنّها سليمةٌ من جميعِ النواحي العضويّة العصبيّة ، أَما فحصُ الحدقتينِ فكانتا بحجم طبيعيٍّ (٤ - ٥ م) ، مع استجابةٍ عاديّةٍ للمنعكسِ الضوئيِّ ؛ حيثُ إِنّه من المعروفِ أَنَّ تسليطَ الضَوْءِ على حدقةِ الإِنسانِ المتواجدِ في غرفةٍ معتمةٍ نوعًا ما يؤدي إِلى انقباضٍ أَو صغرٍ في حجمِ هذهِ الحدقةِ ، هذا ما كانَ عليه الحالُ بالنسبةِ للسيدةِ المذكورةِ .

وبعد القراءةِ عليها ومحاولةِ التكلُّم [1] مع مَن تواجدَ بداخلِها ، بدأتْ بالانفعالِ الشديدِ والهيجانِ ، وقد بدا واضحًا أَنَّ الشخصَ الذي يتكلّمُ معنا هو شخصٌ آخرُ [1] ، ليس فقط بسببِ تغيّرِ نبرةِ الصوتِ ، وإِنّما للتعرُّضِ لأَحداثٍ وإِجاباتٍ لم تكن تعرفُ عنها شيئًا قبلَ ذلك ، وخلالَ هذا الطورِ كانَ من الصعوبةِ تسليطُ الضوءِ على العينينِ لفحصِ الحدقتينِ ؛ حيثُ كانَ ذلكَ يؤدي إِلى هيجانٍ شديدٍ مع صعوبةٍ في السيطرةِ عليها .

ولكن بالرُّغمِ من ذلك تبيّنَ بأَنَّ حدقتي العينينِ هما في أَشدِّ مراحلِ التضييقِ ، ولا يوجدُ لهما أَيُّ تفاعلٍ أَو تغيرٍ بعد تسليطِ الضوءِ الشديدِ عليهما، وكانت العينانِ في حالةِ حركةٍ أُفقيّةٍ مستمرّةٍ ، وهي ما نسميه بـ (الرأرأة) .

وفي المرحلةِ الأَخيرةِ ، وعندما طُلبَ من الجنّيِّ الخروجُ منها - وذلكَ عن

---

(١) قد تقدّمَ أنّه لا دليلَ في الشرعِ يُثبِتُ وقوعَ ذلك .

نعم ؛ لا يُوجدُ شرعًا ما يَنفي ذلك ويردُّهُ .

طريقِ الساقِ اليسرى [١] - أَصابتها حالةٌ اختلاجيّةٌ تشنجيّةٌ شديدةٌ ، وموضعُها خاصةً في الساقِ اليسرى .

وبعد ذلكَ طرأَ تغيرٌ شديدٌ على المريضةِ ، حيثُ استفاقتْ وهي لا تعلمُ عن كلِّ ما أَصابَها ، كانت في حالةِ ذُهولٍ شديدٍ ، وأَرادت أَن تتمم الحديثَ الذي بدَأَتْه .

قبلَ القراءةِ بدا عليها علاماتُ الارتياحِ والطمأنينةِ ، وعندما سألناها عن الصداعِ الشديدِ الذي كانت تشعرُ به قبلَ ذلك ؟ أَجابت بأَنّه قد اختفى نهائيًّا .

تمَّ فحصُ حدقتي العينينِ للمرّةِ الثالثةِ ، ووُجدَ أَنَّهما عادتا إِلى الوضعِ الطبيعيِّ الذي كانتا عليه قبل أَن تتمَّ القراءةُ عليها .

أَمّا فحصُ قاعِ العينِ فقد كانَ طبيعيًّا قبلَ وأَثناءَ القراءةِ عليها .

وصَدَقَ اللهُ تعالى حيثُ قالَ في مُحكم كتابِهِ الكريمِ : ﴿ وَنُنَزِّلُ من القرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ ﴾ ، وقال : ﴿ وما أُوتيتم من العلمِ إِلّا قليلًا ﴾ . » .

... والقصصُ الواقعيّةُ في هذه المسألةِ كثيرةٌ ، وكثيرةٌ جدًّا [٢]،

---

(١) لا أَعلمُ أَصلًا شرعيًّا لطريقة الإِخراجِ هذه !

(٢) انظر « المعيار المعرب » (١ / ٤٢٥) للونشريسي ، و « مناقب الإمام أَحمد » (٤٢٠ - ٤٢١) لابن الجوزي ، و « المقصد الأَرشَد » (١ / ٢٠٠) ، وغيرها كثيرٌ .

وللوقوفِ على أَمثلة متعددة أُخرى عليها - مجموعةً - يُنْظَر كتاب « الجنّ والشياطين مع النَّاس » (ص ٨٥ - ٩٨) من تأليف عبدالوهّاب العثمان / نشر دار ابن تيميّة - الكويت ، سنة ١٩٨٥م .

أَقولُ : فماذا يقولُ - بَعْدُ - (المُنْكِرونَ المُخالفون) ؟!

هل إلى الحقِّ يرجعونَ ؟! أَم في (أَوهامِهم) يستمرُّونَ ؟!

فإنِ اتّكأوا على (الطبِّ) ؛ فانظر أَهلَه بِمَ يشهدونَ ؟!

وإن اعتمدوا على الشَّرْع ؛ فانظر أَئمّتَهُ وكبراءَه ماذا يُقَرِّرونَ !!

□□□□□

١٥ - شبهاتٌ وردودٌ

أَهلُ الشبهاتِ [(١)] موجودونَ في كلِّ عصرٍ ومصرٍ ، وشبهاتُهم لا تنتهي لِما هو معلومٌ من استمراريّةِ الصّراعِ بين الحقِّ والباطلِ ، وبينَ الخيرِ والشرِّ .

وقد يُلْقي الشبهةَ - أَو يتلقَّفُها - مَن ليسَ مَعْدودًا مِن أَهلِ الشبهاتِ ، ولكنَّ شُبهتَه تُذكَرُ لِتُهْجَرَ وتُحْذَرَ ..

والعلاجُ الأَكملُ للشبهاتِ هو هجرُها والإِعراضُ عنها ، والبُعْدُ مِنها ، « **لأَنَّ القلوبَ ضعيفةٌ ، والشُّبَهَ خطّافةٌ** » [(٢)].

قال الإمامُ ابنُ القيّمِ في كتابِهِ العُجابِ « مفتاح دار السعادة » [(٣)] (١ / ٤٤٣) :

« وقالَ لي شيخُ الإِسلامِ [ابنُ تيميّةَ] رضي اللهُ عنه - وقد جعلتُ أُوردُ عليه إِيرادًا بعدَ إِيرادٍ - : لا تجعلْ قلبَكَ للإِيراداتِ والشبهاتِ مثلَ السفنجةِ

---

(١) قالَ ابنُ القيّمِ في « مفتاح دار السعادة » (١ / ٤٤٣) : « وإِنّما سُمِّيت الشُّبهَةُ شُبهةً لاشتباهِ الحقِّ بالباطلِ فيها ، فإِنّها تلبسُ ثوبَ الحقِّ على جسمِ الباطلِ .. » .

(٢) « سير أَعلام النُبلاءِ » (٧ / ٢٦٧) .

(٣) وقد حققتُه في ثلاثة مجلداتٍ ، وهو من منشورات دار ابن عفّان - الدمام .

فَيَتَشَرَّبَ بها فلا ينضح إلّا بها ، ولكن اجعلْه كالزجاجةِ المصمَتةِ [١] تمرُّ الشبهاتُ بظاهرِها ولا تستقرّ فيها فيراها بصفائِه ، ويدفعُها بصلابتِه ، وإلّا فإذا أَشربتَ قلبَكَ كلَّ شبهةٍ تمرُّ عليكَ صارَ مقرًّا للشبهاتِ ، أَو كما قال .

فما أَعلمُ أَنني انتفعتُ بوصيّةٍ في دفعِ الشبهاتِ كانتفاعي بهذه » .

أَقولُ : وقد روى الحافظُ ابنُ سعدٍ في « الطبقاتِ » (٧ / ١٨٤) عن أَبي قِلابةَ رحمه اللهُ قولَه :

« إذا حدَّثتَ الرَّجلَ بالسنّةِ فقال : دَعْكَ مِن هذا ، وهاتِ كتابَ اللهِ ! فاعْلَمْ أَنَّه ضالٌّ » .

وقد نَقَلَ الإمامُ العلّامةُ شمسُ الدين الذهبيُّ في كتابِه « سير أَعلامِ النبلاء » (٤ / ٤٧٢) هذه الكلمةَ ، ثمَّ قال :

« **قلتُ أَنا** : وإذا رأيتَ المتكلِّمَ المبتدعَ يقولُ : دَعْنا من الكتابِ والأَحاديثِ الآحادِ ، وهاتِ العَقْلَ ! فاعلمْ أَنّه أَبو جهلٍ ، وإذا رأيتَ السّالكَ التوحيديّ [٢] يقولُ : دَعْنا من النَّقْلِ ومن العَقْلِ ، وهاتِ الذَّوْقَ

---

(١) هي كالمرْآة .

(٢) نسبةً إلى (أَبي حيّان التوحيديّ) المتوفّى سنة (٤١٤هـ) ، مترجم في « معجم الأُدباءِ » (١٥ / ٢٤) ، وقد كانَ صوفيًّا ، يؤمن بوحدةِ الوجود ؛ وهي آخر مرحلة من مراحلِ التصوّفِ ، تَقْرُبُ من الزندقةِ » ، كما قالَ الدكتور إبراهيم الكيلاني في مقدّمته على « رسائل أَبي حيّان التوحيدي » (ص ١١٠) .

ولا يختلطنّ عليك (أَبو حيّان التوحيدي) بـ (أَبي حيّان الأندلسيّ) ! فبينهما أَكثر من ثلاثة قرون ! فضلًا عن الفوارق المنهجيّة !!

والوَجْدَ ! فاعلمْ أَنَّهُ إبليس قد ظهرَ بصورةِ بشرٍ ، **أَو قد حلَّ فيه** ، فإن جَبُنْتَ منه فاهْرُبْ ، وإلّا فاصرعْهُ وابْرُكْ على صَدْرِهِ ، واقرأْ آيةَ الكرسيّ واخْنقْهُ » [1] .

(**وأَقولُ أَنا**) : وهكذا المُعاصرونَ مِن أَهلِ الشبهاتِ ، ليسَ معهم إلّا العقلُ ، أَو النفيُ ، أَو التعطيلُ !

فرأيتُ الاقتصارَ في هذا الفَصْلِ - خشيةَ الإِطالةِ والإِملالِ - على إيرادِ شبهتينِ ؛ إِحداهما عقليّة ، والأُخرى نقليّة :

الشبهةُ الأُولى :

قول الشيخ محمد الغزاليّ (!) في كتابِه الأَبترِ : « السنّة النبويّة بين أَهلِ الفقهِ وأَهلِ الحديث » (ص ٩٣ / ٩٥) [2] :

« قلتُ وأَنا ضَجِرٌ : هل العفاريتُ متخصصةٌ في ركوبِ المسلمينَ وحدَهم ؟! لما لم يَشْكُ أَلمانيٌّ أَو يابانيٌّ من احتلالِ الجنّ لأَجسامِهم ؟! إنَّ سمعةَ الدينِ ساءت من شيوعِ هذهِ الأَوهامِ بين المتديِّنينِ وحدَهم ، وعندما تناقلت الصحفُ أَنَّ الشيخَ عبدالعزيز بن باز أَخرجَ شيطانًا بوذيًّا من أَحدِ

---

(١) وهذا مِن الإمام الذهبيّ إثباتٌ للتلبُّسِ والصَّرْع .

على أَنَّ الخَنْقَ المشارَ إِليه - ويفعلُه بعضُهم ! - لا دليل عليه !!!

(٢) وكرّره فيما سوّده تقديمًا لكتابِ « الأُسطورة » (ص ٧ - ٨) ! بل نقلَه عنه - أَيضًا - صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٧١) !

الأَعرابِ ، وأَنَّ هذا الشيطانَ أَسلمَ ، كنتُ أَرقبُ وجوهَ القرّاءِ وأَشعرُ في نفوسِهم بمدى المسافةِ بين العلمِ والدينِ ، إِنَّ قَدْرَ القرآنِ الكريمِ أَعظمُ كثيرًا من هذه القضايا » .

والجوابُ على هذا الاعتراضِ مِن وجوهٍ :

« **أَوّلاً** [1] : من قالَ بأَنَّ الجنَّ لا يتسلّطونَ على الكافرينَ ؟ إِنّهم يتسلطونَ عليهم ويؤذونَهم ويصرعونهم ، وقد اعترفَ بذلك عقلاءُ أَطبائِهم قديمًا وحديثًا :

أَمّا قديمًا ؛ يقولُ ابنُ القيّم – رحمه الله – : « فأَمّا صرعُ الأَرواحِ فأَئمّتُهم وعقلاؤهم يعترفونَ به ولا يدفعونَه ، ويعترفونَ بأَنَّ علاجَه بمقابلةِ الأَرواحِ الشريفةِ الخيّرةِ العُلويّةِ لتلكَ الأَرواحِ الشريرةِ الخبيثةِ ، فتدفعُ آثارَها وتُعارضُ أَفعالَها وتبطلُها ، وقد نصَّ على ذلكَ أَبقراط في بعضِ كتبِه ، فذكرَ بعضَ علاجِ الصرعِ ، وقال : هذا ينفعُ من الصرعِ الذي سببُه الأَخلاطُ والمادّةُ ، وأَمّا الصرعُ الذي يكونُ من الأَرواحِ ، فلا ينفعُ فيه هذا العلاجُ » [2] .

أَمّا في العصرِ الحديثِ ؛ لقد اعترفَ بعضُ الأَطبّاءِ بالصرعِ الذي سببُه الأَرواحُ ، وانصبّت دراستُهم على هذهِ الظاهرةِ المحيّرةِ في كثيرٍ من الأَحيانِ ،

---

(١) الجوابُ عن هذه الشبهة للدكتور عبدالله الطيار في كتابِه « فتح الحقّ المبين » (٨٢ – ٨٥) بمراجعة سماحة أُستاذنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه اللهُ ونَفَعَ به .

(٢) « الطبّ النبويّ » ابن القيم (ص ١٩١) .

وكانت دراساتُهم على أَساسِ أَنّها من تأثيرِ الأَرواحِ الخبيثةِ ، وليسَ على أَساسِ أَنّها حالاتٌ عصبيّةٌ كما يفسّرُ ذلك الكثيرُ من الأَطبّاءِ اليومَ !

يقول (كارنجتون) عضو جمعيّةِ البحوثِ النفسيّةِ الأَمريكيّةِ عن حالةِ المسّ : « واضحٌ أَنَّ حالةَ المسّ هي على الأَقلّ حالةٌ واقعيّةٌ لا يستطيعُ العلمُ أن يُهملَ أَمرَها ، ما دامت توجدُ حقائقُ كثيرةٌ مدهشةٌ تؤيدُها .

وما دامَ الأَمرُ كذلكَ فإِنَّ دراستَها أَصبحتْ لازمةً وواجبةً لا من الوجهةِ الأَكاديميّةِ فقط ، بل لأَنَّ مئاتٍ من النّاسِ وأُلوفًا يعانونَ في الوقتِ الحاضرِ من هذه الحالةِ ، ولأَنَّ شفاءَهم يستلزمُ الفحصَ السريعَ والعلاجَ الفوريّ ، وإِذا نحنُ قررنا إِمكانيّةَ المسّ من الوجهةِ النظريّةِ انفتحَ أَمامَنا مجالٌ فسيحٌ للبحثِ والتقصّي ، ويتطلبُ كلَّ ما يتطلبُه العلمُ الحديثُ والتفكيرُ السيكولوجيُّ من العنايةِ والحِذقِ والجَلَدِ » .

ولا يملكُ هؤلاءِ الأَطبّاءُ اليومَ إِلّا الاعترافَ بتأثيرِ العوالِم الرّوحيّةِ على بعضِ أَجسامِ البشرِ وعقولِهم ، فنشأَ عن هذا التأثيرِ حالاتُ المسّ التي لا يقدرُ الطبُّ على معالجتِها بمستوى العلاجِ بالطرقِ التي رسمها الإِسلامُ لذلك من الأَدعيةِ الشرعيّةِ في الكتابِ والسنّةِ النبويّةِ .

ثانيًا : إِنَّ وقوعَ الصرعِ من جهةِ الأَرواحِ الأَرضيّةِ الخبيثةِ عندَ من ينكرُ هذا النوعَ من الصرعِ يفسرونَه بتفسيراتٍ متعددةٍ سواءٌ المريضُ أَو المعالِجُ ، فيفسرونَه على أَنّه أَمراضٌ نفسيّةٌ أَو عصبيّةٌ أَو غيرُها من التفسيراتِ .

وقد قرأنا [١] على امرأةٍ أمريكيّةٍ أَسلمت وحسُن إسلامُها - ولا نزكّي على اللهِ أحدًا - فأَخبرَنا زوجُها بأنّه سَبَقَ وأَن ذهبَ بها إلى أحدِ القرّاءِ الثقاتِ ، وفي أَثناءِ القراءةِ عليها نَطَقَ الجنيُّ على لسانِها [٢] ، وكانَ يتكلّمُ اللغةَ الإنجليزيّة ، فأخبرَ أنّه متلبس بها منذُ كانَ عمرُها أَربع سنواتٍ ؛ أَي : حينما كانت كافرةً .

ثالثًا : إنَّ الكافرينَ مُنَعَّمونَ في الحياةِ الدنيا ، وما لهم في الآخرةِ من خَلاق ، أَمّا المؤمنُ فهو معرَّضٌ للابتلاءِ في الحياةِ الدنيا ؛ ليمحِّصَ اللهُ إيمانَه ، أَو يرفعَ درجاتِه ، أَو يحطَّ سيئاتِه ، أَو ليرجعَه إلى اللهِ من جديد بعدَ أَن ابتعدَ عن حِماه ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ بما كسبتْ أَيدي النَّاسِ ليذيقَهم بعضَ الذي عَمِلوا لعلَّهم يرجعون ﴾ .

يقولُ الرسولُ ﷺ فيما رواه أَنس بن مالك : « يُؤتى بالكافرِ فيُغمسُ في النَّارِ غمسةً ، ثمَّ يقالُ له : هل رأيتَ خيرًا قطّ ؟ هل رأيتَ نعيمًا قطّ ؟ فيقولُ : لا واللهِ لا يا ربِّ . ويُؤتى بأَشدِّ النَّاسِ بؤسًا كانَ في الدنيا فيُصبغُ في الجنَّةِ صبغةً ، ثمَّ يقالُ له : هل رأيتَ بؤسًا قطّ ؟ فيقولُ : لا واللهِ يا ربِّ » [٣] ، أَي : ما كانَ شيئًا كانَ .

---

(١) والكلامُ ما يزالُ للدكتور محمد الطيّار .

(٢) سبق بيانُ ما في ذلك .

(٣) رواه مسلم (٢٨٠٧) .

وأَخيرًا ؛ إنَّ الكافرينَ بعضُهم أَولياءُ بعضٍ ، فكما أَنَّ الأَصلَ في المسلمِ من الإِنسِ عدمُ إِيذاءِ الآخرينَ فكذلكَ الأَصلُ في الجنِّ .

ولذا نجدُ أَنَّ الكافرينَ من الإِنسِ هم أَعداءٌ للمسلمينَ ويتلذّذونَ بإِيذائِهم وتعذيبِهم ، أَمّا فيما بينهم فلا .

ولذا فالجنيُّ المسلمُ لا يؤذي أَحدًا - مسلمًا كانَ أَم كافرًا - إلّا لسببٍ ما ، والكافرُ من الجنِّ لا يخافُ الله ولا يعرفُه فيسلّطُ على المسلمينَ انتقامًا ، كما هو الحالُ عند كافري الإِنسِ » [1] .

أَقول : وقد أَفردَ رياض مصطفى العبد الله أَسماءَ وقصصَ عددٍ من **المصروعينَ والملبوسينَ من الكُفَّارِ والغربيّينَ** في كتابٍ مُفْرَدٍ له سمّاه « **المسكونونَ بالشياطين** »[2] !

وفي كتاب « حوار هادئ مع محمد الغزالي » (ص ١٢٣) ردٌّ آخر على هذه الدّعاوى (الغزاليّة) ، قال :

« في كلامِ الشيخ الغزاليِّ حولَ المسِّ الشيطانيِّ ، لم يذكر دليلًا واحدًا لا من الكتاب ولا من السنّةِ ، **بل ولا حتّى من العقلِ ولا من العلمِ الحديث** ؛ يبيّن استحالةَ دخولِ الجنيِّ في الإِنسيِّ ، كلُّ ما ذَكَرَهُ الشيخُ هو عدمُ العلمِ بهذا الشيءِ، العقلُ قد لا يثبتُه - جدلًا -، لكن لم يوجد في دلالةِ العقولِ ولا

---

(١) « فتح الحقّ المُبين » (ص ٨٢ - ٨٥) للدكتور محمد عبدالله الطيّار .

(٢) وهو مطبوعٌ في دار الكتاب العربي - دمشق - سوريا .

في العلمِ الحديثِ ولا في الكتابِ والسنّةِ ما يدلُّ على أَنَّ ذلك غيرُ ممكن ، والعلماءُ يقولون : « عدمُ العلمِ بالشيءِ ليس علمًا بالعدمِ » .

يعني [أَنَّ] عدمَ علمِك بحصولِ شيءٍ ليسَ علمًا منك بعدمِ حصولِه ، قد يحصلُ ولا تعلمُ بذلكَ أَنت ، وكثيرٌ من الأَشياءِ قد لا يستطيعُ العلمُ إِثباتها ، فهل استطاعَ العلمُ الآنَ أَنْ يُثبتَ الجنَّ أَيضًا ؟ بل هل في العقولِ ما يمكنُ أَنْ يُثبتَ الجنّ ؟

كلُّ الأَدلةِ العقليّةِ أَو العلميّةِ التي تقالُ بإِثباتِ الجنِّ يمكنُ أَنْ يُرَدَّ عليها ، ولا يمكنُ أَنْ ترقى إِلى مستوى النصوصِ الشرعيّةِ القرآنيّةِ والحديثيّةِ الثابتةِ في إِثباتِ الجنِّ وفي خصائصِهم وأَوْصافِهم .

كذلك فإِنَّ هذا الأَمرَ وإِنْ لم يُثبتْه العلمُ الحديثُ كما يرى الشيخُ ، أَو العقلُ - كما يرى أَيضًا - ، هو ثابتٌ بضرورةِ الواقعِ ، فإِننا نعلمُ عددًا من النّاسِ تخاطبُهم الجنُّ ويخاطبونَها[1] ، ونعلمُ من الإِنسِ من يتلبّسُ بهم الجنّ ».

الشبهةُ الثانية :

استدلالُ أَبي الوفاءِ درويش في كتابِهِ « صيحة الحقّ » (ص ٢٠٤ - ٢١١) على نفي التلبُّسِ بقولِه تعالى : ﴿ وقال الشيطانُ لمّا قُضيَ الأَمرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكم وَعْدَ الحقِّ وَوَعَدْتُكم فأَخْلَفْتُكم وما كانَ لي عليكم مِن سلطانٍ إِلّا أَن دعوتُكم فاستجبتُم لي ﴾ [إِبراهيم : ٢٢] قائلًا :

(١) سبق بيانُ ما هي هذه المسألةِ ، شرعًا وواقِعًا .

« وإذا كانَ الشيطانُ يعترفُ بضعفِه فيما أُتيحَ له ، فكيفَ يزعمونَ له القدرةَ على ما لم يُتَحْ له ؟! » [(١)] .

ثمَّ قال :

« ما ادّعى الشيطانُ القُدرةَ على شيءٍ ممّا نسبتُم إليه ، فكيفَ تدّعونَ له ما لم يَدَّعِ لنفسِه ؟! وكيفَ يكونونَ شيطانيّين أكثرَ من الشيطانِ ؟! » !!

فالجوابُ ما قالَه الإمامُ ابنُ مُفلحٍ في كتابِه « مصائب الإنسان » (ص ٥٩) :

« السلطانُ المنفيُّ في هذا الموضعِ هو الحُجّةُ والبُرهانُ ، أي : ما كانَ لي مِن حُجّةٍ وبُرهانٍ أحتجُّ به عليكم ، كذا قالَ ابنُ عبّاسٍ : إنّي ما أظهرتُ لكم حُجّةً إلّا أنْ دعوتُكم فاستجبتُم لي ، وصدّقتم مقالتي ، واتبعتموني بلا بُرهانٍ ولا حُجّةٍ .

وأمّا السُّلطانُ الذي أَثْبَتَهُ في قولِه : ﴿ إِنَّمَا **سُلْطَانُهُ** عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ فهو تسليطُهُ عليهم بالإغواءِ والإضلالِ ، وتمكُّنُه منهم ، بحيث يؤزُّهُم إلى الكفرِ والشركِ ، ويُزعِجُهم إليه ، كما قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ .. وذلك أَنَّ الأَزَّ هو التحريكُ والتَّهييجُ ، ومنه يقالُ لِغَلَيانِ القِدْر : أَزٌّ ؛ لأنَّ الماءَ يتحرّكُ عندَ الغليانِ ..

---

(١) وهي عند الفخر الرازي في « تفسيره » (٧ / ٨٨) بنحو ذلك !

فهذا مِن السُّلطانِ الذي له على أَوليائِه ، وليس ذلك سُلطانَ حُجّةٍ وبُرهانٍ ، بل استجابوا له لمَّا دعاهم لِمَا وافقَ هواهم ، فهم الذينَ مكّنوا عدوَّهم مِن سُلطانِهِ عليهم بمتابعتِهم إيّاهُ ، فَسُلِّطَ عليهم عقوبةً لَهُم » [(١)] .

« فليسَ في الآيةِ دليلٌ على نَفْيِ الصَّرْعِ كما زَعَمَ المُنكِرون » [(٢)].

○ رَدٌّ على ذَيْلِ شُبهةٍ :

قال صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٧٣) :

« ولو استقرأنا (!) ما وَرَدَ في كتابِ اللهِ تعالى من المَسِّ ، **لَمَا وجدناه يَخرجُ عن الوسوسةِ التي نبَّهَ الشيطانُ نفسُه أنّه لا يُحْسِنُ غيرَها** [(٣)] ، كما في آياتٍ كثيرةٍ (!) ، وليتَّضحَ لك معنى المسِّ ، أُوردُ لكَ الآيتينِ الوحيدتين

(١) وقالَ العلّامة الآلوسيُّ في « روح المعاني » (١٣ / ٢٠٩) : « وإنَّ المقصودَ في الآيةِ نَفْيُ أَنْ يكونَ له تَسلُّطٌ في أَمرِ الإضمحلالِ إلّا بمحضِ الوسوسةِ ، لا نَفْيِ أَن يكونَ له تسلُّطٌ أَصلًا ، والسياقُ أَدلُّ قرينةٍ على ذلك » .

وانظر « تفسير ابن كثير » (٢ / ٥٨٧) و « فتح القدير » (٣ / ١٩٣) .

(٢) « عالم الجنّ » (ص ٢٨٥) عبدالكريم نوفان .

(٣) وهذا مبنيٌّ على الشبهةِ السابقةِ ، وقد تقدّم نقضُها !!

ولقد تبنّى صاحبُ « الاستحالةِ » (ص ١٧ - الملحق) نَحْو هذا الكلامِ ، فقالَ في وَصفِ الشيطان : « **إنَّ شرَّه انْحَصَرَ في الوسواسِ** » !!

وهو - كذلك - اعتقادُ الشيخ الغزالي (!) كما في (جريدة المسلمون) العدد (٢٥٢) صفحة : ٨ ، قالَ : « لا سُلطان للجنّ على الإنسِ ، ولو وُجد سُلطان يكون بالوسوسةِ ، وبالإيذاءِ المعنويّ ... » !!!

﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ... ﴾ ؟!! .

المذكورَ فيهما هذه الكلمةُ مقترنةٌ بالشيطانِ ، مع ما فيهما من المعاني [١] :

فقولُه تعالى : ﴿ وإمّا ينزغنَّكَ مِن الشيطانِ نَزْغٌ فاستعِذْ باللهِ إنّه سميعٌ عليم إنَّ الذينَ اتَّقَوْا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطانِ تذكَّروا فإذا هم مُبصِرونَ وإخوانُهم يَمُدُّونَهم في الغَيِّ ثمَّ لا يُقْصِرونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠ - ٢٠٢] .

فسياقُ هذهِ الآيةِ يُحَتِّمُ علينا (!) أَن نفهمَ المسَّ بمعنى الوسوسةِ والإغواءِ .. » !!

ثمَّ قالَ : « وورَدَ مسُّ الشيطانِ في موضعٍ آخرَ مِن القرآنِ لا غير ، وذلك في قولِه تعالى : ﴿ واذكر عبدَنا أيُّوبَ إذ نادى ربَّه أنّي مَسَّني الشيطانُ بنُصْبٍ وعذابٍ اركُضْ برِجلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ باردٌ وشَرابٌ ﴾ [سورة ص: ٤١-٤٢].

والمَسُّ هنا : ليس إلّا الوسوسةُ له في مَرَضِهِ مِن تعظيمِ ما نَزَلَ به مِن البلاءِ ، والإغراءِ على الجزعِ ، كانَ الشيطانُ يوسوسُ إليه بذلك ، وهو يُجاهِدُهُ في دفعِ ذلك حتّى تَعِبَ وتألَّمَ على ما هو فيه من البلاءِ ، فنادى ربَّه يستصرفُهُ عنه ويستعينُه عليه » !!

ثمَّ قالَ : « وجُمهورُ المفسِّرينَ (!) لم يُعَلِّقوا هذه الآيةَ بشيءٍ من الصَّرْعِ وآثارِه .. » !!

إلى آخرِ ما سوّده في تفسيرِها - تحكُّمًا - لتأييدِ قولِه !!

---

(١) وهذا - أيضًا - مجمل ما ذَكَره الفخرُ الرازيّ في « تفسيره » (٤ / ٧٧ - ٧٩) !!

والجوابُ على ذلك مِن وجوهٍ :

الأوّلُ : أنَّ المُشْتَرَكَ اللغويّ لمعاني بعضِ الكلماتِ لا ينفي بعضَها الآخر ، فلئِنْ سَلَّمْنا - فَرَضًا - أنَّ معنى المَسّ في آيةٍ هو الوسوسةُ ، فإنَّ ذلكَ لا ينفي - لزومًا - كونَها واردةً في آيةٍ أُخرى بمعنى الصَّرْعِ والتخبُّطِ .

ولقد ذَكَرَ الإمامُ ابنُ كَثيرٍ في « تفسيرِه » (٢ / ٢٧٩) الأَقوالَ المُعتبرةَ الواردةَ في تفسيرِ آيةِ الأَعرافِ : ﴿ إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطانِ ﴾ ، فكانَ من ذلك قولُه : « **ومِنهم مَن فسَّرَهُ بمسّ الشيطانِ في الصَّرْعِ ونحوِه** » .

ثمَّ ذكرَ حادثةَ المرأةِ التي كانت تُصْرَعُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ [1] .

وهذا واضحٌ جَليٌّ - بحمدِ اللهِ - لمن عَرَفَ دلالاتِ المعاني ، وسياقاتِ النُّصوصِ ، فلا نضربُ الأَدلّةَ بعضِها ، وإنّما نسوقُها سوقًا واحدًا ، وعلى الوجوهِ الواردةِ فيها أَصالةً .

الوجهُ الثاني : أَنَّ آيةَ سورةِ ﴿ ص ﴾ : ﴿ واذْكُرْ عَبدَنا أَيُّوبَ إذ نادىٰ ربَّه أَنّي مَسَّني الشيطانُ بِنُصْبٍ وعذابٍ .. ﴾ لأَئمّةِ العلمِ فيها أَخْذٌ ورَدٌّ كثيرٌ ، فمِن حاملٍ على البلاءِ الجسمانيّ ، ومن حاملٍ على الوسوسةِ والإغراءِ ..

وعلى أَيٍّ ؛ فممّا لا شَكَّ فيه أَنَّ مِن أَعظمِ وجوهِ التفسيرِ هو تفسيرَ القرآنِ بالسنّةِ ، وعليه ؛ فَحَمْلُ الآيةِ على ما نُقلَ في السنّةِ الصحيحةِ [2] مِن

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٦٥٢) عن ابنِ عبّاسٍ رضي اللهُ عنهما .

(٢) انظر ما تقدَّم (ص ٤١ - ٤٢) .

ابتلاءِ أيّوبَ عليه السلامُ ببدنِه هو أقوىٰ ما يُقالُ في الآيةِ الكريمة .

وليسَ هذا مُناقضًا - بحالٍ - لمعاني (المَسّ) الأُخرى ؛ كما هو ظاهرٌ بحمدِ اللهِ .

وعليه ؛ فإنَّ (المَسَّ) قد يَرِدُ بمعنى تَخبُّطِ الشيطانِ ، وقد يَرِدُ بمعنى الوسوسةِ ، وقد يَرِدُ بمعنى البَلاءِ .

قال الأُستاذُ عبدالكريم نوفان عبيدات في كتابِه « عالم الجنّ في ضوء الكتابِ والسنّةِ [١] » (ص ٣٢٣) :

« والذي تطمئنُّ إليه النفسُ أنّه لا مانعَ أَن يكونَ للشيطانِ تأثيرٌ على جسمِ أيّوبَ فيصاب بالمرضِ ، مع أَنَّ ذلكَ إنّما يكونُ بقدَرٍ من اللهِ لحكمةٍ أَرادَها ، **وأَمّا كيفيّةُ إِصابةِ الشيطانِ له بذلك ؛ فهذا ما لا علمَ لنا به ، وأَمرُه إلى اللهِ** .

وما أَصابَ أَيّوبَ عندئذٍ من المَرَضِ بفعلِ الشيطانِ - كما هو ظاهرُ القرآنِ - لا يتعارضُ مع عصمةِ الأَنبياءِ ؛ لأَنَّ عصمةَ الأنبياءِ من الشيطانِ إنّما تكونُ باستبعادِ تسلُّطِه على عقولِهم وقلوبِهم بشتى أَنواعِ الوساوسِ والغِوايةِ ؛ فهذا هو ما عَصَمَ اللهُ أَنبياءَه منه » .

وقال العلّامةُ الشيخُ محمد الأَمين الشنقيطيُّ رحمه الله تعالى :

« وغايةُ ما دلَّ عليه القرآنُ : أَنَّ اللهَ ابتلى أَيّوبَ عليه وعلى نبيِّنا الصلاةُ

---

(١) وهو أُطروحةٌ علميّةٌ مُتخصّصةٌ .

والسلامُ ، وأنّه ناداهُ فاستجابَ له وكَشَفَ عنه كلَّ ضُرٍّ ، ووَهَبَه أَهلَه ومثلَهم معَهم ، وأَنَّ أيّوبَ نَسَبَ ذلكَ في سورةِ ﴿ ص ﴾ إلى الشيطانِ ، ويمكنُ أَنْ يكونَ سَلَّطَهُ اللهُ على جسدِه ومالِه وأَهلِه ابتلاءً ليُظهرَ صبرَه الجميلَ ، وتكونَ له العاقبةُ الحميدةُ في الدنيا والآخرةِ ، ويُرجعَ له كلُّ ما أُصيبَ فيه ، والعلمُ عند اللهِ .

وهذا لا ينافي أَنَّ الشيطانَ لا سلطانَ له على مثلِ أيّوبَ ؛ لأَنَّ التسليطَ على الأَهلِ والمالِ والجسدِ من جنسِ الأَسبابِ الّتي تنشأُ عنها الأَعراضُ البشريّةُ كالمرضِ ، وذلك يقعُ للأَنبياءِ ، فإنّهم يصيبُهم المرض ، وموتُ الأَهلِ ، وهلاكُ المالِ ؛ لأَسبابٍ مُتنوّعةٍ ، ولا مانعَ أَن يكونَ من جملةِ تلكَ الأَسبابِ تسليطُ الشيطانِ على ذلك للابتلاءِ » [1] .

الوجه الثالث : قد اعْتَدَّ صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٧٦) - كما تقدّمَ النقلُ عنه هنا - بقولِ جمهورِ[2] المفسّرينَ في تفسيرِ آيةِ ﴿ ص ﴾ بأَنّهم - على حدِّ زعمِه - لم يعلّقوا المَسَّ فيها بالصَّرْعِ وآثارِهِ [3] !! مُستحسنًا له !

ولقد اعترف (ص ٧٣) بأَنَّ جمهورَ المفسّرينَ قد فسّروا آية ﴿ البقرة ﴾

---

(١) « أَضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » (٤ / ٧٤٤ - ٧٤٥) .

(٢) كذا ادّعاؤهُ ! ولم يتيسّر لي حالَ الكتابةِ مراجعة التفاسير التي يُشير إليها (!) ، وإنّما أُناقشُهُ هنا تنزُّلًا !!

(٣) ولقد ذكرنا - قبلُ - أَنَّ المسَّ أَشملُ دلالةً من (الصَّرْع) ، فقد يكونُ الإنسانُ ممسوسًا ، لكنّه لا يُصْرَعُ .

بأنّها : « دليلٌ على الصَّرْعِ » ! لكنّه أَعْقَبَهُ بقولِه : « والواقعُ أَنَّ هذا التفسيرَ بعيدٌ ، **ولا يُعْرَفُ** المسُّ بهذا المعنى » !!

أَقولُ : واستبعادُهُ هو البعيدُ ، بل هذا المعنى هو المعروفُ **عند أئمّةِ اللغةِ**، كابنِ منظورٍ، **وعند أَئمّةِ التفسيرِ**؛ كالقرطبيّ، **وعند أَئمّةِ الحديثِ**؛ كابنِ حَجَرٍ ، **وعند أَئمّةِ العقيدةِ** ؛ كابنِ تيميّةِ ، [1] و ... و ...

فكيفَ يجرؤُ أَنْ يقولَ : « **لا يُعْرَفُ** .. » ؟!

إِلّا إِنْ (أَراد) : (لا يُعْرَف عندَ من لا يُعْرَف ولا يَعْرِف) !!

فالجوابُ ساعَتئذٍ : نَعَم ...

فماذا نقولُ ؟!

لا حولَ ولا قوّةَ إِلّا باللهِ ...

ثمَّ تأَمَّلْ - باركَ اللهُ فيكَ - قَبولَه لقولِ الجمهورِ هناك ، وردَّه له هنا (!)،

---

(١) وقال ابنُ قُتيبة في « غريب القرآن » (ص ٩٨) مفسّرًا الآية : « مِن المسّ : أَي : مِن الجنون ، يُقال : رجلٌ ممسوسٌ » .

ونَقَلَهُ عنه - وأَقرّه - ابنُ الجوزي في « زاد المسير » (١ / ٣٣٠) .

وقال المُنْتَجِبُ الهَمْدانيُّ المتوفّى سنة (٦٤٣هـ) في كتابِه « الفريد في إِعراب القرآنِ المجيد » (١ / ٥٢٠) :

« والمَسُّ : الجنون ؛ يُقالُ : رجلٌ ممسوسٌ ، أَي : مجنون ، وأَصلُه مِن مَسّ الشيطانِ إِيّاه ، فاعْرِفْهُ » .

فاعْرِفْهُ ...

مع أَنَّ حُجّتَهُ في الردِّ ليست أَكْثَرَ مِن كلامٍ إِنشائيٍّ يُتْقِنُهُ الصّغارُ قبلَ الكبار ، ودعاوىٰ واهيةٍ لا تَخْرُجُ إِلّا مِن ضِعاف الأَفكار !!

سبحانَ الله ! « لِمَاذا يكونُ الإِنسانُ من المُطَفِّفِينَ ؛ لا يحتجُّ لغيرِه كما يحتجُّ لنفسِه ؟! ولا يقبلُ لنفسِه ما يقبلُهُ لغيرِه ؟! » [1] .

فهل هكذا يكونُ الإِنْصافُ والعَدْلُ ؟!

□□□□□

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٧٤ - ٨٤) لشيخ الإِسلامِ ابن تيمية .

١١ - الأدلّة

.. والأَدلّةُ الّتي سأُوردُها في هذا المبحثِ - وعلى وجهِ الاخْتِصارِ - نوعان :

○ **الأوّل** : أَدلّةٌ صحيحةٌ لم يُوْرِدْها المُنكرونَ للصَّرْعِ وتأثيرِ الجنِّ ، مُعْرِضينَ عنها [(١)] ، غيرَ ذاكِرينها .

مُنبِّهًا (هنا) أَنّها ليست في دَرَجةِ الدَّلالةِ على (المَسِّ) أَو (الصَّرْعِ) سواءً ، فهي متفاوتةٌ أَوجهِ القُوَّةِ ؛ رُجحانًا ، وظُهورًا ، وقَطْعًا - نصًّا أَو استنباطًا - ولكنّها - بمجموعِها - تُثبِتُ بما لا يَدَعُ مجالًا لمستريبٍ خَطَرَ التأثيرِ الشيطانيِّ الزائدِ عن مُجَرَّدِ الوسوسةِ ، المُتَعدِّي إِلى الضَّررِ البَدَنيِّ ، والمَسِّ ، والإِيذاءِ ، وما شابَهَهُ ..

وهذا كلُّه -كما هو ظاهرٌ- داخلٌ في عُمومِ لفظِ (المسِّ) [(٢)] الذي قد

(١) فلعلّهم ما يزالون يبحثون (!) عن أَجوبةٍ عليها ! أَو يتلمّسون (!) عِللًا لها !! كما وَقَعَ لبعضِ الأَفاضلِ مع أَحدِ هؤلاءِ !! فانظر كتاب « الدليل والبرهان على دخولِ الجانِّ بَدَنَ الإِنسان » (ص ١٠) للأَخ عبدالحميد هنداوي ، في الردِّ على صاحبِ «الاستحالة » (!!) عندما أَلْزَمَهُ - مُواجَهَةً - بحديثٍ صحيحٍ لم يذكُرْهُ في كتابِه !!

(٢) انظر ما سبق (ص ٢٨) .

يترتّبُ عليه (الصَّرْع) .

وكلُّ ذلك يُنكِرُهُ المُخالفون !!

○ **الثاني** : أدلّةٌ صحيحةٌ أوردوها ، لكنّهم إمّا تأوّلوها ، أو أَعَلُّوا أسانيدَها بتكلُّفٍ وتعنُّتٍ ، فأَرُدُّ كلامَهم ، وأُصَحِّحُ أغلاطَهم ..

فإيّاكَ - أيُّها الأَخُ التَّقيُّ - مِن إعمالِ مِعْولِ التأويلِ ، أو إشهارِ سيفِ التعطيلِ ، فهذا دَرْبٌ مخالفٌ لأَهلِ الحقِّ في منهجِ الحقِّ؛ الذي « لا تأويلَ فيهِ لنصٍّ من النصوصِ الشرعيّةِ إطلاقًا » [1] ، لا في الصفاتِ ، ولا في الغيبيّاتِ ، ولا في الأَحكام .

وإيّاكَ - أيُّها الأَخ المُنصفُ - مِن التهوينِ بشأنِ العُلَماءِ ، والاستهانةِ بمقاديرِهم وقُدُراتِهم .

وإيّاكَ - يا ذا البصيرةِ - مِن دعاوىٰ التحرُّرِ ، والتحقيقِ ، ونَبْذِ التقليد ،

---

(١) « منهج الأَشاعرة في العقيدة » (ص ٥١) .

ومِن عَجَبٍ قولُ صاحبِ « الاستحالة » (ص ١٠٦) :

« لمَّا كانَ الأَصلُ في الكلامِ هو الحقيقةَ والظاهرَ ، كانَ العدولُ به عن حقيقتِه وظاهرِه مخرِجًا له عن الأَصل ، فاحتاجَ مُدَّعي ذلك إلى دليلٍ يُسوِّغُ له إخراجَه عن أَصلِه ، لا أَن يعدلَ عن الحقيقةِ بتأويلِها ، ثمَّ يجعل هذا التأويلَ نفسه دليلًا .. » !

فهذا كلامٌ حسنٌ جدًّا ، لكنّه بنى كتابَه كلَّه على نقيضِه !!

وَقَدْ كَتَبَ **شيخُنا الأَلبانيُّ** بخطّه على هذا الموضعِ من نسختِه من كتاب « الاستحالة » - ومنها أَنقل - :

« هذا ما وَقَع فيه المُتفلسفُ ! » .

الصادرةِ مِمّن هو دونَها ، أو ليس أَهلًا لها ...

وإيّاكَ – أيُّها الناظرُ بالعَدْلِ – مِن تَسْريبِ شبهاتِ الشكِّ والرَّيْبِ حولَ « الصحيحيْنِ » اللّذين هما أَصحُّ الكتبِ بعد كتاب اللهِ سبحانَه وتعالى ، أَو الاقتناعِ بدعاوىٰ مَن يُغِيرُ على أَحاديثِهما بالرَّدِّ والتشكيكِ ، **دونَ أَن يكونَ له سَلَفٌ مِن أَئمّةِ العلمِ المشهودِ لهم بالأَمانةِ الكاملةِ ، والدينِ السابغِ ، والتتبُّعِ التامِّ** [1] ..

فإنَّ هذا – واللهِ – بدايةُ شرٍّ لا يعلمُ مَدَاهُ إلّا اللهُ سبحانَه وتعالى ..

وإيّاكَ – أيُّها القارىءُ بصدقٍ – مِن نَهْجِ أَهلِ الأَهواءِ ، الّذين يضربونَ النصوصَ الشرعيّةَ ببعضِها ، ولا يسلُكونَ سبيلَ أَهلِ العدلِ والإِنصافِ والحقِّ في إقامتِها على وَجْهِها ، وفَهْمِها على نَسَقِها ، بعيدًا عن الخَبْطِ والخَلْطِ والتخبُّطِ !

... ورحمَ اللهُ مَن قالَ : « **فسادُ الدينِ إِذا جاءَ العلمُ من الصغيرِ استعصىٰ عليه الكبيرُ** ، وصلاحُ النّاسِ إِذا جاءَ العلمُ مِن قِبَلِ الكبيرِ ، تابعَهُ عليه الصغيرُ » [2] .

ولقد صَدَقَ هذا القائلُ وبَرَّ .. واللهِ ..

□□□□□

---

(١) ويوضحُ ذلك ويُبيِّنُهُ ما سبقَ (ص ٥٤) وما سيأتي تعليقًا (ص ١٣١) ، فانْظُرْهُ .

(٢) « فتح الباري » (١٣ / ٣٠١ - ٣٠٢) .

القسمُ الأَوّلُ :
الأَدلّة التي لم يذكروها

الدليلُ الأَوّل :

عن أَبي اليَسَرِ رضي اللهُ عنه ، قال : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : « اللهمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ من التردِّي والهَدْمِ ، والغَرَقِ والحَرِيقِ ، وأَعوذُ بكَ أَن **يتخبَّطني الشيطانُ** عندَ الموتِ ، وأَعوذُ بكَ أَن أَموتَ في سبيلِكَ مُدْبِرًا ، وأَعوذُ بكَ أَن أَموتَ لديغًا » .

رواه أَحمدُ (٣ / ٤٢٧) وأَبو داود (١٥٥٢) و (١٥٥٣) والنَّسائيُّ (٨ / ٢٨٢) والطبرانيُّ في « المعجم الكبير » (١٩ / ١٥٢) والمِزّيّ في « تهذيب الكمال » (١٣ / ٢٥٢) والحاكمُ (١ / ٥٣١) - وصحَّحَهُ - من طرقٍ عن عبدالله بن سعيدِ بن أَبي هندٍ ، عن صَيْفيٍّ ، عن أَبي اليَسَر ، به .

وهذا إِسنادٌ صحيح : عبدُاللهِ « روى له الجماعةُ » [1] ، ووثّقَهُ أَحمد ، وابنُ معينٍ ، وأَبو داود ، وابنُ المدينيّ ، وجماعةُ أَهلِ العلم .

وَمَا وَرَدَ مِن كلامٍ بعضِ أَهلِ العلمِ فيه ، فهو على سَبيلِ الإِبْهامِ ، فلا يُقابَلُ ذلك بتوثيقِ مَن وَثّقَه ، كما هو معلومٌ في قواعدِ هذا العلمِ .

وصَيْفيٌّ : وثّقَه النَّسائيُّ ، وابنُ حِبّان ، وابنُ خَلْفون ، وابنُ نُمَير ، وابنُ

---

(١) « تهذيب الكمال » (١٥ / ٤١) .

حَجَرٍ ، وغيرُهم .

أَقولُ : وأَمّا دلالةُ الحديثِ على المَسّ الحقيقيِّ ، والتخبُّطِ البَدَنيّ : فواضحةٌ صريحةٌ لا تحتملُ شكًّا .

وقد استدلَّ به على إثباتِ الصَّرْعِ عِدَّة عُلماءَ ؛ منهم الإِمامُ القرطبيُّ في « تفسيرِه » (٣ / ٣٥٥) .

الدليلُ الثاني :

ما رواه الإِمامُ مسلمٌ في « صحيحه » (٢٩٩٥) عن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِذا تثاءبَ أَحدُكم فَلْيُمْسِكْ بيدِه على فيه ، **فإِنَّ الشيطانَ يدخُلُ** » .

قالَ الإِمامُ النوويُّ في « شرحِه » (٥ / ٨٤٢) :

« **قالَ العُلماءُ** : أَمَرَ بكظمِ التثاؤبِ وردِّهِ ، ووضعِ اليدِ على الفمِ ، لئلّا يَبلُغَ الشيطانُ مرادَه مِن تشويهِ صورتِه ، **ودخولِه فَمَهُ** ، وضحكِه منه ، والله أَعلمُ » [١] .

وقال الحافظُ ابنُ حَجَر في « الفتح » (١٠ / ٦٢٨) :

« فيُحتملُ أَنْ يُرادَ به الدخولُ حقيقةً ، وهو وإِن كانَ يجري من الإِنسانِ مَجرى الدَّمِ [٢] ، لكنّه لا يُمكّن منه ما دامَ ذاكرًا اللهَ تعالى ، والمُتثائبُ في تلكَ

(١) وله في الكتابِ نفسِه (١ / ٥٥٤) كلامٌ مِثْلُهُ .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ١٤١) .

الحالةِ غيرُ ذاكرٍ ، **فيتمكّنُ الشيطانُ مِن الدُّخولِ فيه حقيقةً** .

ويُحتملُ أَن يكونَ أَطلقَ الدُّخولَ وأَرادَ التمكُّنَ منه ، لأَنَّ مِن شأنِ **مَن دَخَلَ في شيءٍ أَن يكونَ مُتَمكّنًا منه** » .

أَقولُ : والاحتمالانِ لا يتعارضانِ حتَّى نُرَجِّحَ أَحدَهما على الآخرِ ، وإِن كانَ الأَخْذُ بالأَوّلِ منهما - مَعَ عَدَمِ ردِّ الثاني - هو الأَوْلى بالقَبولِ ، لأَنَّ الأَصلَ في الكلامِ الحملُ على الحقيقةِ .

ولا يقولَنَّ مُنْكِرٌ هنا : إِنَّ هذا مخالفٌ لروايةٍ أُخرى فيها : « .. فإِنَّ أَحدَكم إِذا تثاءَبَ ضَحِكَ منهُ الشيطانُ » (١) !

فإِنَّ هذا حديثٌ آخرُ ، وهو مِن روايةِ أَبي هُريرةَ رضي اللهُ عنه ، وكونُ الشيطانِ يَدخُلُ ، لا يُعارِضُ ضَحِكَهُ منه ، بل قد يكونُ أَثرًا له ؛ فإِنَّ دخولَه منه يلزمُ منه ضحكُه عليهِ ، فلا ضَرْبَ ، ولا تعارُضَ ، ولا تأويلَ ، ولا تَعْطيلَ (٢) ..

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢٦) .

(٢) وقد اعترضَ مُعترضٌ (بعقلِه) قائلًا : كثيرٌ مِن النّاسِ يتثاءَبونَ ، دونَ أَن يضعوا أَيديَهم على أَفواهِهم ، ومَعَ ذلكَ لا يدخلُ الشيطانُ أَجوافَهم !!

فالجوابُ : إِنَّ عدمَ وضعِ اليدِ على الفم لا يلزمُ منه ضرورةَ دخولُ الشيطانِ، كما أَنَّ كونَ الشيطانِ يجري في عروقنا ودمائنا - وكلُّه عند المُنْكِرِ نفسِهِ على سبيلِ الوسوسةِ فقط - لا يلزمُ منه ضرورةَ استمرارُ الوسوسةِ وديمومَتُها ..

فجوابُكم علينا هو ذاتُه جوابُنا عليكم !!

وأمّا السَّنَدُ ؛ فكونُ الحديثِ في « صحيح مسلم » مع قَبُولِ أهلِ العلمِ له (وعدمِ نَقْدِهم إيّاه) [١] **: يكفي صفيَّ الفَهْمِ لِقَبولِه ، والاستسلامِ لحكمِهِ ، دونَ تَشَكُّكٍ أو تشكيكٍ ..**

الدليلُ الثالث :

روى البخاريُّ في « صحيحه » (٣٢٩٥) ومسلمٌ في « صحيحه » (٢٣٨) عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إذا استيقظَ أحدُكم من منامِه فتوضَّأَ فَلْيستنثِرْ ثلاثًا ؛ **فإنَّ الشيطانَ يبيتُ على خيشومِه** » .

قالَ القاضي عِيَاض : « يُحتملُ أن يكونَ قولُهُ ﷺ : « فإنَّ الشيطانَ يبيتُ على خيشومِه » عى حقيقتِه ؛ فإنَّ الأنفَ أحدُ منافذِ الجسمِ التي يُتوصَّلُ إلى القلبِ منها ، لا سيّما وليسَ مِن منافذِ الجسمِ ما ليسَ عليه غَلْقٌ سواه ، وسوى الأُذُنينِ » [٢] .

وقالَ العلّامةُ التُّورِبِشْتيّ : « **الأَدبُ أن لا يكونَ يُتَكَلَّمُ في هذا الحديثِ**

---

(١) أمّا مَن (يتنطَّح) - أو يتنطَّع - من (صِغار) الجَهَلةِ - وُهاةِ العلمِ - « للصحيحين » - أو أحدهما - استدراكًا ، أو تعليقًا ، أو (تخريجًا) أو نقدًا : فإنّه يُنادي على نفسِهِ بالخروجِ عن سبيلِ المؤمنين ، وبمُحادّةِ نهجِ السَّلَفِ الصالحين ، فَمِن (الصِّغار) يأتي (الصَّغار) !! .

نعم؛قد يتبنّى العالمُ أو (طالبُ العلم) حُكْمَ إمامٍ من أهلِ العلمِ في نقدِ الحديثِ أو الحديثينِ من أحدِ « الصحيحين » ، فهذا بابٌ آخرَ غيرُ ما أشرتُ إليه ، فتنبّه ولا يَغْرُرْك تَزْيينُ الأوراقِ بالكلامِ البَرّاقِ ، ودَعْ عنكَ تلبيسَ المُلَبِّسين ، وتمويهَ المُمَوِّهين .

(٢) نقلَه النوويُّ في « شرح صحيح مسلم » (١ / ٥٢٤) .

وأَمثالِه بشيءٍ ؛ فإِنَّ الكلمةَ النبويّةَ هي خزائنُ أَسرارِ الرُّبوبيّةِ ، ومعادنُ الحِكَمِ الإِلهيّةِ ، وقد خَصَّ اللهُ رسولَه ﷺ بغرائبِ المعاني ، وكاشَفَهُ بحقائقِ الأَشياءِ التي يَقْصُرُ عن إِدراكِها باعُ الفهيمِ » [١] .

أَقولُ : هذا هو النصُّ بصحّةِ سندِه ، وهذا هو ظاهرُهُ بوجوبِ الأَدبِ معه ، والتسليمِ لحُكمِهِ ، والانصياعِ لدلالتِهِ .

الدليل الرابع :

ما رواه البخاريُّ (٣٣١٦) عن جابرِ بن عبدِاللهِ رضي اللهُ عنه قال :
« اكفِئوا صِبْيانَكم عند المساءِ ، **فإِنَّ للجنِّ انتشارًا وخِطفةً** » .

وقد استدلَّ ببعضِ رواياتِ هذا الحديثِ [٢] العلّامةُ الآلوسيُّ في « روحِ المعاني » (٣ / ٤٨) على ثبوتِ الصرع .

ودلالةُ الحديثِ على إِثباتِ المُرادِ ظاهرةٌ ، بل فيها ما هو أَكثرُ من مُجَرَّدِ الإِيذاءِ ، أَو المسِّ ، أَو الصَّرْعِ ، فتأَمَّلْ .

الدليل الخامس :

ما رواه البخاريُّ (١٠٩١) ومسلمٌ (٧٧٦) عن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنه ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال :

« **يعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أَحدِكم إِذا هو نامَ ثلاثَ عُقَدٍ ؛**

---

(١) نَقَلَهُ الأُبّيُّ في « إِكمالِ إِكمالِ المعلم » (٢ / ٣٧) .

(٢) وما ذكرتُهُ هنا أَوضحُ وأَصرح .

يضربُ كلَّ عقدةٍ مكانَها : « عليكَ ليلٌ طويلٌ فارْقُد » ؛ فإنِ استيقظَ فذكرَ اللهَ انحلّت عُقدةٌ ، فأَصبحَ نشيطًا طيِّبَ النَّفْسِ ، وإلّا أَصبحَ خبيثَ النفسِ كسلانَ » .

والرّاجحُ عندي في هذا الحديثِ ما صرّحَ به الإمامُ ابنُ مُفْلح ؛ حيثُ جزَمَ « أَنَّ ذلكَ عَقْدٌ مِن الشيطانِ حقيقةً ، جَرْيًا على ظواهرِ الأَحاديثِ ، ويُؤَيِّدُهُ قولُهُ ﷺ : « ثلاث عُقَدٍ » ، ولو كانَ على وَجْهِ المَجازِ لَمَا كانَ في العُقَدِ فائدةٌ ، ولأَنّهُ قالَ : « إذا ذَكَرَ اللهَ انحلّت عُقدةٌ ... » ، وهذا ممّا يمنعُ المجازَ »[1] .

أَقولُ : والمقصودُ مِن إيرادِ هذا الحديثِ هُنا هو ما فيه مِن التأثيرِ الحقيقي الجسمانيّ للجنّ على الإنسِ ، زيادةً عمّا له مِن تأثيرٍ في الوسوسةِ ، فإذا ثَبَتَ هذا لا يمتنعُ وجودُ ما هو أَكبرُ منه .

وهذا واضحٌ جَلِيٌّ ..

الدليل السادس :

ما رواه البخاريُّ (١٠٩٣) ومسلم (٧٧٤) عن ابن مسعودٍ رضي اللهُ عنه ، قال : ذُكِرَ رجلٌ عندَ النبيِّ ﷺ نامَ حتّى أَصبحَ ! فقالَ ﷺ : « ذاكَ رجلٌ **بالَ الشيطانُ في أُذنيه** » .

---

(١) « مصائب الإنسانِ » (ص ٣٥) .

قال ابنُ الجوزيّ في « كشفِ مُشكل الصحيحين » [1] :

« إنّه على ظاهرِهِ ، وفي القرآنِ أَنَّ الشيطانَ يَنْكِحُ ، قالَ تعالى : ﴿ لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قبلَهم ولا جانٌّ ﴾ ، وقال : ﴿ أَتتخذونَه وذُرِّيَّتَهُ أَولياءَ من دُوني ﴾ .. وفي الحديثِ أَنّه يأكلُ ويشربُ [2] ، فلا يمتنعُ أَن يكونَ له بولٌ وإِنْ لم يظهرْ في الحِسِّ » .

أَقولُ : والوجهُ في إِيرادِ الحديثِ هنا إِثباتُ تأثيرٍ للجنِّ زائدٍ على مُجرَّدِ الوسوسةِ ، كما يَزْعُمُهُ المُنكرونَ المُخالفونَ ..

فإِذا اقتنعوا بهذا - ولعلّهم يفعلون - سَهُلَ أَنْ يقتنعوا بما هو أَوسعُ منه دلالةً ، كما تُشيرُ إِلى ذلكَ الأَدلّةُ الأُخرى المُتكاثرةُ ..

الدليلُ السابع :

ما رواهُ مسلمٌ في « صحيحه » (٢٢٣٦) عن أَبي السائبِ مولى هشامِ ابنِ زُهرة ، أَنّه دَخَلَ على أَبي سعيدٍ في بيتِه ، قال : فوجدْتُهُ يُصَلّي ، فَجَلسْتُ أَنْتَظِرُهُ حتّى يَقْضيَ صلاتَهُ ، قال : فسمعتُ تَحْريكًا تحتَ سريرِه في بيتِه ، فإِذا حيّةٌ ، فقمتُ لأَقْتُلَها ، فأَشارَ إِليَّ أَبو سعيدٍ أَنِ اجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ ، فلمّا

---

(١) فيما نَقَلَهُ ابنُ مُفلح في « مصائبِ الإِنسان » (ص ٧٨) .

وكتابُ « كشف المُشكل » كتابٌ نافعٌ لم يُطبع بعد ، وقد حقَّقَ قسمًا جيّدًا منه أَخونا الفاضل الدكتور نصر البنّا - نفعه الله ونفع به - ، يسّر الله له نشرَه .

(٢) كما في « صحيح مسلم » (٢٠١٧) عن حُذيفة رضي اللهُ عنه .

انصَرفَ أشارَ إلى بيتٍ في الدَّارِ ، فقال : أتَرى هذا البيتَ ؟ قُلْتُ : نَعم ، قال : إنّه كانَ فتىً مِنّا حديثَ عَهْدٍ بعُرْسٍ ، فَخَرَجْنا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الخندقِ ، قال : فكانَ ذلكَ الفَتى يستأذِنُهُ بأنْصافِ النَّهارِ لِيَطَّلِعَ أهلَهُ ، فاستأْذَنَ النبيَّ ﷺ يومًا ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : « خُذْ سلاحَكَ ، فإنّي أخشى عليكَ بني قُرَيْظَةَ » ، فأخذَ الرَّجلُ سلاحَهُ ، ثمَّ ذَهَبَ ، فإذا امرأتُهُ قائمةٌ بينَ البابينِ ، فهيَّأَ لها الرُّمحَ لِيَطْعَنَها به ، وأصابَتْهُ غَيْرَةٌ ، فقالت : اكْفُفْ عليكَ رُمْحَكَ ، حتّى تَرَىٰ ما في بيتِكَ ، فَدَخَلَ ، فإذا هُو بحيَّةٍ مُنْطَويةٍ على فراشِهِ ، فَرَكَزَ بها رُمْحَه ، فانْتَظَمَها فيه ، ثمَّ خَرَجَ ، فَرَكزه في الدَّارِ ، فاضْطَرَبَتِ الحيَّةُ في رأسِ الرُّمْحِ ، وخَرَّ **الفتى صريعًا** ، فما نَدري أيُّهما كانَ أسرعَ موتًا ، الفتى أَم الحيَّةُ !

فجئنا رسولَ اللهِ ﷺ ، فذكرْنا ذلك له ، وقُلْنا : يا رسولَ اللهِ ! ادْعُ اللهَ أن يُحْيِيَه ، فقال : « استغْفِروا لصاحبِكم » ، ثمَّ قال : « **إنَّ بالمدينةِ جِنًّا قد أَسْلَموا ، فإذا رأيتُمْ منها شيئًا فآذِنوه ثلاثةَ أيَّامٍ ، فإنْ بَدَا لكم بعدَ ذلكَ فاقتلوهُ ، فإنّما هو شَيْطانٌ** » .

أَقولُ : والحُجّةُ في الحديثِ بيِّنةٌ بحمدِ اللهِ ، ففيهِ إثباتُ قَتلِ هذا الجنّيِّ المتشكِّلِ على هيئةِ حيّةٍ [1] لهذا الفتى .

وهو قَدْرٌ زائدٌ مِن الإيذاءِ على مُجرّدِ الوسوسةِ .

---

(١) انظر « مشكل الآثار » (٣ / ١١١ - ١٢٠) للطحاوي ، والتعليق عليه ، و « إكمال إكمال المُعْلِم » (٧ / ٤٤٨) للأُبّي .

الدليلُ الثامن :

حديثُ : « الطاعونُ وَخْزُ [١] **أعدائِكم من الجنِّ** » ، وهو حديثٌ صحيحٌ جدًّا ، مرويٌّ مِن طُرُقٍ متعدّدةٍ ، جَمَعَها وثَبَّتَها عَدَدٌ من أَهلِ العلمِ الأكابِرِ؛ فانظر « بَذْل الماعونِ في فَضْلِ الطاعون » [٢] للحافظِ ابنِ حَجَرٍ ، و « إِرواء الغليل » (١٦٣٧) لشيخنا الألباني

ولولا خشيةُ الإِطالةِ لَرَدَدْتُ على شُبهاتِ من (قَد) يخترعُ العِلَلَ لردِّ الأَحاديثِ الصحيحةِ - وهذا منها - ، ولكنّي أَكتبُ لذوي الإِنصافِ ؛ لا للمتعلّقينَ بالظَّنِّ والاعتسافِ !! فلا أُطيلُ ..

وفي بيانِ معنى هذا الحديثِ - ودلالتِه على إثباتِ إيذاءِ الجنِّ للإِنسِ - كلامٌ حَسَنٌ قالَه الإِمامُ أَبو بكر الكَلَاباذيُّ في كتابِه « معاني الأَخبار » [٣] ، أَسوقُهُ لِنَفَاستِهِ ؛ قال :

« إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ اختصَّ المؤمنَ لنفسِه ، وصَرَفَهُ في محابّهِ ، وجعلَ كلَّ أَحوالِه خيرًا له ، وأَرادَ به الخيرَ في كلِّ ما أَصابَه من ضرّاءَ وسرّاءَ وأَلَمٍ ولذّةٍ ، وقيَّضَ له مَن يواليهِ إِرادةَ الخيرِ به ؛ من مَلَكٍ يستغفرُ له ، ونبيٍّ يشفعُ له ، ومؤمنٍ يُعاوِنُه ، وجعلَ له من يعاديهِ إِرادةَ الخيرِ بِهِ ؛ من شيطانٍ يُذِلُّهُ ، وعدوٍّ يقاتلُه، وجنّيٍّ يَخِزُهُ .

---

(١) انظر « زاد المعاد » (٤ / ٣٩) .

(٢) وفيه (١٠٢ - ١٠٨) ردٌّ على مَن يتوهّمُ ذلك مخالفًا للطبِّ .

(٣) نَقَلَه عنه الحافظُ ابن حجر في « بذل الماعون » (ص ١٥٤ - ١٥٥) .
وكتابُ « معاني الأَخبار » مخطوطٌ ، منه نسخةٌ في المكتبة الظاهريّةِ بدمشق .

وهو - عزَّ وجلَّ - للمؤمنِ حافظٌ وناصرٌ ، ولأَعدائِه مُخزٍ قاهرٌ ، والمؤمنُ هو الذي إذا أَصابتْهُ سرّاءُ فَشَكَرَ ، فكانَ خيرًا له ، وإذا أَصابتْه ضرّاءُ فَصَبَرَ ، فكانَ خيرًا له » .

ثمَّ ذَكَر جوابَ إِشكالٍ في تسليطِ الجنِّ على المؤمنِ ، مع كونِه محفوظًا في جميعِ أُمورِه ، فقال :

« كما جازَ أَن يطعنَه عدوُّهُ الظاهرُ بالرُّمحِ والسيفِ في وقتٍ ، مع أَنّهِ في أَكثرِ أَوقاتِه قد مَنَعَهُ اللهُ منه ؛ بالرُّعبِ تارةً ، والقوّةِ والنصرِ أُخرى ، لكنّه قد يريدُ به الخيرَ ونيلَ درجةِ الشهادةِ فيقتلُهُ العدوُّ ، وربّما استولى العدوُّ أَيضًا على دارِ المسلمِ ومالِه ، مع قولِه تعالى : ﴿ وأَنْتُم الأَعْلَونَ ﴾ ، وقولِه تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعلَ اللهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سَبيلًا ﴾ ، فكذلكَ يجوزُ أَن يطعنَه عدوُّهُ من الجنِّ ، مع أَنّه في أَكثرِ أَوقاتِه قد مَنَعَهُ اللهُ تعالى منه بالمعقّباتِ من الملائكةِ ، لكنّه قد يُريدُ به الخيرَ ، ونيلَ درجةِ الشهادةِ ، فيُمكّن من وَخْزِه ، مع قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشيطانِ كانَ ضعيفًا ﴾ .

وَطَعْنُ الإِنسِ نافذٌ ، وطَعْنُ الجنِّ غيرُ نافذٍ ، فَسَمَّى النبيُّ ﷺ النافذَ **طعنًا** (١) ، والطعنَ غيرَ النافذِ **طاعونًا** (١) ، وأَخبرَ أَنَّ في كلٍّ ذلك شهادةً » .

---

(١) وقد وَرَدَ الجمعُ بين هٰذين اللفظين - وفي هذه المسألةِ ذاتِها - في حديثٍ رواه أَحمدُ (٤ / ٤١٧) والطيالسيُّ (٥٣٤) بسند صحّحه الهيثميّ في « المجمع » (٢ / ٣١١) و المنذري في « الترغيب » (٢ / ٣٣٦) ، بلفظ : « فَنَاءُ أُمتي بالطعنِ والطّاعون .. » .

وانظر « إرواء الغليل » (١٦٣٧) لشيخنا الأَلبانيّ .

الدليلُ التاسع :

ما رواهُ مسلمٌ في « صحيحه » (٢٦١١) عن أَنسٍ رضي اللهُ عنه ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لمّا صوّرَ اللهُ آدمَ – عليه السلامُ – في الجنّةِ ، تَرَكَه ما شاءَ اللهُ أَن يتركَه ، فجعلَ إِبليسُ يُطيفُ بِهِ ، ينظرُ ما هو ، **فلمّا رآهُ أَجوفَ** عَرَفَ أَنّه خُلق خَلْقًا لا يتمالكُ » .

« وهذا مِن الأَدلّةِ على تلبُّسِ الجانِّ جسمَ الإِنسانِ » [(١)] ، والحجّةُ منه بَيِّنةٌ ؛ فلا تأويلَ ولا تعطيلَ ، ولا اختراعَ ولا ابتداعَ .

الدليلُ العاشر :

ما رواه مسلمٌ في « صحيحه » (٥٤٢) عن أَبي الدرداء رضي اللهُ عنه ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال :

« إِنَّ عَدوَّ اللهِ إِبليسَ جاءَ بشهابٍ مِن نارٍ **ليجعلَه في وَجْهي** ، فقلتُ : أَعوذُ باللهِ منك ؛ ثلاثَ مرّاتٍ ، فلم يستأخرْ ، ثمَّ قلتُ : أَلْعنُكَ بلعنةِ اللهِ التامّةِ ، فلم يستأخِر ؛ ثلاث مرّاتٍ ، ثمَّ أَردتُ أَن آخُذَه ، واللهِ لولا دعوةُ أَخي سُلَيمانَ لأَصبحَ مُوْثَقًا يلعبُ به ولدانُ أَهلِ المدينةِ » .

---

(١) « قواعد الرقية الشرعيّة » (ص ٨) للشيخ عبدالله السّدْحان ، تقديم فضيلة الشيخ عبدالله الجبرين .

وانظر ما سيأتي حولَ هذا الحديث (ص ١٨٨) مُناقشةً للشيخِ علي مُشرف العَمْري – سدّده اللهُ – .

أَقولُ : فهذا تأثيرٌ زائدٌ على مُجَرَّدِ الوسوسةِ [١] ، **مُتَعَدٍّ** إِلى الإِيذاءِ البَدَنيِّ .

فماذا يقولُ مُنكِرو المَسِّ والصَّرْعِ ؟!

هل يُؤوِّلونَ ويُعَطِّلونَ ؟!

أَم هل يَرُدُّونَ ويُنكِرونَ ؟!

أَم هل سيستجيبونَ ويرجعون ؟!

أَقولُ :

... هذا آخِرُ [٢] ما سَنَحَ به الذِّهْنُ الآن ، وسَمَحَ بهُ الوقتُ هذا الأَوان ..

وهي أَدلّةٌ عشرةٌ كامِلة ، تَرُدُّ الأَفكارَ العاطلة ، وتَنْقُضُ التصوُّراتِ الباطلة ..

فمن كَعَّ بِهِ فَهْمُهُ عن القناعةِ بالدليلِ الأَوّلِ ، فليكن الثاني عَوْنًا له على ذلك ، وإِلّا فالثالثُ ... وهكذا .

ومَن أَعياهُ **شيطانُهُ** عن القناعةِ بالأَدلّةِ كلِّها مُجْتَمِعة ، فصارتْ عندَه مرفوضةً مُمْتَنِعَة ، مُسَرِّبًا إِليها شبهاتِه ، ومُمَرِّرًا عليها آهاتِه وآفاتِه ... لتكونَ

---

(١) انظر « مصائب الإِنسانِ » (ص ١٤٨) .

(٢) ثمَّ أَثناءَ مُراجَعاتي للكتابِ رأيتُ أَدلّةً أُخرى مُتَعدّدةً ، لعلّي أَذكرُها في مناسبةٍ ثانيةٍ إن شاءَ اللهُ تعالى ، وإِلّا ففي كتابي « **كفاية المُطمئنّ** .. » الذي هو أَصلُ هذا الكتاب ، بمنّةِ اللهِ العليِّ الوهّاب .

خاتمتُها عندَه ردًّا ، ونهايتُها في ذهنِه صَدًّا ... فإِنّي ناصحٌ له أَمين : أَن يأتيَ إِلى بعضِ الصالحين ، ليقرأَ عليه آياتٍ من الكِتابِ المُبين ، (فلعلّه) مِن المَمْسوسين ، أَو الملْبُوسين (!) .

ولا عدوانَ إِلّا على الظالمين ...

□□□□□

القسم الثاني :

الأدلّة الصحيحةُ التي ذَكَرُوها ؛

لكنْ : إمّا تأوّلوها ، أو ضَعَّفوها

.. وسأختارُ مِن بين ذلك كلِّه أَربعةَ أَحاديثَ ، اثنين منها بيانًا لوجهِ دلالاتها الصريحة اللّائحة ، والاثنينِ الآخَرَيْنِ إثباتًا لِدَرَجتِها الصحيحةِ الواضحة ..

ولولا الإطالةُ لناقشتُ جميعَ دلائِلِهم ، ورددتُ سائرَ مسائِلِهم ، ولكنَّ ما هنا إشارةٌ تُغْني اللبيبَ ، ولَمْحَةٌ تُفيدُ الأَريبَ :

الدليلُ الأَوّل :

ما رواه البخاريُّ (٣٢٨١) ومسلمٌ (٢١٧٥) عن صفيّةَ بنتِ حُيَيٍّ ، قالت : كانَ النبيُّ ﷺ مُعتكفًا ، فأَتيتُهُ أزورُهُ ليلًا ، فحدَّثْتُهُ ، ثمَّ قمتُ لأَنقلبَ [١] ، فقامَ معي ليَقْلِبَني - وكانَ مسكنُها في دارِ أُسامةَ بنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رجلانِ من الأَنصارِ ، فلمّا رَأَيا النبيَّ ﷺ أَسْرَعا ، فقالَ النبيُّ ﷺ : « على رِسْلِكما ، إنّها صَفيّةُ بنتُ حُيَيٍّ » ، فقالا : سبحانَ اللهِ ، يا رسولَ اللهِ ! فقالَ ﷺ : « **إنَّ الشيطانَ يجري من الإنسانِ مجرى الدَّمِ** ، وإنّي خشيتُ أَنْ يقذفَ في قلوبكما شَرًّا ، أَو : شيئًا » .

---

(١) أي : لأُغادر إلى بيتي .

قلتُ :

وهذا الحديثُ استدلَّ به على (**إمكانيّةِ**) دخولِ الجانِّ بَدَنَ الإنسانِ جماعةٌ من أَهلِ العلمِ (الكبار) ؛ منهم الإمامُ القرطبيُّ في « تفسيرِه » (٢ / ٥٠) ، وشيخُ الإسلامِ ابن تيميّة في « مجموع الفتاوى » (٢٤ / ٢٧٧) ، والبِقاعيّ في « نَظْمِ الدرر » (٤ / ١١٢) ، والقاسميُّ في « محاسن التأويل » (٣ / ٧٠١)،والشيخ عبدالله بن حُميد في « الرسائل الحِسَان في نصائح الإخوان » (ص ٤٢) - ونَقَلَ ذلك عن « الإقْناع » و « شرحه » - ، وغيرُهم.

ولكنْ ؛ قالَ مُعْتَرِضٌ : « الاستشهادُ بهذا الحديثِ في غيرِ محلِّهِ ، لأَنَّ مناسَبَتَهُ تقتضي أَنَّ المرادَ بِهِ الوسوسةُ » [1] !!

فالجوابُ على هذا ما قالَه الحافظُ ابن حجرٍ العسقلانيُّ رحمه اللهُ تعالى في كتابِه « بَذل الماعون » (ص ١٥١) في هذا الحديثِ نفسِه :

« وهو وإِن كانَ في سياقِهِ أَنّه مخصوصٌ بالوسوسةِ ، لكنّه يدلُّ على إِمكانِ ما أَشرتُ إليه [2] .

والدلالةُ الوجوديّةُ فيمن يصرعُهُ الجنُّ من الإنسِ كثيرةٌ جدًّا » .

.. ومع ذلك نَرى مَن يُكابِرُ في هذا جدًّا !!

---

(١) « الأُسطورة » (ص ٥٥) !

(٢) حيثُ بوّبَ الفصلَ السادسَ من البابِ الثاني من كتابِه (ص ١٥١) بقولِه : « ذكر الدليلِ على أَنَّ الجنَّ قد يُسلَّطونَ على الإنسِ بغيرِ الوخزِ ، في رمضان [1] وفي غيرِه ، فلا يُستنكر تسليطُهم بالوَخزِ ، لأَنَّ اللهَ تعالى قد يرفعُ بعضَهم عن بعض !! » .

....

(١) انظر ما سبق في ذلك (ص ٩٦) عن الإمام أَحمد رحمه الله .

وإِنصافُ العلمِ يَقْضي أَنْ لا تعارضَ بين الوسوسةِ - مِن جهةٍ - وبينَ المَسِّ أَو الصَّرْعِ - مِن جهةٍ أُخرى - .

وقالَ العلّامة موفّق الدين عبداللطيف البغداديّ المتوفّى سنة (٦٢٩ هـ) في كتابِه « الطب من الكتاب والسنّة » (ص ٢٣١) تعقيبًا على الحديثِ نفسِهِ : « لأَنَّ الجنَّ أَجسامٌ لِطافٌ ، وغيرُ مُستنكَرٍ اختلاطُ الجنّي بروحِ الإِنسان ، كاختلاطِ الدَّمِ والبَلْغَم في البدن مع كثافتِه » .

واللهُ المُوفِّقُ .

ثمَّ رأيتُ كلامًا علميًّا لبعضِ الأَطباءِ المعاصرين ، شَرَحَ فيه صِلَةَ هذا الحديثِ وأَثَرَهُ بالمسّ والصَّرْعِ من وجهةٍ طبيّةٍ مُتَخَصِّصةٍ ، وهو الدكتور عدنان الشريف ، في محاضرةٍ له أَلقاها في المركز الإِسلاميّ في بيروت ، بتاريخ : ١٢ / جمادى الأَوّل / ١٤١١ هـ ، حيثُ قالَ [١] :

« **جميعُ أَمراضِ المسِّ الشيطانيّ العقليّة والنفسيّةِ والجسديّةِ يشرحُ كيفيتَها الحديثُ الشريف : « إِنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّم »**، وبما أَنَّ الدمَ يصلُ إِلى كلِّ خليّةٍ في أَعضاءِ الجسمِ ، فليسَ من الصعوبةِ إِذنْ أَن نفهمَ كيفَ يعطّلُ الشيطانُ آليّةَ العضوِ الذي يمرّضُه في الإِنسانِ ما دامَ بمقدورِه الوصولُ بواسطةِ الدَّمِ إِلى كلِّ خليّةٍ من خلايا الجسمِ ، ولقد اكتشفَ جرّاحُ

---

(١) وذلكَ منقولٌ عنه في كتاب « العلاقة بين الجنّ والإِنس » (ص ٢٢٤) للدكتور إِبراهيم كمال أَدهم .

الأَعصابِ الكندي بانفيليد panfild في الستيناتِ - وخلال إِجراءِ عمليّاتِ جراحيّةٍ دماغيّةٍ على مرضى مخدّرين تخديرًا موضعيًا - بأَنَّ في الدماغِ مناطقَ متخصصةً بالحركةِ والشعورِ والأَلمِ والذاكرةِ ، فمن الممكنِ إِذن أَن يتسلَّطَ إبليسُ وقبيلُه على أَيِّ عُضوٍ في الجسمِ فيبطل أَو يشوِّشُ آليّةَ عملِه لبعضِ الوقتِ أَو يدمِّرُها » .

الدليل الثاني :

ما رواه البخاريُّ في « صحيحه » (٤٢٧٤) عن أَبي هريرة رضي اللهُ عنه ، عن النبيِّ ﷺ : « ما مِن مولودٍ يُولَدُ إِلّا **والشيطانُ يمسُّهُ حينَ يُولَدُ** ، فيستهلُّ صارخًا من مَسِّ الشيطانِ إِلّا مريمَ وابنَها » .

أَقولُ : قد استدلَّ بهذا الحديثِ على ثبوتِ المسِّ الذي يترتَّبُ عليه أَذىً زائدٌ على مُجرّدِ الوسوسةِ : عددٌ من أَهلِ العلمِ ؛ منهم العلّامةُ ابنُ المُنَيِّر الإِسكندريّ في « الانتصاف مِن الكشّافِ » (١ / ١٦٤) ، والإِمام ابنُ مُفْلحٍ في « مصائبِ الإِنسانِ » (ص ١١٥) ، حيثُ قال :

« **وأَجرى أَهلُ السنّةِ هذا الحديثَ على ظاهرِه من غيرِ تحريفٍ ولا تأويلٍ على عادتِهم في ذلك ، وتأوّلت المعتزلةُ ...** » .

ثمَّ نَقَلَ قَولَ الزّمخشريِّ [1] في إِنكارِهِ ذلك ووصفِهِ إِيّاهُ أَنّه « تَخْييلٌ

---

(١) في « الكشّاف » (١ / ١٦٤) .

وانظر كتابي « **العقلانيون أَفراخ المعتزلةِ العصريون** » (ص ٥٥ - ٥٦) .

وتصويرٌ » !! ، وأَعْقَبَهُ بقولِه نَقْضًا له : « وقد ردَّ الأَئمّةُ هذا على الزَّمخشريّ ، وقالوا : الحديثُ صحيحٌ لا مطعنَ فيه ، وتأويلُ الزمخشريّ جُنوحٌ منهُ إلى اعتزالٍ ، مُنْتَزَعٍ من فلسفةٍ ، مُتنزعةٍ مِن إلحادٍ .. **ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ** » .

... وقد تَبِعَ هذه الظُّلماتِ عددٌ مِمَّن حَسِبَها أَنوارًا (!) فَغَدَتْ ضلالاتٍ كبارًا ؛ منهم **أَبو ريّة** [1] - غيرُ المأسوفِ عليه - في كتابِه الأَبتر « أَضواء على السنّةِ المحمديّة » (!) (ص ١٤٤) ، وأَبو الوفا درويش - عفا اللهُ عنه - في كتابه « صيحة الحقّ » (ص ٢٠٦) ، وتابَعَهُ - أَو : **تابعَهما** ! - صاحبُ « الأُسطورة .. » (ص ٦٤) !!

قالَ ابنُ الأَثير في تفسيرِ النَّخْسِ : « والنَّخْسُ هو الدفعُ والحركةُ [2] » .

وأَخرجَ مسلمٌ (٢٣٦٧) عن أَبي هريرة أَيضًا قال : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « صياحُ المولودِ حينَ يقعُ نزغةٌ من الشيطانِ » .

---

(١) وقد وَصَفَ - عامَلَه اللهُ بعدلِه - هذا الحديث بأَنَّه : « **من المسيحيات** » !! فما أَجرأَهُ على اللهِ سُبحانه ، وعلى نبيِّهِ ﷺ !

وانظر كتابَ « الأَنوار الكاشفة » (ص ١٣٦ - ١٣٧) لذهبيِّ العصر العلّامة المعلّمي اليماني رحمه الله تعالى .

... وإنّي لأَعْرِفُ بعضَ المُتَلَفِّعين بِلَبُوسِ العلمِ والسنّةِ - وليسوا هم من أَهلِها - قد صاغَ (فِكْرَه) على آراءِ أَبي ريّةَ ؛ يَطيرُ بها ، ويطوفُ بآثارِها .. لكنْ بطريقةٍ أُخرى أَشدَّ تلبيسًا وأَعظمَ تدليسًا !! تقومُ على إيهامِ الجهلةِ (وأَشباهِهم) بأَفكارِهِ ذاتِها ، لكنْ بأُسلوب : (**حدّثنا**) و (**أَخبرنا**) !! فاحْذَروا وحَذِّروا .

(٢) « النهاية في غريب الحديث » (٥ / ٣٢) .

قال النوويُّ : « قولُه عليه السلامُ : « صياحُ المولودِ حينَ يقعُ نزغةٌ من الشيطانِ » أي : حينَ يسقطُ من بطنِ أُمِّهِ ، معنى نَزْغة : نخسة وطعنة منه ، ومنه قولُهم : نَزَغَه : نَخَسَه وطعَنَهُ ، ومنه قولُهم : نَزَغَه بكلمةٍ سوءٍ ؛ أَي : رماه بها » [1] .

وقال الدكتورُ عبدالكريم عبيدات في كتابِه « عالم الجنّ في ضوء الكتابِ والسنّة » (ص ٣٠٩) :

« فقد أَثبتتْ هذه الأَحاديثُ أَنَّ الشيطانَ له تأثيرٌ على أَجسامِ الإِنسِ ، وذلك بدفعِ الشيطانِ للولدِ ، وطعنِه ساعةَ الولادةِ بحيثُ يصرخُ من ذلك ، وأَنَّ ذلكَ يعمُّ كلَّ مولودٍ كما يدلُّ عليه قولُه عليه السلامُ : « ما مِن مولودٍ .. » ، وقولُه : « كلُّ إِنسانٍ تلدُهُ أُمّه ... » ، ولم يستثنِ من ذلكَ الدَّفعِ والطعنِ إِلّا عيسى ابن مريم عليه السلام وأُمّه ؛ استجابةً لدعاءِ أُمِّ مريمَ .

قالَ ابنُ حَجَرِ العسقلانيُّ في « فتح الباري » (٦ / ٣٦٨) : « قال القرطبيُّ : هذا الطعنُ من الشيطانِ هو **ابتداءُ التسليطِ** [2] ، فحفظَ اللهُ مريمَ وابنَها منه ببركةِ دعوةِ أُمِّها حيثُ قالت : ﴿ وإِنّي أُعيذُها بكَ وذرّيتَها من الشيطانِ الرَّجيمِ ﴾ ، ولم يكنْ لمريمَ ذريّةٌ غيرَ عيسى » .

قالَ النوويُّ : « وهذه فضيلةٌ ظاهرةٌ ، وظاهرُ الحديثِ اختصاصُها بعيسى

---

(١) « شرح النووي على مسلم » (١٥ / ١٢٠ - ١٢١) .

(٢) والطبُّ يؤيِّد هذا المعنى ، كما سيأتي بعد صفحتين .

وأمِّه ، واختارَ القاضي عياض أَنَّ جميعَ الأَنبياءِ يتشاركونَ فيها » [١] .

وليسَ هُناك ما يدلُّ على ما اختارَه القاضي عِيَاض ، والأَحاديثُ صريحةٌ في اختصاصِ عيسى وأُمِّه بذلكَ .

ويؤيِّدُه ما ذَكَرَهُ القرطبيُّ [٢] حيثُ يقولُ في قولِه عليه السلام : « ما من مولود ... » :

« قالَ علماؤنا : فأَفادَ هذا الحديثُ أَنَّ اللهَ تعالى استجابَ دعاءَ أُمِّ مريَمَ ؛ فإنَّ الشيطانَ ينخسُ جميعَ ولدِ آدمَ حتّى الأَنبياءَ والأَولياءَ ، إلّا مريمَ وابنَها [٣].

قال علماؤنا : وإن لم يكُن كذلكَ بطلت الخصوصيّةُ بهما ، ولا يلزمُ من هذا أَنَّ نخْسَ الشيطانِ يلزمُ منه إضلالُ الممسوسِ وإغواؤُهُ !! فإنَّ ذلكَ ظنٌّ فاسدٌ ، فكم تعرَّضَ الشيطانُ للأَنبياءِ والأَولياءِ بأَنواعِ الفسادِ والإغواءِ ، ومع ذلكَ عَصَمَهم اللهُ ممّا يرومُه الشيطانُ، كما قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ عبادي ليسَ لكَ عليهم سلطانٌ ﴾، هذا مع أَنَّ كلَّ واحدٍ من بني آدمَ قد وُكِّلَ به قرينُه من الشياطين - كما صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ [٤] - ، فمريمُ وابنُها وإن عُصما

---

(١) « شرح صحيح مسلم » (١٥ / ١٢٠) .

(٢) في « تفسيره » (٤ / ٦٨) .

(٣) انظر ما ذكره ابن جرير الطبري في « تفسيره » (٦ / ٣٣٦ - ٣٤٣ - تحقيق محمود شاكر) ، وابنُ كثير في « البداية والنهاية » (٢ / ٧٥) و « تفسيره » (٢ / ١٣٠) والسيوطيّ في « الدر المنثور » (٢ / ١٩) .

(٤) رواه مسلم في « صحيحه » (٤ / ٢١٦٧ و ٢١٦٧) .

من نخْسِه فلم يُعْصَما من ملازمتِه لهما ومقارنتِه ، واللهُ أَعلم » .

وقد أَنكر الزمخشريُّ طعنَ الشيطانِ للمولودِ عند ولادتِه !!

وقال الآلوسيُّ في « روح المعاني » (٣ / ١٣٧) في الرَّدِّ على الزمخشريِّ وأَضرابِهِ : « ولا يخفى أَنَّ الأَخبارَ في هذا البابِ كثيرةٌ ، وأَكثرُها مدوّنٌ في « الصِّحاح » ، **والأَمرُ لا امتناعَ فيه** ، وقد أَخبرَ به الصادقُ عليه الصلاةُ والسلامُ فلْيُتَلَقَّ بالقَبولِ .

والتخييلُ الذي رَكَنَ إِليه الزمخشريُّ ليس بشيءٍ ؛ لأَنَّ المسَّ باليدِ رُبّما يصلحُ لذلك ، أَمّا الاستهلالُ صارخًا [١] فلا ، على أَنَّ أَكثرَ الرواياتِ لا يجري فيها مثلُ ذلك » .

ثمَّ رأيتُ في كتاب « مَرَض الصَّرْع : الأَسباب ، المشكلة ، العلاج » (ص ٨٠) للدكتور لطفي الشُّربيني قولَه : « **قد تكونُ بدايةُ الصَّرْعِ مع أَوّلِ عهدِ الطفلِ بالحياةِ نتيجةَ إِصابتِهِ أَثناءَ الوِلادةِ** » .

فهذا - بحمد اللهِ - يلتقي - طِبًّا - مع ما سَبَقَ إِيرادُهُ - سُنّةً - .

الدليل الثالث :

عن عُثمان بن أَبي العاص ، قال : لمّا استعملني رسولُ اللهِ ﷺ على الطائفِ ، جَعَلَ يعرِضُ لي شيءٌ في صلاتي ، حتّى ما أَدري ما أُصَلّي ، فلمّا

(١) قال القاضي ابنُ العربيّ المالكيُّ في « القَبَس بشرح موطأ مالك بن أَنَس » (٣ / ١٠٦) : « **وهذا أَمرٌ لا يُعْلَمُ إِلّا بالخبر ، وخَفِيَ ذلك على الملحدة ، والغافلين من الخليقة ..** » .

رأيتُ ذلك رحلتُ على (وفي رواية الرُّويانيّ : دخلتُ على) رسولِ اللهِ ﷺ [فَلم يُرَع رسولُ اللهِ ﷺ إلّا وأَنا بينَ يديه] (١) فقال : « ابنُ أَبي العاص ؟! » قلتُ : نعم يا رسولَ اللهِ ، قال : « ما جاءَ بكَ ؟ » (وفي رواية الروياني : ما شأْنُك ؟) ، قلتُ : يا رسولَ اللهِ ، عَرَضَ لي شيءٌ في صلاتي ، حتّى ما أَدري ما أُصلّي ، قال : « **ذاكَ الشيطان ، ادْنُهْ** » ، [فقال لي : اجلس على صُدورِ قدميك] (١) ، قال : فدنوتُ منه ، فجلستُ على صُدورِ قدميَّ [قال : « **اِفْغَرْ فاكَ** »، فَفَغَرْتُ فاي](١) قال: فضربَ صدري بيدِه ، وَتَفَلَ في فمي ، وقال : « **اخرج عدوَّ اللهِ [من صَدْرِه]** (١) » فَفَعلَ ذلكَ ثلاثَ مرّاتٍ ، ثمَّ قالَ : « اِلحقْ بعملِكَ » ، فقال عثمانُ : فَلَعَمري ما أَحسبُهُ خالَطَني (وفي نسخةِ عند الرويانيّ : **خابَطَني**) بعد (وفي رواية ابنِ أَبي عاصم : فما حَسِسْتُ بِهِ بعدُ) .

رواه ابنُ ماجةَ (٣٥٤٨) والرُّويانيّ في « مسنِدِه » (ق ٢٦٣ / ب و ٢٦٤ / أ - مصوّرتي عن مخطوطةِ الظاهريّة) وابنُ أَبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٥٣١) و (١٥٣٢) من طُرُقٍ عن عُيَيْنةَ بن عبدالرحمٰن : حدّثني أَبي ، عن عُثمانَ بنِ أَبي العاص ، فذكره ..

« وفي الحديثِ دلالةٌ صريحةٌ على أَنَّ الشيطانَ قد يتلبّسُ الإِنسانَ ،

---

(١) زيادة عند ابن أَبي عاصمٍ .

ويدخُلُ فيه ، ولو كانَ مؤمنًا صالحًا » [1] .

وإسنادُهُ صحيحٌ غاية .

وصححهُ البُوصيريُّ في « مصباح الزجاجة » (٤ / ٣٦ - السُّنَن) .

لكنَّ صاحبَ « الأُسطورةِ » (ص ٨٢ - ٨٥) - بعد أَنِ اقتصرَ في عزوِه على ابنِ ماجة !! - أَبىٰ إِلّا أَنْ يَشغلَنا بتتبّعِ ما سوّدَه من شُبهاتٍ عليهِ ، فلا يَسَعُنا - خشيةَ أَنْ يَغترَّ به غيرُ العارفين - إِلّا أَن نَرُدَّ عليهِ .

والرَّدُّ من وجوهٍ :

الوجه الأوّل : إثباتُ تناقضِهِ ، وتردُّدِهِ ، واضطرابِهِ ؛ فعندما كانَ كاتبُ « الأُسطورةِ » (**مُقْتَنعًا**) بمسألةِ تلبُّسِ الجنّيِّ بالإنسيِّ (**ومُعتقدًا**) بها - على حَدِّ تعبيرِه في « أُسطورته » (ص٧٢) ! - كانَ هذا الحديثُ نفسُهُ عندَه صالحًا للاحتجاج ، **فاستدلَّ به ساكتًا عنه في** تعليقِه على « رياض الصالحين » (ص ٤٧) !!

وعندما (اكتشفَ) بُطلانَ (قناعتِه) الأُولى (!) فإذا بالحديثِ - بقُدرةِ قادرٍ - ينقلبُ ضعيفًا ، مُنكرًا ، ومُحَرَّفًا ، وعَوْنًا للمشعوذينَ !!

الوجهُ الثاني : قال في (عبدالرحمٰن بن جَوْشَن الغطَفانيّ) : « ليسَ معروفًا بالضبطِ ، وهو صدوقٌ في نفسِه ، لذا قالَ أَحمدُ : ليس بالمشهورِ ، وما

---

(١) « سلسلة الأَحاديث الصحيحة » (٢٩١٨) لشيخنا المحدّث العلّامةِ محمد ناصر الدين الأَلْباني حفظه اللهُ .

أَرى توثيقَ الآخرين له إِلّا من بابِ العدالةِ ، لأَنّي لم أَجدْ حديثَه ممّا يُتابَعُ به في سياقاتِها كهذا الحديث .. » !!

وهذا مردودٌ من وجوهٍ :

أَوَّلًا : قولُه : « ليس معروفًا بالضَّبْطِ » مِن كيسِه ، ومِن عندِيّاتِه ، (فالعلماءُ) على عكسِ ما ادّعى :

فقد قالَ أَبو زُرعة : ثقةٌ [1] .

وقالَ ابنُ مَعينٍ : ثقةٌ .

وقال ابنُ سَعْدٍ : كانَ ثقةً إِنْ شاءَ الله [2] .

ووثّقه العِجليُّ وابنُ حِبّان .

وقال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ : ثقةٌ .

هذا كلُّ ما قِيلَ في ترجمتِهِ [3] ممّا وقفتُ عليه - سوى كلمةِ أَحمدَ الآتي بَحْثُها - فمِن أَينَ استخرجَ (النّاقدُ) أَنّه ليس معروفًا بالضبطِ ؟!

ليس ذلك إِلّا التعنُّتُ والتكلُّفُ ، والقولُ بلا أَدنى دليلٍ !

ثانيًا : قولُهُ : « وهو صدوقٌ في نفسِه » !! كلمةٌ لا تَشوى في سُوقِ العلمِ شيئًا ! إِلّا تزيينَ الأَوراقِ ، والتمويه على عُقولِ مَن لا يعرفونَ الحديثَ

(١) وأَقرّه الذهبيُّ في « الكاشف » (٣٢٠٨) .

(٢) نَقَلَه الحافظُ ابن حَجَرٍ في « تهذيب التهذيب » (٨ / ٢٤٠) .

(٣) انظر « تهذيب الكمال » (١٧ / ٣٤ - ٣٦) والتعليق عليه .

ولا مُصطَلَحه **إلّا بالهاتف** !!

فَمَن وثَّقَهُ جماعةُ العُلماءِ ، ماذا ينفعُه وَصْفُ (غيرِهم) له بالصِّدْقِ ، وهي سِمَةٌ قد ينالُها الضعفاءُ والمختلِطونَ ؟!

لكنْ ...

ثالثًا : وأمّا ترتيبُهُ قولَ أَحمد : « ليس بالمشهورِ » عَقِبَ قولِه : « صدوقٌ في نفسِه » ! فهو (تركيبٌ) باطلٌ ، وترتيبٌ فاشلٌ ؛ لا يقومُ على أَساسٍ ، وليس له في العلمِ أيُّ مَساسٍ !!

فما هي صِلَةُ صِدْقِ النَّفْسِ بعَدَمِ الشهرةِ ؟!

وكيفَ يُرَتِّبُ - بل يُرَكِّبُ - هذا على ذاكَ ؟!

رابعًا : وقولُ الإمامِ أَحمدَ هذا ليسَ له وَجْهُ صِلَةٍ بضبطِه ، أَو عدالتِه ، أو ثقتِه ، إنّما هو - رحمةُ اللهِ عليه - يتكلّمُ عن شيءٍ زائدٍ على ذلك ، وهو الشهرةُ ، وليست هي - أَصلًا - من شروطِ قَبُولِ الراوي ، وهي لا تتعارضُ مع التوثيقِ بحالٍ ، فكم من راوٍ ثقةٍ ليسَ بمشهورٍ ؟!

مثالُه : قولُ أَبي حاتمٍ في « الجرح والتعديل » (٧ / ١٩٧) في محمد ابن أَيّوب بن ميسرة : « صالحٌ لا بأسَ به ، ليس بمشهورٍ » ، فقولُهُ : « صالحٌ » توثيقٌ له ، وقولُهُ : « ليس بمشهور » إشارةٌ إلى شيءٍ زائدٍ عن ذلك .

مِن أَجلِ ذا قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في « تعجيلِ المنفعةِ » (ص ٣٥٩) فيه : « **مُرادُ أَبي حاتمٍ أَنّه لم يشتهرْ في العلمِ اشتهارَ أَقرانِه ، مثل سعيدِ بن**

عبدالعزيزِ وأَنظارِه » ، فَافْهَمْ ... .

خامسًا : لو فَرَضْنا أَنَّ مقولةَ الإِمامِ أَحمد : « ليس بالمشهورِ » جَرْحٌ ؛ فإِنَّه من أَدنى أَلفاظِ الجرحِ **المبهمةِ** ، فكيفَ يُقَدَّمُ على التعديلِ الصريحِ الواضحِ من الأَئمّةِ الكُبراءِ الجبالِ ؟!

هذا يُشيرُ إِلى مدى التعنُّتِ أَو الجَهْل - أَو هُما معًا - ممَّا تلبّسَ به صاحبُ « الأُسطورةِ » في إِعمالِ الجَرْحِ ، وإِهمالِ التعديلِ ، وهو عكسُ قاعدةِ العُلماءِ والأَئمّةِ ، ونقيضُ صنيعِهم .

وهذا بيّنٌ لمن تأمّله ... فَاحْذَرْهُ ..

سادسًا : وأَمّا (رأيُهُ) أَنَّ توثيقَ من وثّقَه مِن باب العدالةِ !!! فهو رأيٌ نابٍ غريبٌ ، وبعيدٌ عن نَفَسِ أَهلِ الحديثِ ومنهجِهم وأُسلوبهم ، بل هو نقضٌ لطريقتِهم ومنهجِهم ..

(وما أَرىٰ) هذا الأُسلوبَ إِلّا طريقةً (غزاليّةً) عقلانيّةً مُغَلَّفةً ؛ تُرَدُّ بها نصوصُ السنّةِ الصحيحةِ بـ (حدّثنا) و (أَخبرنا) !! ، عَرَفَ الكاتبُ أَم لم يعرِفْ ، شاءَ أَم أَبى !!

سابعًا : أَمّا قولُه : « لأَنّي لم أَجدْ حديثَه ممّا يُتابَعُ به .. » إِلى آخرِه .. فهو دعوىٰ عريضةٌ باطلةٌ ، يردُّها أَدنى نَظَرٍ في كلامِ أَهلِ العلمِ وأَئمّتِه ..

ويزيدُ ذلك وُضوحًا :

الوجهُ الثالثُ : قولُه بَعْدُ : « فإِنَّ عبدَالرحمٰن بن جَوْشَنٍ لا يُعْرَفُ له

سماعٌ من عُثمان بن أَبي الْعاص (!) وقد أَحتمِلُهُ [١] (!) لأَنَّ عُثمانَ انتقلَ في أَواخرِ أَيّامِه إِلى البصرةِ » .

أَقولُ : وجهُ الرَّبطِ بينَ هذا الوجهِ والنقطةِ التي قبلَه هي مسأَلةُ الدعاوى العريضةِ ، والأَساليبِ الصحفيّةِ (!) في الكلامِ .. فهناكَ قال : « لم أَجدْ حديثَه ممّا .. » ، وهنا قالَ : « لا يُعرَفُ له سماعٌ .. » ! وكلُّ ذلك نَفْيٌ فضفاضٌ ، يستطيعُ أَنْ يقولَه كلُّ أَحدٍ ، لكنْ لا يستطيعُ الثباتَ عليه أَيُّ أَحدٍ ..

والدليلُ بين أَيدينا حاضرٌ :

فإنّي قد عَزَوْتُ هذا الحديثَ - مِن ضمنِ مَنْ عَزَوْتُ لَهُم - لابنِ أَبي عاصمٍ في كتابِه « الآحاد والمثاني » ، وهو كتابٌ مُتداوَلٌ بين أَهلِ العلمِ وطُلّابِه ، ومطبوعٌ منذُ نحوِ خمسِ سنواتٍ ...

فَيَحْسُنُ بمَن يكونُ عريضَ الدعاوىٰ ، واسعَ الشِّدْقَيْنِ بالقولِ ، أَنْ يكونَ هذا ضِمْنَ قائمةِ الكتبِ التي ينظرُ فيها !! بل أَوَّلَها ؛ لِمَا هو معروفٌ عنه مِن اختصاصِه بالرُّواةِ المُقِلِّين مِن الصحابةِ ، وابنُ أَبي العاصِ - دونما رَيْبٍ - واحدٌ منهم ، وبخاصّةٍ وهو يُحاولُ (جاهدًا) الردَّ على أَئمّةٍ وعلماءَ ، قد صحّحوا الحديثَ وثبّتوهُ ..

وقديمًا قيل : « من كانَ بيتُهُ مِن زجاجٍ فلا يقذفِ (النّاسَ) بالحجارةِ »!

---

(١) إِنِ احتَمَلْتَه فلماذا تُشَكِّكُ بِهِ ؟! وإِنْ رَدَدْتَهُ فما هي جدوىٰ احتمالِك (!) له ؟! .

... ففي هذا الكتابِ التصريحُ الواضحُ الجليُّ بثبوتِ سماعِ ابنِ جَوْشن من ابنِ أَبي العاصِ ؛ بالأَلفاظِ ذاتِها ، والسِّياقِ نفسِه ، مُسَلْسَلًا بالتحديثِ والسماعِ :

قال ابنُ أَبي عاصم (١٥٣٢) : حدَّثني محمد بن أَبي صفوان الثَّقَفيُّ : حدَّثنا محمد بن عبدالله الأنصاريُّ : حدّثنا عُيَينةُ بنُ عبدالرحمٰن بن جَوْشَنٍ : حدَّثني أَبي قال : **سمعتُ** عُثمانَ بن أَبي العاص .. فذكره بمثلِه تمامًا .

فما هو - الآنَ - التسويغُ والتعليلُ ؟! بل ما هو التأويلُ والتعطيل ؟!

الوجهُ الرَّابعُ : قولُه : « ثمَّ إِنَّ هذا الحديثَ مخالفٌ لحديثٍ أَصحَّ منه : فقد أَخرجَ مسلمٌ (٢٢٠٣) وغيرُه من طُرُقٍ عن الجُريري ، عن أَبي العلاءِ بن الشِّخّير ، أَنَّ عُثمانَ بنَ أَبي العاص أَتى النبيَّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللهِ ، إِنَّ الشيطانَ قد حال بيني وبينَ صلاتي وقراءَتي يُلْبِسُها عليَّ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ذاكَ شيطانٌ يُقالَ له : خِنزَب ؛ فإِذا أَحْسَسْتَهُ فتعوَّذْ باللهِ منه ، واتفُلْ على يسارِك ثلاثًا » ، قال : ففعلتُ ذلكَ ، فأَذهَبهُ اللهُ عنّي » .

ثمَّ قالَ صاحبُ « الأُسطورةِ » عَقِبَ ما تقدّمَ : « فهذا الحديثُ صريحٌ أَنّه في الوسوسةِ ، لا التلبُّسِ المزعومِ ، وهذه الروايةُ على ضَعْفٍ فيها (!) أَصحُّ من الروايةِ السابقةِ » .

فأَقولُ : الجوابُ من وجهين :

الأَوّل : أَن أُلزمَه بضدِّ قولِه ؛ فإِنّي قد أَثبتُّ - قبلُ - صحّةَ الإِسنادِ

الأَوّلِ جدًّا ، وبالتالي فإنّها هي المقدَّمةُ على هذا الإسنادِ المَغْموزِ فيه عندَه !!

الثاني : أَنَّ نَصْبَ المخالَفةِ والتعارُضِ بينَ الرواياتِ مع احتمالِ التعدُّدِ ليسَ بالمنهجِ العلميِّ ، فلقد روىٰ الإمامُ مسلمٌ في « صحيحه »[1] (٢٢٠٢) في خبرِ عثمانَ هذا - رضي اللهُ عنه - القصّةَ على وجهٍ ثالثٍ ، وهي أَنّه شَكا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجدُهُ في جَسَدِه منذ أَسلمَ ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ : ضَعْ يَدَكَ على الذي تألَمُ من جسدِك ، وقلْ : بسم الله ؛ ثلاثًا ، وقل سبعَ مرّاتٍ : أَعوذُ باللهِ وقُدرتِهِ مِن شرِّ ما أَجدُ وأُحاذِرُ »

فالحَمْلُ على التعدُّدِ أَوْلى ، وأَوْلى مِن ضَرْبِ النصوصِ بعضِها ببعضٍ ، وبخاصّةٍ مع سهولةِ ويُسْرِ هذا الحَمْلِ ، وعدمِ ترتُّبِ أَدنى مفسدةٍ عليه .

ولو تأمَّلَ (الناقدُ) حالَ عُثمان بن أَبي العاصِ - صاحبِ القصّةِ - وتذكَّر ما يُمكنُ أَن يصيبَ صاحبَ المرضِ من مراحلَ لمرضِه ، وقَلَقِهِ على نفسِه ، وكثرةِ مراجعتِه لطبيبِه : لَسَهُلَ عليه جدًّا أَن يَعُدَّ هذهِ الرواياتِ الثلاثَ حوادثَ مُتعدِّدةً لمريضٍ به جِنَّةٌ ، أَدّاهُ ذلكَ إلى **وَجَعٍ** في جَسَدِه ، ممّا أَدْخَلَ عليه بعضًا مِن **الوساوِسِ** الطارئةِ[2] ....

---

(١) ثمّ رأيتُ صاحب « الأُسطورة » (ص ٨٥) - أيضًا - يُعِلُّ هذا السندَ بالانقطاعِ !! لكنْ على مَشْرَبِهِ !!!

(٢) وقد كَتَبَ بعضُ أَطبّاءِ الغَرْبِ مقالًا بعنوان (أَعراض نفسيّة تنشأُ من حالاتٍ عضويّة) ، كما نَقَلَهُ الدكتور محمود عبدالعزيز الزُّعبيّ في مقالة (ماهيّة علم النفس المعاصر) المنشور في جريدة الرأي الأُردنيّة يوم السبت ١٤ / ١٠ / ١٩٩٥ م .

وانظر ما سبقَ (ص ٣٨) .

وبخاصّةٍ - حقًّا - أَنَّ أَصحَّ هذهِ الرواياتِ هي أَصرحُها وأَبْيَنُها ، وهي الروايةُ الأُولى التي صدّرتُ الكلامَ عليها .

فأَينَ الإِشْكالُ ؟!

وأَينَ وجوهُ المُخالَفَةِ المُدَّعاة ؟!

ولو اكتفى (المُنْصِفُ) بهذه الطريقِ الواحدةِ الصحيحةِ لكفاهُ ذلك ، فكيفَ وللحديثِ طُرُقٌ أُخرىٰ مُتَعَدِّدةٌ تُثْبِتُهُ وتُقَوِّيهِ ؟!

نَعَم ؛ في **بعضِها** ضَعْفٌ ، لكنّه ضَعْفٌ يسيرٌ خفيفٌ ، ليس فيها متروكٌ ، ولا كذّابٌ ، ولا مُتَّهَمٌ ، وإِنّما هي تدورُ (عندَه) على ما بينَ سيِّئِ حفظٍ ، أَو مجهولٍ ، أَو مَن لم يقف له على ترجمةٍ !! وما أَشْبَهَ هذا ..

ومَعَ هذا تراهُ يُهَوِّلُ في رَدِّها ، ويُفَخِّمُ في إِنكارِها بأُسلوبٍ جرائديٍّ مُبْتَذَلٍ !!

أَفلا تُقَوِّي هذه الرواياتُ [1] تلكَ **الروايةَ** على مذهبِهِ في نَقْدِها

---

(١) أَمّا قولُ صاحبِ « الأُسطورةِ » (ص ٨٤) : « أَنَّ هذه الأَحاديثَ لا تصلحُ لضعفِها ! » !! ففيه تبييسٌ !! فإِنْ لم تصلُحْ حُجّةً (بمفرداتِها) لضعفِها ، أَفلا تصلحُ حُجّةً (بمجموعِها) لطرقِها ؟!

وقدَ قالَ شيخُ الإِسلامِ ابنُ تيميّة - رحمه الله تعالى - في « مجموع الفتاوى » (١٣ / ٣٤٧) مؤصِّلًا مبحثَ الحديثِ الحَسَن بما ينطبقُ تمامًا مع ما أَوردناه هنا :

« إِذا كانَ الحديثُ جاءَ من جهتين أَو جهاتٍ ، وقد عُلمَ أَنَّ المُخبِرَين لم يتواطآ على اختلافِه ، وعُلمَ أَنَّ مثلَ ذلك لا تقعُ الموافقةُ فيه اتفاقًا بلا قصدٍ : عُلمَ أَنّه صحيحٌ ، مثلُ شخصٍ =

وضعفِها ؟!

فكيفَ وهي سالمةٌ من أدنى وجوهِ الضعفِ ؟ نقيّةٌ مِن أَقلِّ صُوَرِ الإِعلالِ ؟!

وأَمّا دعواهُ في آخرِ بحثِه أَنَّ هذه الرواياتِ (مُحَرَّفةٌ) عن روايةِ مسلمٍ في شكوىٰ عُثمان لرسولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يجدُهُ في جَسده !! فهي دعوىٰ دونَ

= يحدّثُ عن واقعةٍ جَرَتْ ، ويذكرُ تفاصيلَ ما فيها من الأَقوالِ والأَفعالِ ، ويأتي شخصٌ قد عُلِمَ أَنّه لم يواطئ الأَوّلَ ، فيذكرُ ما ذكرَه الأَوّلُ من تفاصيلِ الأَقوالِ والأَفعالِ ، فيُعلمُ قطعًا أَنَّ تلكَ الواقعةَ حقٌّ في الجملةِ ، فإِنّه لو كانَ كلٌّ منهما كَذَبَها عمدًا أَو خطأً لم يتّفق في العادةِ أَن يأتيَ كلٌّ منهما بتلكَ التفاصيلِ التي تمنعُ العادةُ اتفاقَ الاثنينِ عليها بلا مواطأةٍ من أَحدهما لصاحبِه .

وبهذه الطريقِ يُعلمُ صدقُ عامّة ما تتعدّدُ جهاتُه المختلفةُ على هذا الوجهِ من المنقولاتِ ، وإِن لم يكن أَحدُهما كافيًا ، إِمّا لإِرسالِه ، وإِمّا لضعفِ ناقلِه .

وهذا الأَصلُ ينبغي أَن يُعرفَ ؛ فإِنّه أَصلٌ نافعٌ في الجزمِ بكثيرٍ من المنقولاتِ في الحديثِ والتفسيرِ والمغازي ، وما يُنقلُ من أَقوالِ النّاسِ وأَفعالِهم ، وغير ذلك .

ولهذا إِذا رُوِيَ الحديثُ الذي يأتي فيه ذلك عن النبيِّ ﷺ مِن وجهين - مع العلم بأَنَّ أَحدَهما لم يأْخُذْه عن الآخرِ - جُزِمَ بأَنّه حقٌّ ، لا سيّما إِذا عُلِمَ أَنَّ نَقَلَتَهُ ليسوا ممّن تعمَّدَ الكذبَ ، وإِنّما يُخافُ على أَحدِهما النسيانُ والغَلَط » .

وزادَ الحافظُ العلائيُّ في « جامع التحصيل » (ص ٣٨) قولَه :

« .. فإِنّه يرتقي بمجموعِها إِلى درجةِ الحَسَنِ ، لأَنّه يزولُ حينئذٍ ما يُخافُ من سوءِ حفظِ الرواةِ ، ويعتضدُ كلٌّ منهما بالآخرِ » .

أَقولُ : وقد أَفَضْتُ في بيانِ هذا الأَصلِ وشرحِه في كتابي « **المِعيار لقواعدِ نَقْدِ الأَخبار وتَلَقّي السُّنن والآثار** » ، يسَّرَ اللهُ تمامَه .

إِثباتِها خَرْطُ القَتادِ !!

فلو عَكَسَ عليكَ أَحدٌ هذه الدعوىٰ ، وقَلَبَها إِليكَ رَأْسًا على عَقِبٍ ، فماذا تُجيبُ ؟!

جوابُكَ إِلينا جوابُنا عليكَ ...

فالصوابُ الذي يُنادي على سواهُ بالبُطلانِ هو أَنَّ الحديثَ الأَصلَ ثابتٌ ثبوتَ الرواسي ، وقد تكلّفَ (الناقدُ) ردَّه بكلامٍ ليسَ فيه رائحةُ العلمِ ، وأَنَّ طُرَقَهُ الأُخرى - مع أَنّه رَدَّها أَيضًا [١] - لا تُعارِضُهُ ، ولا تُخالِفُه ...

وفي الختامِ أَقولُ :

لشيخنا العلّامةِ المحقّقِ محمد ناصر الدين الأَلبانيّ حفظَهُ اللهُ بَحْثٌ مُوْعِبٌ في تَصْحيحِ هذا الحديثِ ودراسةِ طُرقِهِ ، وبيانِ درجتِهِ ، أَودَعه كتابَه النافعَ المُستطاب « سلسلة الأَحاديث الصحيحة » (٢٩١٨) ، فَلْيُراجِعْهُ مَن أَرادَ الاستفادةَ والاستزادةَ .

الدليلُ الرابعُ :

حديثُ يَعْلىٰ بن مُرَّةَ رضي اللهُ عنه ، قال : لقد رأيتُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ ثلاثًا ، ما رآها أَحدٌ قبلي ، ولا يراها أَحدٌ بعدي ، لقد خَرجتُ معه

---

(١) وهي (جميعًا) في « صحيح مسلم » !!
ولستُ أُريدُ (الآنَ) الدفاعَ عنها ، ونَقضَ كلامِه فيها ...
وأُرجئُ القولَ في ذلك لمناسبةٍ أُخرى (أَسْمَنَ) إِذا شاءَ اللهُ سبحانَه .

في سَفَرٍ حتّى إذا كُنّا ببعضِ الطريقِ ، مَرَرْنا بامرأةٍ جالسةٍ ، مَعَها صبيٌّ لها ، فقالت : يا رسولَ اللهِ ، هذا صبيٌّ أَصابَهُ بلاءٌ ، وأَصابَنا منه بلاءٌ ، **يُؤخَذُ في** اليومِ ما أَدري كم مَرّة ! قال : « ناوِلْنيهِ » ، فرفَعَتْهُ إِليهِ ، فَجَعَلَتْهُ بينه وبينَ واسطةِ الرَّحْلِ ، **ثمَّ فَغَرَ فاهُ** ، فَنَفَثَ فيه ثلاثًا ، وقال : « بسمِ اللهِ ، **أَنا عبدُاللهِ ، اِخسأ**[1] **عدوَّ اللهِ** » ، ثمَّ ناولَها إِيّاهُ ، فقال : « اِلقينا في الرَّجعةِ في هذا المكانِ ، فأَخبرينا ما فَعَلَ » .

قالَ : فَذهَبْنا ، ورَجعْنا ، فوجدناها في ذلك المكانِ معها شِيَاهٌ ثلاثٌ ، فقال ﷺ : « ما فَعَلَ صبيُّكِ ؟ » ، فقالت : والذي بَعَثَكَ بالحقِّ ، ما حَسَسْنا منه شيئًا حتّى الساعةَ ، فاجْتَزِرْ هذه الغَنَمَ ، قال : « انْزِلْ فَخُذ منها واحدةً ورُدَّ البقيَّةَ » .

* أَخرجه أَحمد (٤ / ١٧١ و ١٧٢) ، وصحّحه الحاكمُ (٢ / ٦١٧ - ٦١٨) .

أَقولُ : وفيه انقطاعٌ كما في « تهذيب التهذيب » (١٠ / ٣١٩) .

* وأَخرجه أَحمدُ (٤ / ١٧٠) وابنُ أَبي شيبة (١١ / ٤٨٨) مِن طريقٍ أُخرى عن عبدالرحمٰن بن عبدالعزيزِ ، عن يعلى بنِ مُرَّةَ ، فذكرَه .

وجوّدَ سندَه المنذريُّ في « الترغيب والترهيب » (٣ / ١٥٨) .

أَقولُ : وعبدالرحمٰن بن عبدالعزيزِ هذا أَوردَه ابنُ أَبي حاتمٍ في « الجرحِ

---

(١) وفي عدَّةٍ من الطرقِ الآتي ذِكْرُها : « **اخرُجْ عدوَّ اللهِ** » .

والتعديلِ » (٥ / ٢٦٠) ، ولم يَحْكِ فيه جرحًا ولا تعديلًا .

ولكنّه تُوبِعَ :

* فقد أَخرجه أَحمدُ (٤ / ١٧٣) وعبدُ بن حُميد في « مسنده » (٤٠٥) من طريقِ عطاءِ بنِ السائبِ ، عن عبداللهِ بن حَفْصٍ ، عن يعلىٰ ، فذكره .

وعبدُاللهِ بن حَفْصٍ مجهولٌ .

وعطاءُ مِن المُختلطين ..

وهذانِ ليسَ ضَعْفُهما شديدًا ..

وكذا الطريقانِ الأَوّلانِ .

وقد قالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ في « البداية والنهاية » (٦ / ١٤٠) عَقِبَ ذِكْرِهِ بعضَ طرقِ هذا الحديثِ : « **فهذه طُرُقٌ جيِّدةٌ مُتَعَدِّدةٌ ، تُفيدُ غَلَبَةَ الظنِّ أَو القطعَ عندَ (المُتَبَحِّرينَ) أَنَّ يعلى بنَ مُرَّةَ حدَّثَ بهذهِ القصّةِ في الجملةِ** » .

أَقولُ : فماذا يصنعُ غيرُ (المُتَبَحِّرين) [1] ؟!

وقالَ شيخنُا الأَلبانيُّ في « سلسلةِ الأَحاديثِ الصحيحة » (١ / ٨٧٧ - الطبعة الجديدة) : « **وبالجملةِ ؛ فالحديثُ بهذه المتابعاتِ جيِّدٌ** » .

---

(١) سيأتي بيانُ أَقوالِهم ، وردُّها ، وكشفُ ما فيها ..

قلتُ : ولقصّةِ الصبيِّ هذا شواهدُ :

الأوّلُ : حديثُ أُسامةَ بنِ زيدٍ ، وفيه قصّةُ غُلامٍ به جِنّةٌ ... على نحوِ حديثِ يعلى ..

رواهُ البيهقيُّ في « الدلائل » (٦ / ٢٤ - ٢٦) والعقيلي في « الضعفاءِ » (٣ / ٨١) وأَبو يعلى في « مسنده » - كما في « المطالب العالية » (ق ١٤٦ / أ - نُسختي المخطوطة المسنَدة) للحافظِ ابنِ حَجَرٍ - .

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ عَقِبَ الحديثِ : « **هذا إسنادٌ حَسَنٌ** [1] ؛ مُعاويةُ ابن يحيى الصَّدَفيّ ضعيفٌ ، **ولكنْ لحديثِه شاهدٌ** مِن طريقِ يعلى بنِ مُرَّةَ : أَخرجه أَحمدُ وغيرُه [2] » .

الشاهدُ الثاني : حديثُ ابنِ عبّاسٍ ، وفيه قصّةُ امرأةٍ أَتت النبيَّ ﷺ بابنٍ لها به جنونٌ ، فَمَسَحَ النبيُّ ﷺ صَدْرَه ، ودَعا ، فَخَرَج مِن جَوفِهِ ..

رواه أَحمدُ (١ / ٢٥٤ و ٢٦٨) والدارميّ (١ / ١١ - ١٢) .

وفي سنده فَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ : ضعيفٌ .

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في « البدايةِ والنهاية » (٦ / ١٥٩) : « وفَرْقَدٌ السَّبَخِيُّ رجلٌ صالحٌ ، لكنّه سيِّء الحفظِ ، وقد روى عنه شُعبةُ وغيرُ واحدٍ ، **واحْتُمِلَ حديثُهُ ، ولِمَا رواه ها هنا شاهِدٌ ممّا تَقَدَّمَ** » .

---

(١) لعلّه يَعْني : لغيرِهِ ، بدلالةِ ما بعدَه من كلامٍ .

(٢) وهو المشهودُ له هُنا .

قلتُ : يُشيرُ - رحمه الله - إلى حديث يعلى ..

ولقد حَسَّنَهُ الحافظُ بُرهانُ الدين البِقاعيُّ في « نظم الدُّرَر » (٤ / ١١٢) .

الشاهد الثالث : حديثُ جابرِ بنِ عبداللهِ ؛ وفيه أَنَّ الصبيَّ يأَخذُهُ الشيطانُ كلَّ يومٍ ثلاثَ مرارٍ ، فقال الرسولُ ﷺ : « اخْسَأْ عدوّ اللهِ ، أَنا رسولُ اللهِ » .. بنحوِ حديثِ يَعْلىٰ .

أَخرجَه الدارميُّ (١ / ١٠ - ١١) وابنُ أَبي شيبةَ (١١ / ٤٩٠) وابنُ عبدالبرِّ في « التمهيد » (١ / ٢٢٣) والذهبي في « تاريخ الإِسلام » (١ ٣٤٥ - ٣٤٦ - السيرة) .

قالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ في « البداية والنهايةِ » (٦ / ١٥٩) : « **إِسنادُه جيّدٌ ، ورجالُه ثقاتٌ** » .

أَقولُ : على ما في أَبي الزُّبيرِ من تدليسٍ .

وإِسماعيلُ بنُ عبدالمَلكِ لَيِّنٌ ، قال فيه البخاريُّ : يُكْتَبُ حديثُهُ ..

ولقد صحّحه الحافظُ البِقاعيُّ في « نظم الدُّرَر» (١١٣/٤).

فهو - على أَقلِّ تقديرٍ - حسنٌ في الشواهدِ .

الشاهدُ الرَّابعُ : ما أَخرجَه الحافظُ ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤ / ق ١٥٧ - مصوّرتي عن مخطوطةِ الظاهريّة) مِن طريق حُميدِ بن الرَّبيعِ : حدّثنا مُعَلّى بنِ منصورٍ الرّازيّ من كتابِه : أَخبرني شبيبُ بن شَيْبَةَ :

حدّثني بِشْرُ بنُ عاصمٍ ، عن غَيْلانَ بن سَلَمَةَ الثقفيّ ، قال : خَرَجْنَا مع رسولِ اللهِ ﷺ ... فأَقبلت امرأةٌ بابنٍ لها كأنّه الدينار ، فقالت : يا نبيَّ اللهِ ، ما في الحيّ غُلامٌ أَحبُّ إِليَّ مِن ابني هذا ، فأَصابَتْهُ المُوتَةُ [١] ، فأَنا أَتمنّى مَوْتَهُ ، فادْعُ اللهَ لي يا نبيّ اللهِ ، قال : فأَدْناهُ نبيُّ اللهِ ﷺ ، ثمّ قالَ : « بسمِ اللهِ ، أَنا رسولُ اللهِ ، اخْرُجْ عدوَّ اللهِ » ثلاثًا ...

إلى آخرِ القصّة ..

أَقولُ : في سندِه حُمَيد بن الربيع : وثَّقَه أَحمدُ وغيرُهُ ، وضعّفَه آخرُون ، وكذا شبيبُ بنُ بشرٍ ، ضعّفَه جماعةٌ ، ووثّقَه صالحُ جزرة وابنُ مَعينٍ .

فهوَ في الشواهدِ مَقْبُولٌ إِنْ شاءَ اللهُ .

... وهُناكَ شواهدُ أُخرى لحديثِ يعلى بنِ مُرَّةَ - فَضْلًا عمّا بَعْدَه - أُعْرِضُ عنها الساعةَ خشيةَ الإِطالةِ - ولعلّي فعلتُ ! - وفيما ذكرتُ غَنَاءٌ لِمَنْ يُريدُ الحقَّ - إِن شاءَ اللهُ - ..

فماذا فَعَلَ المُخالفونَ المُنكرونُ مِن غيرِ (المُتَبَحِّرِينَ) [٢] ؟!

●● قال صاحبُ « الأُسطورة .. » (ص ٨٨) بعد ذِكْرِهِ طُرُقَ حديثِ يعلى : « فهذه هي طرقُ الحديثِ ، ولا تصلُحُ بمجموعِها للتقويةِ (!) لأَنَّ

(١) نوعٌ من الجنونِ والغَشْي ؛ كما في « القاموس » (ص ٢٠٦) .
وانظر « غريب الحديث » (٢ / ٣٧٧) لابن الجوزي .

(٢) انظر ما سبق (ص ١٦١) من عبارةِ الإمام ابن كثيرٍ .

مكانَ الجهالةِ فيها مُتَّحِدُ المكانةِ (!) ، وباقي طرقِه فيها ضَعْفٌ شديدٌ » !!

كذا قالَ !!

وهو كلامٌ غيرُ سديدٍ :

لِما تَقدّم من بيانِ خِفّةِ الضعفِ الواقعِ في هذهِ الأَسانيدِ .

ولِما هو مَعلومٌ من كلامِ أَئمّةِ العلمِ وتطبيقاتِهم في كونِ الجهالةِ لَيْسَتْ جرْحًا شديدًا [١] .

ولِما هو معروفٌ مِن أَنَّ كثرةَ الرواةِ على ضعفِهم أَو جهالتِهم ينجبرُ بهم الضعفُ ، ويُقَوّي بعضُهم بعضًا .

ولِمَا سَبَقَ ذِكرُهُ مِن تصحيحِ عددٍ من العُلماءِ والأَئمّةِ (المُتَبَحِّرينَ) لهذا الحديثِ بعينِه ، فضلًا عن شواهِدِه التي سقتُها له.

أَمّا قولُهُ في حديث ابنِ أَبي العاص : « وباقي طرقِه فيها ضَعْفٌ شديدٌ » ! فإِنّي لم أَذكُر هنا بحمدِ اللهِ أَيًّا منها ، فهي خارجةٌ عن مجالِ البحثِ والنقدِ [٢] ، ولا يُهَوَّشُ بها على سِواها !

□ أَمّا حديثُ أُسامةَ بنِ زيدٍ؛ فقالَ فيه صاحبُ «الأُسطورةِ..» (ص ٨٨) : « وهو حديث منكرٌ جدًّا » !!

---

(١) وفي عبارته نفسِها ما (يُشعِر) بهذا ، لكنّه (قد) يكتب ما لا يَشْعُرُ !!

(٢) على أَنَّ وَصْفَهُ ضَعْفَها بأَنَّه : « .. شديدٌ » جارٍ على (عادتِهِ) في التعنّتِ (الشديد) في الجَرْحِ ، فتنبَّه !!

هكذا قال : ! مُهوّلًا الأَمرَ ، مُفَخِّمًا الحالَ ، وليس الواقعُ هكذا .. فإنَّ معاويةَ بين يحيى الصَّدَفيّ على ما فيه مِن ضَعفٍ ، فقد روىٰ هنا ما وافقَ فيه الثقاتِ ، فلا أَقلَّ مِن الاعتدادِ بهِ - على هذا النَّسَقِ - في الشواهدِ .

مِن أَجلِ ذا حَسَّنَ حديثَه الإمامُ (المُتَبَحِّرُ) الحافظُ ابنُ حَجَرٍ ، كما تقدَّمَ .

□ أَمّا حديثُ ابنِ عبّاسٍ ؛ فقد قالَ فيه صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٨٥) : « وفَرْقد السَّبْخيُّ مُنْكَرُ الحديثِ ، لا يُحْتَجُّ بهِ » !!

نعم ؛ ولكنْ على وَجْهِ الانفرادِ ، أَمّا في الشواهدِ والطرقِ والمتابعاتِ ، فالقولُ فيه بعكسِ ما ذَكَرَهُ صاحبُ « الأُسطورةِ » تمامًا ..

مِن أَجلِ ذا حسَّنَ حديثَه الحافظُ (المُتَبَحِّرُ) ابنُ كثيرٍ ، كما تقدَّم .

□ أَمّا حديثُ جابرٍ - رضي اللهُ عنه - فقد اعترفَ صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ٨٦) أَنَّ الكلامَ الذي قيلَ في راوِيهِ المُضَعَّفِ « ليس إلى حدِّ التركِ » ! كما قالَ [١] ..

فهو - إِذًا - على مذهبِه - مَقْبُولٌ في الشواهدِ والمتابعاتِ .

فلماذا لم يَعْتَدَّ بهِ ، وأَهْمَلَهُ ؟!

---

(١) بالرُّغمِ من تناقضِ هذا القولِ - ظاهرًا - مع ما قالَه (ص ٨٥) في الحديثِ نفسِه : « في حديثِه نكارةٌ ظاهرةٌ » !!

فمِن أينَ استخرجَ هذا الوصْفَ ؟ وكيفَ ثَبَّتَهُ ؟!

□ أمّا حديثُ غَيْلان - رضي اللهُ عنه - فلم يَقِفْ عليه ، لا هو ، ولا غيرُه مِمّن كتبَ في هذه المسألةِ - فيما علمتُ - !!

... بعدَ هذهِ الجَوْلَةِ العلميّةِ المُتأنِّيَةِ في طُرُقِ حديثِ يعلى بنِ مُرَّةَ ، وما سُقْتُهُ له من شواهدَ ومُتابعاتٍ ، لا يَسَعُ الباحثَ (المُنْصفَ) إلّا أن يُقِرَّ بثبوتِه ، دونما أوهامٍ يُورِدها عليه ، ومِن غيرِ شبهاتٍ يُسَرِّبُها إليه ...

وهذا ما دَفَعَ مُنْكِرًا آخَرَ للمسألةِ ذاتِها - أَقلَّ تعنُّتًا مِن هذا ، وأكثرُ إنصافًا منه - أَنْ يقولَ في كتابٍ باطلٍ له سمّاه « **استحالة دخولِ الجانِّ بَدَنَ الإنسان** » (ص ١٢٦) بعد ذِكْرِهِ شيئًا من طُرقِ الحديثِ ورواياتِه :

« .. وهذا الذي سُقْناه يُثْبِتُ أَنَّ للحديثِ أصلًا **بلا خلافٍ في ذلك** » !

هذا قولُهُ !!

لكنّه (شوَّشَ) هذا الإقرارَ البَيِّنَ بقولِه بَعْدَ ذلك :

« ولكنّ وجهَ اليقينِ هنا أَيضًا هو روايةُ القائلِ بالمعنى وليسَ بالنَّصِ ، وهذا الذي حدا مُحقِّقي الحديثِ إلى القولِ بأنّه مُقدَّمٌ فيه بعضُ الفقراتِ على بعضٍ ، واختلافٌ في بعضِ أَلفاظِه » .

أَقولُ : وهذه مُقدِّمةٌ يُمكن قبولُها [1] ، على اعتبارِ أَنَّ هذا التقديمَ أَو الاختلافَ قد يحصلُ في أَصحِّ الأَحاديثِ ، وأَثبتِ الرواياتِ ، دونَ أَنْ يكونَ

---

(١) على اعتبارِ التسليم بها ، وليس الأَمرُ كذلك بإطلاقِه ؛ فمن هُم (مُحقِّقو) الحديث المزعومون هؤلاءِ ؟!

لهذا الشيء أدنى تأثيرٍ على صحّةِ الحديثِ في أصلِه ، أو أقلَّ تشكيكٍ بدلالتِه أو حُكمِهِ .

لكنّه قالَ بَعْدُ (مُستنبطًا) ومُعطِّلًا ما سَبَقَ :

« وهذا يعني أنَّ لفظةَ : « اخْرُجْ » أو : « اِخْسَأْ » أو : « إنْ شِئتِ دعوتُ له » هي بالمعنى ، وليست بالنصِّ » !!

وهذه نتيجةٌ باطلةٌ ، مُركّبةٌ على تلكِ المقدمةِ الصحيحةِ ، فما شأنُ ذاكَ بهذا ؟! وما هو وَجْهُ الرَّبطِ بينَ هٰذينِ الأمرينِ ؟! وهل يُؤثِّرُ مثلُ ذاكَ الاختلافِ المحْتَمَلِ - لو سَلَّمْنا به - على الدلالةِ الصريحةِ لهذا الحديثِ ؟!

قال الأخُ الفاضلُ عبدالحميد هنداوي في رسالتِه اللطيفة « **الدليل والبرهان على دُخولِ الجانّ في بَدَنِ الإنسانِ** » (ص ٨) ردًّا على صاحبِ « الاستحالةِ » ، ونَقْدًا لكلامِه المتقدّمِ :

« .. وبذلكَ جعلَ ذلك الاختلافَ في اللفظِ مِن قبيلِ الاضطرابِ الذي يُرَدُّ به الحديثُ !! وليسَ الأمرُ كذلك ، وذلك لأَنَّ تَفْلَ النبيِّ ﷺ في جَوْفِ المريضِ في هذا الحديثِ ، وتوجيهَ الخِطابِ إلى الجنِّيِّ في جوفِه - بأيِّ لفظٍ كانَ - لَهُو أقوى دليلٍ على دخولِ الجنِّيِّ ، واستقرارِهِ في جوفِه .

فَضْلًا عن أنَّ لفظَ : « اِخْسَأْ » يعني الطردَ ، والزجرَ ، والإبعادَ ؛ كما تُبيِّنُهُ المعاجمُ ، وهذا يَدُلُّ على أنَّ الجنّيَّ إمّا مُستقرٌّ في جوفِه ، أو مُلازمٌ له مُقْتَرِنٌ به ، مماسٌّ له ، ولو من الخارجِ .

ومعلومٌ أَنّه لو كانَ الجنُّ خارجًا عنه ما كانَ النبيُّ ﷺ يتفلُ في جوفِ المريضِ ، بل كانَ يتفلُ حيثُ يستقرُّ الجنِّيُّ » .

وقال شيخُنا العلّامةُ الألبانيُّ في « السلسلة الصحيحة » (٢٩١٨) ردًّا على كلامِ صاحبِ « الاستحالةِ » أيضًا :

« لَقَد شكّكَ في دلالةِ الحديثِ على الدُّخولِ ؛ بإشارتِهِ إلى الخلافِ الواقعِ في الرواياتِ (!) ، ولكنْ ليس يخفى على طُلَّابِ هذا العلمِ المُخْلِصينَ أَنّه **ليس مِن العلمِ في شيءٍ أَن تُضْرَبَ الرواياتُ المختلفةُ بعضُها ببعضٍ** ، وإنّما علينا أَن نأخذَ منها ما اتفقَ عليه الأَكثرُ ، وإنَّ ممّا لا شكَّ فيه أَنَّ اللفظَ الأوّلَ : « اخْرُجْ » أَصحُّ مِن الآخر : « اِخْسَأْ » ؛ لأَنّه جاء في خمسِ رواياتٍ من الأَحاديثِ التي ساقَها ، واللفظُ الآخرُ جاءَ في روايتينِ منها فقط !

على أَنّي لا أَرى بينهما خلافًا كبيرًا في المعنى ، فكلاهما يُخاطَبُ بهما شَخْصٌ ؛ أَحدُهما صريحٌ في أَنَّ المخاطَبَ داخلَ المجنونِ ، والآخرُ يَدُلُّ عليه ضِمْنًا [١] .

وإنَّ ممّا يؤكِّدُ أَنَّ الأَوّلَ هو الأَصحُّ صراحةً حديثُ الترجمةِ [٢] ، الذي سيكونُ القاضي - بإذنِ اللهِ - على كتابِ « الاستحالةِ » المزعومةِ [٣] ، مع

---

(١) **هذا هُو الكلامُ العلميُّ الصَّريحُ الصحيحُ المُنضبط .**

(٢) يريد حديثَ ابنِ أَبي العاص .

(٣) وكذا « الأُسطورة » الموهومة . (ع) .

ما تقدّمَ مِن البيانِ أنّها مُجرَّدُ دعوىٰ في أمرٍ غيبيٍّ مُخالِفة للمنهجِ الذي سَبَقَ ذِكْرُهُ » .

ثمَّ قالَ حفظَه اللهُ ونَفَعَ به :

« ليسَ غَرَضي ممّا تقدَّمَ إلّا إثباتَ ما أَثْبَتَهُ الشرعُ من الأُمورِ الغيبيّةِ ، والردَّ على مَن يُنْكِرُها ، ولكنّي مِن جانبٍ آخرَ **أُنْكِرُ أشدَّ الإنكارِ على الذينَ يستغلُّونَ هذه العقيدةَ ، ويتَّخذونَ استحضارَ الجنِّ ومُخاطَبَتَهم مهنةً لمُعالجةِ المجانينَ والمُصابين بالصَّرْعِ ، وَيتَّخذونَ في ذلك منَ الوسائلِ التي تزيدُ على مُجرّدِ تلاوةِ القُرآنِ ممّا لم يُنزلِ اللهُ بِهِ سُلْطانًا ، كالضَّرْبِ الشديدِ الذي قد يترتّبُ عليه أَحيانًا قتلُ المُصابِ كما وَقَعَ هنا في عَمّان ، وفي مِصْرَ ، ممّا صارَ حديثَ الجرائدِ والمجالسِ .**

لقد كانَ الذين يتولَّوْنَ القراءةَ على المَصْروعينَ أفرادًا قليلين ، صالحين فيما مَضَىٰ ، فصاروا اليومَ بالمئاتِ، وفيهم بعضُ النِّسْوةِ المُتَبَرِّجاتِ ، فَخَرَجَ الأَمرُ عن كونِه وسيلةً شرعيّةً - لا يقومُ به [إلّا] الأَطبّاءُ عادةً - إلى أُمورٍ ووسائلَ أُخرى لا يعرفُها الشرعُ ولا الطبُّ معًا ، فهي - عندي - نوعٌ من الدجلِ والوساوسِ ... » .

أَقولُ :

بَعْدَ هذا الجوابِ الكافي ، والبيانِ الوافي ، والدواءِ الشافي : ماذا عسى المنكر أَن يقولَ ؟! وما يَسَعُهُ أَن يصنعَ ؟!

هل يستطيعُ أَن يتخلّى عن ثوبِ الشبهاتِ الذي أَلبسَهُ نفسَه ؟!

هل يستطيعُ أَن يتنازلَ عن موقعِه بينَ (النّاس) بتراجعِه عمّا ظَهَرَ له من الحقِّ ؟!

هل يستطيعُ أَن يكونَ صادقًا مع نفسِه ، ليس مُتَأَثِّرًا بالأجواءِ (المُحيطةِ) به ، حتّى يقولَ قولَةً يكونُ هو نفسُهُ مُقْتَنِعًا بها مُطمئنًا لها ؟!

هل يستطيعُ أَن يتركَ المشيَ وحيدًا ، ليلحقَ **بالرَّكبِ المبارَكِ مِن عُلماءِ أَهلِ السنّةِ** ؛ الذين (اتفقوا) [1] على هذه العقيدة الواضحةِ ؟!

---

(١) انظر ما سبق (ص ٦ و ٧٣ و ٧٩) .

ثمّ رأيتُ أَنَّ (الغزاليّ) يقول في كتابِه « السنّة النبويّة بين أَهل الفقه وأَهل الحديث » (ص ١١) : « وأُؤكّدُ أَوّلًا وأَخيرًا أَنّني مع **القافلةِ الكُبرى للإسلامِ** ، هذه القافلةُ التي يَحْدُوها الخُلَفاءُ الرّاشدون ، والأَئمّةُ المَتبوعون ، والعُلَماءُ الموثوقونَ ، خَلَفًا بعد سَلَف ، ولاحقًا يدعو لسابقٍ » .

ويقولُ - أَيضًا - في جريدة المسلمون العدد :٢٥١ / ص : ٨ : « أَنا مِن صميمِ الجماعةِ ، ولستُ صاحبَ مذهبٍ شاذٍّ » .

فيا تُرىٰ : مَنْ سَلَفُكَ أَيُّها (الغزاليّ) في هذه المسألةِ سوىٰ المعتزلةِ وأَشياعِهم ، أَو المتأثرين بهم ؟!

فأَينَ هي - إذن - هذه (القافلة الكبرى) المزعومة ؟! أَو (الجماعة) الموهومة ؟!

... وبعدَ كتابةِ ما تقدَّم ، وأَثناءَ تصحيحي لتجاربِ الكتابِ ، بَلَغَني وفاةُ الشيخ محمد الغزالي ، وذلك يوم السبت بتاريخ ١٩ / شوّال / ١٤١٦هـ ، فاللهَ أَسأَلُ أَنْ يعفُوَ عنه ، ويرحمَه ، ويغفرَ له .

هل يستطيعُ أَن يتخلّى عن الدعاوى العريضةِ ، والأَلفاظِ الكبيرةِ ؛ ليعترفَ - ولو مع نفسِه - بحقيقةِ المآلِ الذي انتهى إِليه في هذه المسأَلةِ ، فَضْلًا عن سواها مِمّا شابَهَها ؟!

هل يملكُ المُنكِرُ المُخالفُ الشجاعةَ الأَدبيّةَ والأَخلاقَ الدينيّةَ التي تُمكِّنُهُ - بعدَ ظُهورِ الحقِّ ناصعًا أَبْلَجَ - مِن أَن يقلبَ ما وصَفَهُ بـ (الاستحالةِ) (!) مُمكنًا ، وأَن يعكسَ ما وَصَفَه بـ (الأُسطورةِ) (!) حقيقةً ؟!!

أَرجو - مُخلِصًا - من صميمِ قَلْبي ذلك ...

والنبيُّ ﷺ يقولُ : « **لا يؤمنُ أَحدُكم حتّى يحبَّ لأَخيهِ ما يحبُّ لنفسِه** [١] » .

مُذَكِّرًا نَفْسي - والصادقينَ مِن أَهلِ العلمِ وطُلّابِه - بقولِ النبيِّ ﷺ : « **أَبْغَضُ الرِّجالِ إِلى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ** » [٢] .

فـ (الأَلَدُّ) : « الشديدُ الجدالِ » [٣] .

و (الخَصِم) : هو « الدائمُ في الخُصومة » [٤] .

---

(١) رواه البخاريُّ (١٣) ومسلم (٤٥) .

(٢) رواه البخاريّ (٢٤٥٧) و (٤٥٢٣) و (٤١٧٨) ومُسلم (٢٦٦٨) عن عائشةَ رضي اللهُ عنها .

(٣) « فتح الباري » (٥ / ١٠٦) .

(٤) كما هو تبويبُ الإمام البُخاري في « صحيحه » (١٣ / ١٨ - فتح) .

... وإنّما صار هذا بغيضًا « لأنّه إذا احتُجَّ عليهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ في جانبٍ آخَرَ [١] » لجَاجةً ، ومُماراة .

نسألُ اللهَ المُعافاة ..

وصدقَ رسولُ اللهِ ﷺ القائلُ : « ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدىً كانوا عليه إلّا أُوتوا الجدلَ » [٢] ..

.. فَلْيُسلِّمْ مَن اقتنع ، ولْيَدْعُ ربَّه مَنِ امتنع ، ولْيَحْمدِ اللهَ مَن إلى الحقِّ رَجع ...

وأَمّا مَنْ لجَّ في خصومتِهِ وابتدع ، فالإعراضُ عنه هو الدَّواءُ الذي نجع ..

□ □ □ □ □

---

(١) « شرح مُسلم » (٦ / ١٦٧) للنووي .

(٢) رواه أَحمدُ (٥ / ٢٤٩) والترمذيّ (٣٢٥٣) وابنُ ماجه (٤٨) عن أَبي أُمامةَ بسندٍ صحّحهُ شيخُنا الأَلبانيّ حفظه اللهُ في تعليقِه على « المِشكاة » (١٨٠) .



١٢ - وقفة خِتاميَّة
مع « الأُسطورة ... » ومُسَوِّدِها !!

... إنَّ مجالَ النقد لكتابِ « الأُسطورة » واسعٌ ، بل واسعٌ جدًّا [١] ؛ إذ فيه من الأَخطاءِ والأَغلاطِ الشيءُ الكَثيرُ ، لكنّي سأَكتفي بما سَبَقَ ، مُنبِّهًا - هُنا - على عدّةِ ملاحظاتٍ ، بعضُها كُلِّيٌّ :

أَوَّلًا : عنوانُ كتابِه كاملًا هو « **الأُسطورة** [٢] **الّتي هَوَتْ : عَلَاقةُ الجانّ بالإنسان** » ، وهو - إضافةً إلى ما يَحمِلُهُ مِن إثارةٍ وتَهْويشٍ فارِغَيْنِ - يُشيرُ إلى قضيّةٍ **خطيرةٍ جدًّا جدًّا** ، فهو بعنوانِه - الذي لا أَدري إذا عَنَىٰ به كاتِبُهُ ما كتبَه أَم لم يَعْنِ ! - يهدمُ أُصولًا قُرآنيّةً وسُنِّيَّةً مُتنوّعةً ، فيها بيانُ علاقةٍ بل عَلَاقاتٍ بينَ الجانِّ والإنسانِ ، وعلى صُوَرٍ عدّةٍ ، ووجوهٍ مُتعدِّدةٍ ، ولا أَدلَّ على ذلك من سورةِ الجنِّ كاملةً ، وآياتٍ أُخرى كثيرةٍ فيها إثباتُ تلكَ العلاقةِ الّتي نفاها الكاتبُ « الأُسطوريُّ » !!

فلستُ أَدري ؟! هل عنى ما كَتَبَ ؟! أَم كَتَبَ ما لم يَعْنِ ؟!

---

(١) رغم أَنَّ قسمًا كبيرًا من الكتابِ مقدّماتٌ ونُقولاتٌ عن جرائدَ ومجلّات !!

(٢) وقد سَبَقَ (ص ٦) معنى الأُسطورة ؛ لُغَةً واصطلاحًا !!

إنْ كانت الأُولى : فالأَمرُ مَهُولٌ جدًّا ، **فيه كفرٌ ورِدَّةٌ ، عِياذًا باللهِ تعالى !!**

وإنْ كانت الثانية : فقد خاضَ اللُّجّةَ مَنْ لا يُحْسِنُ العَوْمَ !!

... إن كنتُ لا تدري فتلك مُصيبةٌ

أَو كنتَ تدري فالمصيبةُ أَعظمُ

ثانيًا : ادَّعى الكاتبُ (ص ٥١ - ٥٢) أَنَّ الدكتور عمر سُلَيمان الأَشقر حفظه اللهُ قد نقلَ في كتابِه « عالم الجنّ والملائكة » (كذا) نُقولًا عن بعضِ أَطبّاءِ الغَرْبِ في مسألةِ الصَّرْعِ ! وأَنَّه - بَعْدُ - طَبَعَ كتابَه مرّةً أُخرى (!) وجَعَلَهُ كتابين (!) فسمّاهما « عالم الجنّ والشياطين » و « عالم الملائكة الأَبرار » فَحَذَفَ ساعتئذٍ ما أَثبتَ سابقًا من نقلِهِ عن أَطبّاءِ الغربِ أُولئكَ !

قال : « وكأنَّه أَدركَ أَنَّ النقلَ غيرُ علميٍّ أَو .. !! » .

كذا قال !! وهذا كلُّهُ كلامٌ غيرُ صحيحٍ ، ولا أَساسَ له ، وإنِّي على علمٍ تامٍّ ببطلانِ هذه الدعوىٰ ، وأَنَّها قائمةٌ على جُرأةٍ وعَدَمِ تأَنٍّ !! فليسَ ثمَّت إعادةُ تأليفٍ ، أَو حذفٌ ، أَو شيءٌ مِن ذلك !!

ولزيادةِ (التأكُّدِ) راجعتُ فضيلةَ الدكتور الأَشقر - حفظه اللهُ - واستفسرتُ منه ، فنفى ذلك ، واستغربَه استغرابًا شديدًا !!

.. ثمَّ وَقَعَ في قَلْبي تفسيرُ وَجْهِ غَلَطِ الكاتبِ المذكور في ادِّعائِه الباطل

على الدكتور الأَشقر ، فأَقولُ :

لقد رأى في بعضِ الكُتُبِ نُقولًا عن كتابٍ اسمُهُ « عالم الجنِّ والملائكة » ، ولم يُكَلِّفْ نفسَه عناءَ البحثِ عن مُؤلِّفِهِ ، ومعرفةِ مُصَنِّفِهِ ! ولمّا كانَ كتابا الدكتور الأَشقر « عالم الجنّ والشياطين » و « عالم الملائكة الأَبرار » مِن أَحسنِ الكتبِ المصنّفةِ في هذا البابِ ، ومن أَكثر ما يرجعُ إِليه المؤلِّفون والكُتَّابُ : توهَّمَ (!) أَنَّ كتابَ « عالم الجنِّ والملائكة » للدكتور الأَشقر [1] !!!

ثمَّ (اخترعَ) - وهُنا موضعُ العَجَبِ - مِن وهمِهِ هذا أَنَّ الدكتور جَعَلَ مِن كتابِه كتابَين (!) وأَنَّه تراجعَ عن بعضِ ما كَتَبَ (!) إِلى آخرِ هذا الكلامِ الفارغ ، الذي لا خِطامَ له ولا زِمام !!!

ويعرفُ طُلَّابُ العلمِ (المُراجِعون) أَنَّ كتاب « عالم الجنِّ والملائكة » هو من تأليف الدكتور عبدالرزاق نوفل ، وهو مطبوع منذ نحو ربعِ قرنٍ !

وإِذ ثَبَتَ بُطلانُ دعواه هذه ، وأَنَّ النقولَ باقيةٌ في الكتابِ الأَصلِ ، فهل يَعُدُّها - إِذن - نقولًا علميّةً مُنضبطةً ؟! أَم (سيخترعُ) أُسلوبًا آخرَ لردِّها ؟!

ثالثًا : نَقَلَ كاتبُ « الأُسطورةِ » (ص ٩٥) - مُقَلِّدًا غيرَ (مُتَحقِّقٍ) -

---

(١) وهُناك مسألةٌ أُخرى في كتاب « الأُسطورة » متعلّقة بالدكتور الأَشقر ، وهي - أَيضًا - لا أَصلَ لها ، أَكتفي (الآن) حولَها بهذه الإِشارةِ !!

عن بعضِ الكُتُبِ سَنَدًا مِن كتاب « **عُقدة المجانين** »[١] « مِن طريق ابن أَبي الدنيا ، قال : حدّثنا الحُسينُ ابن عبدالرحمٰن ، قال : لقيتُ بمنىً مجنونًا مصروعًا .. » ، وفيه قولُه : « .. إن كنتم يهودًا **فبحقِّ موسى .. فبحقِّ عيسى .. فبحقِّ محمّد** .. » !!

ثمَّ أَعلَّ (سَنَدَ) القصّة بعَدَمِ وقوفِه على ترجمةِ الحسين بن عبدالرحمٰن شيخ ابنِ أَبي الدنيا !!

وهنا تعليقات :

الأَوّل : الاسمُ الصحيحُ للكتابِ المنقولِ عنه « **عُقلاء المجانين** » وهو للعلّامة الأَديب ابن حبيبٍ ، المتوفّى سنة (٤٠٦هـ)، وهو مطبوعٌ عدّةَ مرّاتٍ ، أَوّلها سنة (١٣٤٣هـ) ، وثانيها سنة (١٣٨٧هـ) ، وآخرها سنة (١٤٠٧هـ) !!

فليس اسمُه - إذن - « **عُقدة** المجانين » ! بل « عُقلاء المجانين »[٢] ..

الثاني : أَنَّ شيخَ ابنِ أَبي الدنيا - الحُسين بنَ عبدالرحمن - مُتَرْجَمٌ في « تاريخ جُرجان »[٣] (رقم : ٢٧٧) وقد رَوَى عنه جماعةٌ مِن كبارِ

---

(١) وسمّاه بهذا الاسمِ - أَيضًا - في « فهرسه » (ص ١٩٦) !!
فأَينَ هي (العُقدة) ؟!
وانظر - **للطرافة** - ما سبق (ص ١٠١) !

(٢) (فائدة) : هُناك كتابٌ آخرُ عنوانُهُ « **مجانين العُقلاء** » (!) لابن الهَبّاريّة المتوفّى سنة (٥٠٩هـ) كما في « تاريخ الإسلام » (٣٥ / ٢٣١) للحافظ الذهبيّ .

(٣) وهو مطبوعٌ منذ نحوِ نصفِ قَرْنٍ ! فأَينَ دعاوى التتبُّعِ والاستقراءِ ؟!

الحفّاظ ، وهو نَفْسُهُ صاحبُ القصّةِ .

الثالث : أنّه لم يُنبّهْ على خطأٍ عقائديٍّ (ظاهر) في متنِ هذه القصّة ، وهو السؤالُ ببعضِ المخلوقاتِ ، وهذا ما لا يَجوزُ قولُه ، ولا يجوزُ السكوتُ عنه ، والنبيُّ ﷺ يقول :

« مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد أَشركَ » [١] .

ثمَّ نَقَلَ - بَعْدُ - بواسطةِ « لَقط المرجان » خَبَرًا عن جنيٍّ تلبّسَ واحدًا من المعتزلة (!) فعقّبَ بقولِه : « ولم يذكر إسنادَه .. » !

أَقولُ : هو مرويٌّ بالسندِ في « عُقلاء المجانين » أَيضًا (برقم : ٨١) !!

رابعًا : قال (ص ٥٢) : « فعلينا إِذًا أَنْ لا نَقَعَ في مثلِ ما وَقَعَ فيه كثيرونَ في عالمِ الكتبِ ، إِذ ينسِبونَ أَشياءَ وأَبحاثًا إِلى رجالٍ ما علموها ، ولا بحثوها أَصلًا » !!

مع أَنَّه نَقَلَ في آخرِ كتابِهِ - على التوالي - نحوَ أَربعينَ صفحةً (تكثُّرًا) مِن جرائدَ ومجلّاتٍ ، وعن أَشخاصٍ (مجاهيلَ) لا يُعْرفونَ ؛ فتارةً ينقلُ عن (مجلّة روز اليوسف !!) ، وتارةً أُخرى عن (مجلّة أَخبار الحوادث) ، وطَورًا عن مهندس (!) ، وطورًا آخر عن صديقٍ (!!) .

---

(١) رواه أَحمد (٢ / ١٢٥) ، والترمذيّ (١٥٣٥) ، وأَبو داود (٣٢٥١) ، وابن حبّان (٤٣٥٨) ، والحاكم (٤ / ٢٩٧) عن ابن عُمر بسند صحيح .

وهكذا !!

فلماذا وَقَعَ بما حذَّرَ منه ، وبصورةٍ أَشدَّ وأَنْكى ؟!

خامسًا : نَقَلَ صاحبُ « الأُسطورة » (ص ٥٨) عن الجُبَّائيّ - تعليلًا لإنكارِ التلبُّسِ والمسّ - قولَه : « الشيطانُ إمّا أَنْ يُقالَ : إنّه كثيفُ الجسمِ ! أَو يُقال : إنّه من الأَجسامِ اللطيفةِ ! فإنْ كانَ الأَوَّلَ وَجَبَ أَنْ يُرى ويُشاهدَ ... ولأَنَّه لو كانَ جسمًا كثيفًا فكيفَ يمكنُهُ أَنْ يدخلَ في باطنِ بَدَنِ الإِنسانِ ، وأَمّا إنْ كانَ جسمًا لطيفًا كالهواءِ ؛ فمثلُ هذا يمتنعُ أَنْ يكونَ فيه صلابةٌ وقوّةٌ ، فيمتنعُ أَنْ يكونَ قادرًا على أَنْ يصرعَ الإِنسانَ ويقتلَه » !!

والكلامُ نفسُه موجودٌ عندَ الفخرِ الرّازيّ في « تفسيره » (٧ / ٨٥) !!

أقول : وهذا كلامٌ واهٍ جدًّا ، فكونُ الجنِّ لطيفًا أَصلٌ مُتَّفَقٌ عليه بينَ المُنكِرِ والمُثبتِ ، فبقي الخلافُ في : هل لطافَتُهُ تمنعُ من صَرْعِهِ الإِنسيَّ ؟

والخروجُ من هذا الخلافِ - عندَ مُبْتَغي الحقِّ وطالِبيهِ - سَهْلٌ يسيرٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، فنقولُ :

« إنَّ دِقَّةَ تركيبِ الدِّماغِ والجهازِ العصبيِّ تجعلُ من السَّهلِ على هذا الدَّخيلِ إلى الجسمِ أَنْ يُحدِثَ الخلَلَ اليسيرَ الذي ينتجُ منه الصَّرْعُ .

بل ما أَسهلَ إحداثَ هذا الخللِ في الدَّورةِ الدَّمويّةِ ، أَو الجهازِ التنفسيِّ ، أَو الهضميِّ ، أَو غير ذلك ! » [1] .

---

(١) ما بينَ الأَقواسِ رَدٌّ أَنقلُهُ من قَلَمِ بعضِ إخواننا الطَّلَبةِ ، جزاه اللهُ خيرًا .

وأَقولُ أَيضًا : إنَّ المعتزلةَ (وأَشياعَهم) أَعداءٌ لما يجهلون !! وخصماءُ لما لا يعقلون !! فلأَنَّهم (قديمًا) ما كانوا يعرفونَ ممّا يؤذي سوى القوّةِ البدنيّةِ والمحسوساتِ ! فامْتَنَعَ في (عقولِهم) [1] إيذاءُ الجنِّ للإنسيِّ ، فضلًا عن صَرْعِهم له !!!

ولو (عَرَفَ) أُولئكَ المعتزلةُ (القُدماءُ) وجودَ جراثيمَ فتّاكة ، وفيروسات قاتلة ، وميكروبات مؤذية ، لاقتنعوا بأَنَّ القوَّةَ البدنيّةَ ليستِ هي وحدَها الكفيلةَ بالإِيذاءِ والقُدرةِ على الصَّرْعِ ؟!!

ولئنْ خَفِيَ هذا على المعتزلةِ (القُدماءِ) وجهلوه .. فأَنكروا التلبُّسَ والمسَّ لجهلِهم به ! فما بالُ أَفراخِهم من (العقلانيّين) الجُدُدِ يَعْرِفونَ ويَحْرِفون ؟!

فلا للعلمِ اتَّبعوا ! ولا وراءَ العقلِ ساروا !! ولا للسنّةِ سلَّموا !!!

سادسًا : كانَ مِنْ ضِمْنِ (شُبهاتِ) صاحبِ « الأُسطورة » (ص ١٠٢) قولُهُ في الجنِّ أَنّهم : « لا تُؤثِّرُ فيهم الماديّاتُ ، كما هو معروفٌ بالنَّظرِ ! ومجمل النُّصوصِ القرآنيّةِ والحديثيّةِ ... » !!

وهذا من عجيبِ الحكمِ والتحكُّمِ !!!

« فأَيُّ نَظَرٍ هذا ؟! وأَينَ كانَ معروفًا ؟! ولمن كانَ معروفًا ؟!

---

(١) ورحم اللهُ الإمامَ ابنَ القيِّم القائلَ :

فعلى عقولِكُمُ العَفاءُ فإنّكم عـاديتمُ المعقولَ والمنقولا

كما في « الصَّواعق المُرسلة » (٣ / ٩٧٥) .

فنحنُ لمّا قُلنا : « يؤذيهم أَحيانًا » ، أَو : « قد يُؤذيهم » ؛ فاستنادًا لأُصولٍ أَصيلةٍ ، علميّةٍ وطبيّةٍ ، قالَ بها جماهيرُ أَئمّةِ الهُدى ، وأَنتَ : فما استنادُكَ في قاعدةٍ عريضةٍ ، هي (المادّياتِ) ؟! وهي تشملُ حوادثَ السياراتِ ، والقطاراتِ ، والطائراتِ ، وتشملُ الانفجاراتِ ، ودمارَ الحُروبِ ، وإِصاباتِها ، أَكُلُّ هذا لا يؤذيهم ؟! لقد تجاوزتَ كثيرًا يا هذا » (١) !!

وأَمّا نصوصُ القرآنِ والسنّةِ المدّعاةُ في كلامِهِ : فهي ظنّيّةٌ مرجوحةٌ جدًّا ؛ كما نبّهتُ عليهِ مرارًا ...

سابعًا : تكلَّمَ صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ١٠٨) في قضيّةِ الضَّرب (٢) !! و (تحدّى) أَنْ يضربَ هو مثلَ ضربِ ابنِ تيميّة !!

فأَقولُ : هذا من أَعجبِ العجبِ ! فإِنَّ (التحدِّيَ) - عادةً - لا بدَّ له من ثمرةٍ ؛ هي إِمّا الرّدُّ والتكذيبُ ، أَو القناعةُ والتصديقُ !!

فهل إِذا ضربتَ بنفسِكَ اقتنعتَ وصدّقتَ ؟! وإِذا نُقلَ لكَ النقلُ الصحيحُ الصَّادقُ المُحقَّقُ عن شيخِ الإِسلامِ ابن تيميّة - أَو غيرِه من الثقاتِ - كذّبتَ ورفضتَ ؟!

ثامنًا : كانَ من ضمنِ ما قالَه الشيخُ علي بن مُشْرِفٍ العَمْريُّ ردًّا لدلالةِ حديثِ « إِنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ » - فيما نَقَلَه صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ١٧٣) ! - قولُه :

---

(١) انظر التعليق قبل السابق .

(٢) ولَسْنا قائلين به !!

« لَو سلَّمْنا جَدَلًا بأنَّه جَرَيانٌ حِسِّيٌّ فهو خاصٌّ بـ (المُوَسوسِ) » لأَنَّ الرَّسولَ ﷺ قالَه في الوسوسة » !!

فأَقولُ : هذا تناقضٌ مَحضٌ مِنْ جهةٍ ، وإقرارٌ بأَصلِ المسِّ والتلبُّسِ من جهةٍ أُخرى :

أَمّا أَنَّه تناقُضٌ ؛ فلأَنَّه يتضمَّنُ إثباتَ المَسِّ (الحقيقي) في حالةٍ ما ، بينما الظاهرُ مِن نَفْيِهِ المنقولِ عنه عمومُ الإنكارِ ..

وأَمّا أَنَّه إقرارٌ ؛ فإنَّ التلبُّسَ والمسَّ الحِسّيَّ يثبتُ (عندَه) في المُوسوسِ ؛ وعليه ؛ فكلُّ مَن يتعرَّضُ لوسوسةٍ - ولو للحظةٍ - كانَ دخولُ الشيطانِ - حقيقةً - في بدنِهِ ، وجَريانُهُ - حِسًّا - في جسمِهِ : قابلًا لذلكَ غيرَ مُنْكَرٍ .. وهو ما نُريدُ - ابتداءً وانتهاءً - الوصولَ إليه ..

ومَنْ ذا ناجٍ من الوسوسةِ ، أَو الاستعدادِ لها ، وقَبُولِها ؛ منَ البشرِ كائنًا مَنْ كانَ ؟!

□ □ □ □ □

١٣ - نَظَرات

في آراءِ الشيخ علي مُشرف العَمْري (١)

.. لم أُتابعْ جميعَ ما نَشَرَتْهُ الصُّحُفُ مِن أَقوالِ الشيخِ علي مُشرِف العَمْري في إِنكارِه (الجديد) لتلبُّسِ الجنّيِّ بالإِنسيِّ !! لكنّي علمتُ فحواها ، وعرفتُ مُجْمَلَها ، ووقفتُ على عددٍ منها ..

وحتّى لا أُخْلِيَ كتابي هذا مِن نُبذةٍ مُفيدةٍ في مناقشتِهِ - وفّقه الله للخير - فيما ذَهَبَ إليه ، أَحببتُ ذِكْرَ شيءٍ مِن اعتراضاتِه وردودِه .

وقبلَ ذلكَ أَقولُ :

كنتُ قد اطَّلَعتُ قبل أَقلَّ مِن سنتينِ على مقابلةٍ أَجراها بعضُ الكُتَّابِ مع الشيخِ علي مشرف العَمْري في مجلّة (اليمامة) السعوديّة / العدد ١٢٨١ - من (صفحة : ٨) إلى (صفحة : ١٢) ، بتاريخ ٤ جُمادى الآخرة سنة (١٤١٤هـ) ، وكانَ مِن ضِمْنِ ما قالَه في هذه المقابَلَةِ :

« لَمَّا دَرستُ كُتُبَ الطبِّ النفسيِّ ، وطَبَّقتُ الحالةَ النفسيّةَ على أَمراضٍ ، وجدتُ أَنَّ أَكثَرَها حالاتٌ نفسيّةٌ .. » .

---

(١) وهو من أهل العلمِ السعوديِّين الذي مضى عليهم عدّةُ سنواتٍ في مُعالجةِ حالاتِ المسِّ والصَّرْعِ ! سدّده اللهُ للصوابِ .

ثمَّ قالَ - بَعْدُ - :

« قرأتُ كتبَ الطبِّ النفسيّ ، وجمعتُ ما كُتبَ عن الأَمراضِ النفسيّةِ ؛ فوجدتُ أَنَّ الحالاتِ التي تسقطُ أَمامي **أَكثرُها** حالاتٌ نفسيّةٌ .. » .

ثمَّ قالَ :

« وعرفتُ أَنَّ جميعَ الأَمراضِ التي تُراجعني ليست جِنًّا كما كنتُ أَتصوّرُ ، وكما يتصوّرُها الناسُ اليومَ ، وإنّما هي أَمراضٌ نفسيّةٌ تمامًا ، **وأَنَّ الجنَّ نادرٌ ، بل أَندرُ من النادرِ** [1] » .

ثمَّ قالَ مُخاطبًا مَن قابَلَهُ :

« أَمّا قولُكَ بأَنّي أُنكِرُ تلبُّسَ الجنِّ للإِنسانِ ! **فهذا ليس بصحيح** ، لأَنَّ الشيطانَ - وهو مِن الجنّ - يمسُّ الإِنسانَ ، وقد جاءت أَربعةُ نصوصٍ تدلُّ على ذلك .. » .

ثمَّ ذَكَرَها ..

وهذا الذي تقدّمَ عن الشيخِ العَمْري يلتقي تمامًا مع ما نَقَلَهُ صاحبُ « الأُسطورةِ » (ص ١٠٦) مِن قَولٍ - مع أَنَّه يَنْسِفُ كتابَه من أَصلِه - عن بعضِ المُعالجين على وَجهِ الثقةِ عندَه مِن أَنَّ : « أَكثر من ٩٥٪ بل ٩٩٪ من

---

(١) وقد ذكر مثلَ هذا القولِ في « جريدة المسلمون » العدد / ٤٦٠ .

هذه الحالاتِ (١) ، والَّتي يتكلّمُ فيها الجِنّيُّ على لسانِهِ (٢) حالاتٌ نفسيّةٌ ، لا علاقةَ لها بالجنِّ مِن قريبٍ أو بعيدٍ » .

فأَقولُ : هذا كلُّهُ قريبٌ مُحْتَمَلٌ ، وهو علميٌّ التصوُّر ، علميُّ الحالِ ، إِذْ هُو يُقَرِّرُ أُمورًا :

الأَوّل : ثبوتُ التلبُّسِ والصَّرْعِ .

الثاني : أَنَّ كثيرًا من حالاتِ الناسِ نفسيّةٌ .

الثالث : أَنَّ القلّةَ مِن ذلكَ هي صَرْعٌ حقيقيٌّ .

وهذا أَمرٌ لا نُكثرُ القولَ فيه ، أَو مناقشتَه ، لأَنَّ الأَمرَ فيه لا يَخْرُجُ عن قاعدةِ العلمِ ، ولا يتعدّى نَهجَ أَهلِ السنّةِ .

فَلْنَرْجِعْ للبحثِ والمُناقشةِ ..

---

(١) وذكر مثلَ ذلك (ص ١٠٢) عن بعضِ المعالجين ، إِلّا أَنّه عقَّبَ (!) بقولِه : « ولا أَدري ما هذه النسبةُ التي بقيت إِنْ كانت تُشَكِّلُ ١٪ أَو أقلّ ، **لعلَّ** لها مَخرجًا لم يُدركْه صاحبُنا » !!

أَقولُ : فهل أَدركتَه أَنتَ ؟! وهل أَدرَكَه - أَيضًا - الأَطباءُ المُنكرون ؟! أَمْ أَنَّ ذلكَ أَمرٌ فوقَ هذا كلِّه لا يُدركُهُ إِلّا المُسْتَشْلِمون لنصوصِ الشرع ؟!

لِذا أَقولُ : **اجْعَلْ (لعلَّ) عند ذاك الكوكبِ ..**

(٢) سَبَقَ بيانُ ما نعتقدُهُ في هذه المسألةِ (ص ٥١) .

أَقولُ :

إنَّ إنكارَ الشيخِ العَمْريّ وما أَعْقَبَهُ - مِنه - من اعتراضاتٍ [(١)] إنّما (تَبَلْوَرَتْ) وظَهَرَت ، و (نَضَجَت) بعد قراءتِه - كما اعترفَ هو ! - في كُتُبِ علمِ النَّفْسِ ، وهو عِلْمٌ تَجْرِيبيٌّ قائمٌ على نظريّاتٍ أَسَّسَها مجموعةٌ مِن الكفّارِ ؛ يهودًا أَو نصارى أو غيرَهم ، وعنهم تَلَقَّى هذا العلمَ من كَتَبَ فيه من المُسلمين .

لذا ؛ فإنَّ تفسيراتِ أُولئكَ (النَّفسانيِّين) لكثيرٍ من الأُمورِ الغائبةِ عنهم إنّما تكونُ صادرةً مِن مُنْطَلَقِ انْعِدام الصِّفَة الأُولى مِن صفاتِ المؤمنين فيهم ، وعَدَمِ التزامِهم بمقتضياتِها ، أَلَا وهي الإيمانُ بالغيبِ؛ كما قالَ اللهُ سبحانَه: ﴿ الم . ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه هُدىً للمُتَّقين . **الذينَ يُؤمنونَ بالغيبِ..** ﴾.

فَعِلْمُ النَّفْسِ إذنْ - « علمٌ محدودٌ ، وليس علمًا مُطْلَقًا ، وهذه حقيقةٌ يُقِرُّها ويؤكّدها العلمُ » [(٢)] ، وذلك لأَنَّه « علمٌ حديثٌ نسبيًّا » [(٣)] .

---

(١) وهي منقولةٌ من جريدة « المسلمون » العدد (٥٤٨) ، وقد أَوردها صاحبُ « الأسطورة » (ص ١٧١ - ١٩٠) !

(٢) « الإسلام والعلاج النفسيّ الحديث » (ص ٥٧) للدكتور عبدالرحمٰن العيسويّ .

(٣) « العلومُ الطبيعيّة والاجتماعيّة من وجهةِ النظر الإسلاميّة » (ص ٧٩) للدكتور إسماعيل الفاروقي ، و « علم النفس في التصوُّرِ الإسلاميّ » (ص ٩ - ١٠) للدكتور عبدالحميد الهاشميّ .

وانظر « مَعْلَمة الإِسلام » (١ / ٣١٧) للدكتور أنور الجندي .

أَقولُ هذا بالجُملةِ ؛ **وإلّا فإِنَّ جوانبَ مُتَعَدِّدَةً مِن علمِ النَّفسِ لا تُعارضُ الشرعَ ، ولا تُخالفُهُ .**

ومجالُ التفصيلِ في هذا المقامِ ليس ها هُنا ..

أَمّا الاعتراضاتُ (العلميّةُ) التفصيليّةُ الّتي نُقِلَتْ عنه عَقِبَ إِنكارِه أَصلَ المسألةِ ، فهي :

أَوّلًا : قال : « أَمّا الذين يَرَوْنَ تلبُّسَ الجنِّ بالإِنسيِّ فَما عندَهم ولا دليلٌ واحدٌ ، وكلُّ الأَحاديثِ الّتي ذَكروها مُنكرةٌ وضعيفةٌ » !!

أَقول : قد بيَّنتُ خَلَلَ هذه الدعوى - وللهِ الحمدُ - فيما تقدَّمَ ، وذلك من وجهينِ :

أ - إِثباتُ أَكثرَ من دليلٍ ، مع بيانِ صحّتِه على المسألةِ المبحوثةِ .

ب - الردّ على وَهَمِ نكارةِ الأَحاديثِ الواردةِ في المسألةِ وضَعْفِها ، مع النقلِ عن أَئمّةِ الحديثِ في تأْكيدِ ذلك .

ثانيًا : ضَعَّفَ حديثَ يَعْلَىٰ بن مُرَّةَ ، ذاكرًا أَنَّ له ثلاثةَ طُرُقٍ [1] في « مسندِ أَحمدَ » كلُّها ضعيفةٌ !!

وقد بيَّنْتُ (ص ١٥٩ - ١٦١) - وللهِ الفَضْلُ أَوّلًا وآخرًا - أَنَّ الحديثَ حَسَنٌ بمجموعِ طُرُقِه ، وأَنَّ له شواهدَ عدّةً - كما في (ص ١٦٢ -

---

(١) وليس الأَمرُ كذلك !! فانظر « أَطراف المسند » (٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧) للحافظ ابن حجر .

١٦٦) - تَزيدُهُ صحّةً ، وتزيدُهُ ثبوتًا ، مُؤكِّدًا ذلك بالنقلِ عن العُلماءِ [١] (المُتَبَحِّرين) تحسينَهم - أَو تصحيحَهم - له .

ثالثًا : قال - أَيضًا - في حديثِ يعلى : « وفي هذا الحديثِ اضطرابٌ في المَتْنِ [٢] ممّا يَدُلُّ على ضعفِه » !

أَقولُ : إِنَّ التعريفَ العلميَّ للمضطربِ لا ينطبقُ بأيِّ وجهٍ على حديثِ يعلى هذا ، إِذ إِنَّ « المضطربَ هو الذي يُروىٰ على أَوجهٍ مختلفةٍ متفاوتةٍ ، فإِنْ ترجَّحَتْ إِحدى الروايتينِ ، بحيثُ لا تُقاومُها الأُخرى لكونِ راويها أَحفظَ أَو أَكثرَ صحبةً للمرويِّ عنه ، أَو غيره من وجوهِ الترجيحِ المُعتمَدة [٣] ؛ فالحكمُ للرّاجحِ ، ولا يُطْلَقُ عليه حينئذٍ وصفُ المُضْطرِبِ ، ولا له حُكْمُهُ » ، كما قالَ النوويُّ في « إِرشادِ طُلّابِ الحقائقِ » (١ / ٢٤٩) .

وقالَ الحافظُ ابنُ حَجَر في « الإِصابة » (٣ / ٥٧٨ - ترجمة نَوْفَل بن فَرْوَةَ) : « وشرطُ الاضطرابِ أَنْ تتساوىٰ الوجوهُ في الاختلافِ ، وأَمّا إِذا تفاوتت فالحُكْمُ للرّاجحِ بلا خلافٍ » .

فأينَ وجوهُ الاضطرابِ في ذاك الحديثِ ؟!

---

(١) وبخاصّةٍ - هنا - أَنَّ الشيخَ العَمْريَّ - سدّده الله - مِمّن يَعْتَدُّونَ (بالعُلماءِ) ويحترمونَ أَقوالَهم ، وليس (كمن) **يرفُضُهم ، ولا يَرْفَعُ لهم رأسًا** ؟!

(٢) انظر (ص ١٦٧ - ١٧٠) في بيانِ شرحِ متن حديث يعلى ومعناه .

(٣) انظر « توضيح الأَفكار » (٢ / ٣٨) للصنعانيِّ .

وفي « هَدْي الساري » (ص ٣٤٧ ، ٣٦٨) و« فتح الباري » (٣ / ٤٤٧) فوائد مهمّة حول المُضطرب .

وكيفَ ظَهَرَتْ لِمُدَّعيها ؟!

وهل كلُّها في دَرَجةٍ واحدةٍ من التفاوتِ ؟!

وهل لا يُمكنُ الترجيحُ بَيْنها ؟!

ثمَّ إنّي أَذكُرُ - زيادةً على ما سَبَقَ - فائدتين :

الأُولى : قال الحافظُ السخاويُّ في « فتح المغيث » (١ / ٢٧٩) :

« **قَلَّ أَن يُوْجَدَ مثالٌ سالمٌ لمضطرب المتنِ** » .

الثانية : قالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في « النُّكَتِ على ابنِ الصلاحِ » (٢ / ٧٩١) :

« **إذا اختلفت مخارجُ الحديث ، وتباعَدَتْ أَلفاظُهُ ، أَو كانَ سياقُ الحديثِ واقعةً يظهرُ تعدُّدُها ، فالذي يتعيَّنُ القولُ به أَنْ يُجعلا حديثَين مُستقلَّيْنِ** » .

أَقولُ : فَبَدَلًا مِن دعوى الاضطرابِ - وهي واهيةٌ جدًّا - ، وبَدَلًا من ضَرْبِ النصوصِ ببعضِها ؛ لِماذا لا يُجْمَعُ بينها - إنْ ظهرَ نوعٌ من الاختلافِ - بوجهٍ من وجوهِ العلمِ المُعتبرةِ التي لأَجلِها أَلَّفَ أَئمّةُ العلمِ والسُّنَّةِ مؤلَّفاتِهم المستقلّةَ في أَبوابِ (مُختلِفِ الحديث) و (مُشكِل الحديث) ؟!

والحديثُ الذي هو موضعُ بحثِنا مثالٌ حَسَنٌ جدًّا على هذا .

رابعًا : ثمَّ تكلّم الشيخُ العَمْريُّ حولَ حديثِ : « لَمّا صَوَّرَ اللهُ آدمُ - عليه السلامُ - في الجنّةِ ، تَرَكَه ما شاءَ اللهُ أَن يتركَه ، فَجَعَلَ إبليسُ يُطيفُ به ،

يَنْظُرُ ما هو ، **فلمّا رآه أَجوفَ** عَرَفَ أنّه خُلِقَ خَلْقًا لا يتمالكُ » [١] ، شارحًا كلمةَ : « لا يتمالكُ » ، مُفسِّرًا إيّاها بالوسوسةِ ! ناقلًا ذلك عن النوويِّ .

أقولُ : **لا تعارُضَ بينَ وجودِ الوسوسةِ ، وإمكانيّةِ التلبُّسِ ، فإنَّ الأوَّلَ لا ينفي الثاني** ، وبخاصّةٍ أنَّ المستدِلَّ بهذا الحديثِ على إمكانيّةِ التلبُّسِ إنّما استدلَّ بكلمةِ « **فلمّا رآهُ أَجوفَ** » ، وقد قالَ النوويُّ في « شرحِه » (٦ / ١٢٤) : « الأَجوف : **صاحبُ الجوفِ** ، وقيلَ : « **هو الذي داخلُهُ خالٍ** » .

فكيفَ قَدِرَ الشيطانُ على معرفةِ داخلِه إنْ لم يُكن بمقدورِهِ الوصولُ إليه ؟! وبخاصّةٍ أنَّ لفظَ الحديثِ : « **فلمَّا رآه أَجوف** » ، فذلك الحكمُ منه مبنيٌّ على **ثُبوتِ رؤيتِه له** ، لا على إعلامِه به ، كما قد يتأوّلُه المتأوِّلون !!

قال النوويُّ شارحًا الحديثَ : « والمرادُ جنسُ بني آدمَ » .

خامسًا : ثمَّ وَصَفَ الشيخُ العَمْريُّ حديثَ عثمان بن أَبي العاص [٢] بأنَّه : « شاذٌّ لا يُحْتَجُّ به » !!

فأَقولُ : مِن أَينَ له هذا الحُكْمُ ، والواقعُ يَرُدُّهُ وينفيهِ [٣] ؟!

وكلامُ العُلَماءِ والأَئمّةِ يردُّهُ ويَنْقُضُه ..

---

(١) وقد تقدّمَ (ص ١٣٨) .

(٢) انظر ما تقدّمَ (ص ١٥٠) .

(٣) انظر ما تقدّمَ (ص ١٥٧) .

ثمَّ قال : « بل قد طعنَ الإمامُ أحمدُ في أَحدِ رواتِه ، وهو محمد بن عبداللهِ بن المثنّى الأنصاريّ » !!

أقولُ : ليسَ الأَمرُ كذلك ، فهذا الراوي وثّقَهُ ابنُ معينٍ، وأَبو حاتمٍ ، وابنُ سعدٍ ، وابنُ حِبّان ، وابنُ حَجَرٍ ، وغيرهم ، وهو - أَيضًا - مِن رجالِ الكتبِ الستّةِ .

و (لعلَّ) الشيخَ العَمْريَّ (توهّمَ) هذا التَّضْعيف - واللهُ أَعلمُ - مِمّا وَرَدَ في « العلل ومعرفة الرجال » (١ / ٢١٨) لعبدالله ابن الإمام أَحمد ، نقلًا عن أَبيه ، في إِنكارِ بعضِ الحُفَّاظِ حديثًا للأَنصاريِّ هذا !!

فإِنْ كانَ الأَمرُ كذلك ، فليسَ هذا تضعيفًا للراوي ، إِنّما هو ردٌّ لروايةٍ له لسببٍ مُعَيّنٍ لا يخفى على نُقّادِ الحديثِ ، وكم من راوٍ ثقةٍ ردَّ الحُفَّاظُ الجهابذةُ بعضَ رواياتِه ، ولم يكن ذلك تَضْعيفًا له نفسِه !

وعلى جَدَليّةِ التسليم بضعفِه - وليس كذلك - فكانَ ماذا ؟!

وهل طُرُقُ الحديثِ كلّها تدورُ عليه ؟!!

أَم أَنَّ هذا في بعضِها دونَ بعضٍ ؟!

ثمَّ هلْ ضعفُه - لو كانَ كذلك - شديدٌ ، بحيثُ لا يتقوّى ولا يتماسَكُ ؟!

ثمَّ قال : « فهذا الحديثُ الشاذُّ [1] يُعارِضُ الحديثَ الصحيحَ .. » .

---

(١) لو قُلب هذا الوصفُ على الدعوى ذاتِها لكان أَوْلى !!

فذكر الروايةَ التي في « صحيح مُسلم » - وقد ذكرتُها قَبْلُ - ، وفيها أَنَّ عُثمانَ كان يعرِضُ له وسواسٌ ، جاعلًا ذلك نوعًا من المخالفةِ والتضاربِ المؤدِّيَةِ إلى الشذوذِ !!

أَقولُ : وهذا كلامٌ غيرُ حسنٍ ، فالجمعُ بينَ هذه الرواياتِ سَهْلٌ يسيرٌ ، دونما لجوءٍ إلى دعوىٰ التضارُبِ والمخالفةِ ..

ولقد تقدّمَ بيانُ ذلك كلِّه (ص ١٥٥ - ١٥٩) فلا أُعيدُ ..

تنبيهٌ وإيضاحٌ :

قد ذَكَرَ الشيخُ العَمْريُّ في مقالِه آنِفِ الذِّكْرِ أَنَّ سماحةَ العلّامةِ الشيخِ عبدالعزيزِ بن عبدالله بن باز - حفظَه اللهُ - قد أَيَّدَهُ في إنكارِهِ التلبُّسَ !!

ولكنْ : أَنكرَ ذلك الشيخُ ابنُ بازٍ - نَفَعَ اللهُ به - في العَددِ التالي مِن جريدةِ (المسلمون) (برقم : ٥٤٩) إنكارًا بيِّنًا ، وردَّ عليه كلامَه بقوّةٍ ووضوحٍ ، فكانَ ممّا قالَه : « **نصحتُهُ أَنْ يعترفَ بتلبُّسِ الجنّيِّ بالإِنسيِّ ؛ كما هو الحقُّ الذي أجمع عليه العُلماءُ** » .

وفي العددِ الذي تلا هذا العَدَدَ (برقم : ٥٥٠) **تحفَّظَ** الشيخُ العَمْريُّ على كلامِه السابقِ ، وأَشارَ إلى أنّه نُقل عنه الكلامُ على غيرِ مُرادِه ، وأَنَّ مُوافقةَ الشيخِ ابن باز له كانت في حالاتٍ خاصّةٍ ذُكرت له ، وليسَ في أَصلِ المسأَلةِ ذاتِها ..

.. ولقد ذَكَر هذه المُساجلاتِ كلَّها [١] صاحبُ « الأُسطورة » (ص ١٧١ - ١٩١) بملحق خاصٍّ جَعلَه في آخِرِ كتابِه (!) ثمَّ **نَبَزَ تَحفُّظَ** الشيخِ العَمْريّ وكلامَه الأَخير نَبْزًا ظاهرًا ، وطَعَنَه طَعْنًا خفيًّا ؛ واصفًا إيّاهُ **بالتملُّصِ والتناقُضِ** !!

مَعَ أَنَّه وَصَفَهُ في البدايةِ بأَنّه « شيخٌ صاحبُ تجربةٍ ، بل يكادُ يكون شيخَ هذه الصَّنْعَةِ » !!

فلماذا رَضِيَهُ لمّا وافَقَهُ ، ونَبَزَهُ لمّا خالَفَه ؟!

□ □ □ □ □

---

(١) سوى ما ذُكر في العدد (رقم : ٥٥٠) فإنّه طواه ، وما ذَكَرَهُ !! إذ إنّه يُخالفُ ما يُريد (!) فقد أَثبتَ الشيخُ العَمْري تسعَ حالاتٍ من حالاتِ المَسِّ وأَنواعه ، وتوقَّفَ (فقط) في دخولِ البدن ، مع إثباتِهِ الإِيذاءَ الجسمانيّ .

والخَطْبُ في هذا أَخفُّ وَطْأَةً - إنْ شاءَ اللهُ - .

وإنّنا لنظنُّ في الشيخ العَمْريّ - حفظه اللهُ - الحرصَ على الحقّ وقَبولَه ، فلعلّه إذا اطَّلعَ على ما هُنا مِن بحوثٍ ومُناقشاتٍ يرجعُ إلى الحقّ ، وينصاعُ له ، ويدعو إليه .



١٤ - نقولٌ وإضافات

... بعدَ انتهائي من تَصْنيفِ الكتابِ وتَصْحيحِهِ ، ومُراجعتِهِ ، والزيادةِ عليه؛ للمرَّةِ الخامسةِ (!) وقفتُ - في أَواخرِ شهرِ رمضان عام (١٤١٦هـ) - على كتابٍ عنوانه « المُعالِجونَ بالقرآنِ : رؤيةٌ شرعيّةٌ لواقعٍ معاشٍ » نشر الدَّار السعوديّة للنشرِ ؛ وهو عبارةٌ عن مجموعةِ مقالاتٍ لعددٍ من الكُتّابِ والباحثين ، وأَهلِ العلمِ .

فرأيتُ فيه بعضَ فوائدَ زوائدَ [١] لم أُحِبَّ تفويتَها على إِخواني القُرَّاءِ ؛ الرَّاغبين في المعرفةِ الصحيحةِ ، والعلمِ المُصفَّى ، والعقيدةِ النقيّةِ .

● **تنوُّع تأثير الشيطان :**

١ - في (ص ٥٦ - ٦٧) قولُ الدُّكتور حُسني أَحمد مؤذّن رئيس قسم الكيماءِ في جامعة أُمِّ القرى :

« ويبرزُ سؤالٌ مهمٌّ هنا ، وهو : أَنّه طالما أَنَّ للشيطانِ التأثيرَ الفكريَّ والحِسّيَّ بحيثُ يتحكَّمُ في تصرُّفاتِ النَّاسِ - بمشيئةِ اللهِ - فلماذا يتخبَّطُ البعضَ ويصرعُهم ولا يؤثِّرُ على الآخرين ؟

(١) وبعضٌ منها قد وقفتُ عليه من قبلُ ، لكنْ شاءَ اللهُ - تعالى - أَلّا أُوردَه إِلّا هنا .

وإذا كانَ المَسُّ هو عبارةً عن تفاعلِ الشيطانِ مع جسدِ الإنسان فقط دونَ اعتباراتٍ أُخرى ، فلماذا لا يصابُ الإنسانُ فقط إذا تثاءبَ ولم يُمْسِكْ بيدِهِ على فيهِ ، أو إذا استيقظَ من منامِهِ ولم يستنثر ؟

أَو : لماذا لا يصابُ به الكفّارُ دونَ المُسلمينَ الذين هم أَولى بتأثيرِ الشياطينِ عليهم ؟ قالَ تعالى : ﴿ أَلم تَرَ أَنَّا أَرسلْنا الشياطينَ على الكافرينَ تؤزُّهم أَزًّا ﴾ .

الإجابةُ عن هذا التساؤلِ - بعدَ التسليمِ الكاملِ لقضاءِ اللهِ وقدرِهِ ، والإقرارِ بأنّه تعالى يهدي مَنْ يشاءُ ويضلُّ مَنْ يشاءُ - تكونُ بالرُّجوعِ للكتابِ والسنّةِ ، ثمَّ بالرُّجوعِ للدراساتِ النفسيّةِ الطبيّةِ في هذا المجالِ .

إذًا ؛ لا بدّ من أَنْ يكونَ هناك اعتباراتٌ أُخرى تتعلّقُ بالمريضِ نفسِهِ ، بالإضافةِ إلى الأَثرِ الشيطانيِّ ، وهذا بيَّنَهُ الحقُّ سبحانَه وتعالى في قولِهِ الكريمِ : ﴿ إنَّ الذينَ اتَّقَوْا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطانِ تذكَّروا فإذا هم مُبصِرون ﴾ ؛ ومعناهُ - كما يقولُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله - : إنَّ المتقينَ من عبادِهِ إذا أَصابَهم طائفٌ من الشيطان - وهذا الطّائفُ منهم مَنْ فسَّرَهُ بالغضبِ ، ومنهم من فسَّرَهُ بالهمِّ بالذنبِ ، ومنهم من فسَّرَهُ بمسِّ الشيطانِ من الصَّرْعِ - ﴿ ... تذَّكروا فإذا هم مُبصِرون ﴾ أَي : تذكَّروا عقابَ اللهِ وثوابَه ووعدَه ووعيدَه فتابوا واستعانوا باللهِ وصحَوا ممّا كانوا فيه وكفُّوا واستقاموا .

يُستدلُّ من ذلكَ أَنَّ الشيطانَ يمسُّ النَّاسَ - سواءٌ كانوا من أَصحابِ

النُّفوسِ السويّةِ أَو غيرِ السويّةِ - ولكنّهم يختلفونَ في الاستجابةِ لهذا المسِّ ؛ فأَصحابُ النُّفوسِ المؤمنةِ - وهي نفوسٌ تتميّزُ بالاتزانِ - لا تستجيبُ نفوسُهم له مهما تعرَّضتْ لضغوطٍ أَو استفزازاتٍ ؛ لأَنّها مبصرةٌ ، ولا سبيلَ لتخبُّطِ الشيطانِ لها ، أَمَّا أَصحابُ النفوسِ غيرِ الناضجةِ وغيرِ المتزنةِ فإِنّها تستجيبُ للمسِّ الشيطانيِّ عندَ تعرُّضِها لأَيّةِ ضغوطٍ أَو استفزازاتٍ ؛ لأَنّها غيرُ مبصرةٍ ، فيعتادُها عندئذٍ بأَفعالٍ خارجةٍ عن الإِرادةِ ، سواءٌ كانَ ذلك في صورةِ معاصٍ أَو هستيريا أَو تصرُّفاتٍ أُخرى سيّئةٍ .

إِذ هناكَ نفوسٌ ذاتُ سماتٍ معيَّنةٍ تستجيبُ لتخبُّطِ الشيطانِ لها عندَ تعرُّضِها للابتلاءِ من ضغوطٍ ؛ وهو ما يسمَّى بعنصرِ القابليّةِ والاستعدادِ .

وقد بيّنَ أَطبّاءُ النَّفسِ أَنَّ هناك أُناسًا معيَّنينَ لديهم الاستعدادُ والقابليّةُ للإِصابةِ بالهستيريا ، وتُسمّى النَّفسُ التي لديها هذه القابليّةُ بالنَّفسِ الهستيريّةِ .

وتتميّزُ النفسُ الهستيريّةُ بالذبذبةِ في العلاقاتِ وعدمِ الصَّبرِ والسطحيّةِ والتسرُّعِ في اتخاذِ المواقفِ وعدمِ التحكُّمِ في الانفعالاتِ ممّا يجعلُها عرضةً للذبذباتِ الوجدانيّةِ والشحناتِ الانفعاليّةِ ، وعندما يتعرَّضُ صاحبُ هذه النفسِ للضغوطِ أَو الصِّراعِ أَو الإِحباطِ فإِنّه تظهرُ عليه أَعراضُ الهستيريا ، وقد ينفصلُ مؤقتًا عن الواقعِ ، وتصبحُ المعادلةُ : نفسٌ هستيريّةٌ + ضغوطٌ أَو صراعٌ أَو إِحباطٌ = أَعراض الهستيريا » .

● **الشياطين مِن الغيبِ عنَّا :**

٢ - في (ص ٧٢) قولُ الشيخِ العلّامة عبدالعزيز بن باز توضيحًا لحديث « إنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّم » ، قالَ :

« والواجبُ إجراءُ الحديثِ على ظاهرِهِ ، وعدمُ تأويلِهِ ممّا يخالفُ ظاهرَه ؛ لأَنَّ الشياطينَ أَجناسٌ لا يعلمُ تفاصيلَ خِلقتِهِم ، وكيفيّةَ تسلُّطِهِم على بني آدمَ إلّا اللهُ سبحانَه ، فالمشروعُ لكلِّ مسلمٍ الاستعاذةُ به سبحانَه من شرِّهم ، والاستقامةُ على الحقِّ ، واستعمالُ ما شَرَعَهُ اللهُ من الطاعاتِ والأَذكارِ والتعوّذاتِ الشرعيّةِ ، وهو سبحانَه الواقي والمعيذُ لمن استعاذَ به ولجأَ إليه ، لا ربَّ سواهُ ولا إلهَ غيرُهُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا به » .

● **الرُّقية الشرعيّة :**

٣ - في (ص ١٢٥) نقلُ فتوى لهيئةِ كبارِ العُلَماءِ في مسألةِ التلبُّسِ والرُّقيةِ القرآنيّةِ ، إجابةً لسائلٍ قالَ : « بعضُ الإخوةِ يستخرجونَ الجنَّ من المرضى عن طريقِ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ ، فهل هذا جائزٌ ؟ » .

فأَجابتِ الهيئةُ : « يجوزُ علاجُ المريضِ بمسِّ الجنِّ بقراءةِ آياتٍ من القرآنِ عليه لثبوتِ الرُّقيةِ بالقرآنِ شَرْعًا » .

وفي (ص ١٢٦) نقلُ فتوى مماثلةٍ برقم (٨٠١٦) .

● **ثبوتُ المسِّ :**

٤ - في (ص ١٢٨) قولُ الشيخِ عبدالرحمن بن حمّاد العُمر :

« موضوع مسّ الجنيّ للإنسيّ - بمعنى أنّه يداخلُهُ ، ويجري منه مجرى الدَّمِ - ثابتٌ بالكتابِ والسنّةِ والواقعِ المشاهَدِ » .

● **مِن أَغلاطِ المنكِرين :**

٥ - في (ص ١٢٩ - ١٣١) ردُّ الأخِ الكبيرِ الشيخِ الدكتورِ صالح ابن غانم السَّدْلان على الشيخِ علي بن مشرف العَمْريّ ، وفيه قولُهُ مُبيِّنًا وجوهَ خطئِهِ :

« أَوَّلًا : إنَّ الشيخَ عليًا العَمْريّ لا ينكرُ تلبُّسَ الجنِّ بالإنسانِ ، وإنّما يحصرُهُ في حالاتٍ أَربع ! ونقولُ للشيخِ : ما دمتَ أَنَّكَ أَثبتَّهُ في حالاتٍ أَربعٍ ، فغيرُكَ ربَّما أَثبتَه في خمسِ حالاتٍ أَو ستٍّ أَو أَكثر من ذلك .

ثانيًا : يظهرُ من كلامِ الشيخِ التناقضُ ؛ فهو أَوَّلًا لا ينفي التَّلبُّسَ ويسميهِ هستيريا ! ثمَّ لم يجرؤ على ذلك واستثنى أَربعَ حالاتٍ !! وهذا الاستثناءُ يحتاجُ لدليلٍ ، إذ إنَّ مَنْ قَصَرَ أَمرًا شرعيًا على عددٍ مُعيّنٍ ، أَو صفةٍ معيَّنةٍ لم تدلَّ عليها الأَدلّةُ ، فالتحقيقُ ردُّ قولِهِ ؛ كما في مسألةِ تحديدِ مسافةِ قصرِ الصلاةِ مثلًا ، أَو تحديدِ أَيّامِ لحيضِ المرأةِ ، أَو لسنِّ الإِياسِ ، ونحو ذلك ، فَقَصْرُهُ على هذه الحالاتِ الأَربعِ ونفيُ ما سواها تحكُّمٌ لا دليلَ عليه .

ثالثًا : إنَّ ما قالَه أَمرٌ غريبٌ جدًّا ، ذلكَ أَنَّ الخلافَ هو في إِمكانيّةِ تلبُّسِ الجنيّ بالإنسيّ من عدمِهِ ، والأَدلّةُ من الآياتِ القرآنيّةِ والأَحاديثِ النبويّةِ ، والوقائعِ المرويّةِ ، والأَقوالِ المرضيّةِ من أَهلِ العلمِ المعتبرين : تدلُّ على الأَوَّل ؛

وهو إمكانيّةُ تلبُّسِ الجنّيِّ بالإنسيِّ ، كما تنطقُ بذلك نصوصُ الوحيينِ - الكتاب والسنّة -، فقد قالَ تعالى : ﴿ الذي يوسوسُ في صدورِ النّاسِ . من الجِنَّةِ والنَّاسِ ﴾ فما معنى (في) ؟! وما الدَّاعي لتأويلِها بِشَيءٍ بعيدٍ مع عدمِ الحاجةِ إلى ذلك ؟! ، وهكذا كلُّ نصٍّ من القرآنِ أَو السنّةِ إِذا قُلنا بعدمِ التلبُّسِ، فإِنَّنا نحتاجُ إلى تأويلِ الأَدلّةِ ، وليِّ أَعناقِ النصوصِ ، وتحميلِها ما لا تحتملُ .

وأَمّا ما قرأَه الشيخُ عليٌّ من كتبِ علمِ النَّفسِ ، فعلماءُ النَّفسِ ليسوا علماءَ شريعةٍ يتلقَّونَ أَقوالَهم من النّصوصِ الشرعيّةِ ، وإِنّما هم قومٌ دَرَسوا دراساتٍ معيَّنةً وتكلَّموا على حدِّ علمِهم ، لكنْ مَن مَنَّ اللهُ عليهِ بالعلمِ الشرعيِّ لا ينبغي له أَنْ يُخضِعَ النصوصَ لأَقوالِ علماءِ النَّفسِ ، وإِنّما الواجبُ أَنْ يُخْضِعَ أَقوالَ علماءِ النَّفسِ للنصوصِ الشرعيّةِ .

وأَمّا تسميةُ (الصَّرْع) عندَ علماءِ النَّفسِ - بـ « هستيريا » ! فإِنَّ هذا مجرَّد اصطلاحٍ ، فما الذي يمنعُ أَنْ نسمّيَ الهستيريا جِنًّا ؟! وهذا كما يقولُ علماءُ الطبيعةِ الذين لا يعرفونَ العقيدةَ : الطبيعةُ فعلت ، ، والطبيعةُ تصرَّفت ! ؛ لأَنّهم لا يملكونَ الكلمةَ الشرعيّةَ المناسبةَ ليقولوا : أَرادَ اللهُ ، وخَلَقَهُ اللهُ ، ورَزَقَهُ اللهُ ، وأَماتَه اللهُ .. وهكذا .

لكلِّ ما سَبَقَ وغيرِهِ فإِنّني أَدعو فضيلةَ الشيخِ عليٍّ للتأمُّلِ في كلامِهِ ، **وعدمِ التعجّلِ في مثلِ هذا الأَمرِ الذي يمسُّ العقيدةَ ، ويخالفُ ما اتفقتْ عليه الأُمّةُ** ، ثمَّ ماذا يستفيدُ الأَخُ عليٌّ إِذا وافقَ علماءَ النَّفسِ وخالفَ علماءَ الشريعةِ ؟! وهبْ أَنّه لم يتكلَّمْ في هذه القضيّةِ لا نفيًا ولا إِثباتًا ، فماذا

يضرُّهُ ؟!

أَسأَلُ اللهَ أَنْ يرزقَنا وإِيّاهُ السَّدادَ في القولِ والعملِ ، وأَنْ يجنِّبنا كلَّ منكرٍ من القولِ والعملِ » .

● بين المَسِّ والهستيريا :

٦ - وفي (ص ١٣٢) تعقُّب فضيلةِ الأَخِ الفاضل الشيخِ عبدالمُحْسن العُبَيكان دعوى الشيخِ العَمْريّ أَنَّ حالاتِ المسِّ عبارةٌ عن هستيريا !! حيثُ قالَ ردًّا عليه :

« هذا زعمٌ يحتاجُ إِلى دليلٍ ينفي وجودَ المسِّ أَو السحرِ للشخصِ الذي يُزعَمُ أَنّه مُصابٌ بالهستيريا » .

● بين علمِ الشرعِ وعلمِ النّفس :

٧ - وفي (ص ١٣٣) تعليقٌ من الشيخِ العُبيكانِ - حفظه اللهُ - ردًّا على مَن تمسَّكَ بأَقوالِ (علماءِ النَّفس) (!) في ردِّ المسِّ والتلبُّسِ ، قالَ :

« علمُ النَّفسِ مأخوذٌ - غالبًا - عن الكفّارِ ، ويتنافى بعضُ ما فيه مع عقيدتِنا الإِسلاميّةِ الصحيحةِ ، ولا يجوزُ الاعتمادُ عليه لنفي شيءٍ جاءَ في كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِهِ ﷺ وعملِ سَلَفِ الأُمّةِ .

وقد ذَكَرَ شيخُ الإِسلامِ آيةَ الرِّبا ، وحديثَ جريانَ الشيطانِ في الإِنسانِ مجرى الدَّمِ ، وهذا الجريانُ حقيقيٌّ ، وقد باشرَ النبيُّ ﷺ علاجَ بعضِ المرضى ، وأَخرجَ الجنَّ منهم ؛ كما ثبتَ ذلك في الأَحاديثِ الصحيحةِ ، وفعلَ

ذلكَ بعضُ الأَئمّةِ كالإمامِ أَحمدَ وشيخِ الإِسلامِ ابن تيميّةٍ وغيرِهما ، بل الأَطبّاءُ قديمًا وحديثًا يُثبِتونَ ما نفاهُ العَمْريُّ أَخيرًا » .

● **التفريق بين المسِّ والمرضِ :**

٨ - وفي (ص ١٣٨ - ١٣٩) بيانٌ من الشيخ عبدالله بن عليٍّ الحدّاد حولَ التفريقِ بينَ المسِّ الشيطانيِّ والمَرَضِ العضويِّ في المُصابِ ، قالَ :

« الأَشخاصُ الذي يلجأونَ إِلى المعالجةِ بالقرآنِ أَوّل خطوةٍ تتمُّ معهم أَنْ يُسأَلَ المريضُ : هل تمَّ تشخيصُكَ من قِبَلِ الطبيبِ أَم لا ؟ فإِذا لم يتمَّ تشخيصُهُ من قبلِ الطبِّ لا بدَّ أَنْ يرجعَ أَوّلًا إِلى الطبِّ ؛ لأَنَّ الطبَّ عندَه وسائلُهُ الخاصّةُ به في تشخيصِهِ الأَمراضَ بالسرعةِ والإِمكانيّةِ التي لا يستطيعُ أَنْ يقومَ بها أَهلُ المعالجةِ بالقرآنِ لأَنّهم يعتمدونَ على أَشياءَ معيَّنةٍ ، أَمّا أَهلُ الطبِّ فيعتمدونَ على الماديّاتِ والتقنيّاتِ الحديثةِ ، فلا بدَّ أَنْ يلجأَ الشخصُ إِلى أَهلِ الطبِّ .

وفي حالةِ عجزِ الطبِّ عن تشخيصِهِ لعدمِ وجودِ أَعراضٍ ظاهرةٍ أَو أَيِّ سَببٍ لهذا المرضِ ، فهنا يأتي دورُ أَهلِ القرآنِ في استقبالِ المريضِ ؛ لعلَّ أَنْ يكونَ معه تأثيرٌ .

ويقومُ أَهلُ القرآنِ بطرحِ بعضِ الأَسئلةِ على الشخصِ المعالَجِ ، مثل : ما الذي أصابَه ؟ ومتى أَصابَه ؟ وكيفَ أَحوالُهُ مع النَّاسِ وأَهلِهِ المُحيطين به ، ومع نفسِهِ ؟ وما المتغيّراتُ التي يحسُّ بها ؟ هل من ضيقٍ صداعٍ ؟ وما أَحوالُهُ مع العبادةِ والطاعةِ من ناحيةِ الصلاةِ وقراءةِ القرآنِ والأَدعيةِ ؟

هذه الأَسئلةُ في مجموعِها قد تدلُّ **اجتهادًا** على أَنَّ الشخصَ معه تأثيرٌ أَو ليسَ معه تأثيرٌ » .

● بين ردّ المُنكرين وغلوّ بعض المُثْبِتين :

٩ - وفي (ص ١٤٧ - ١٤٨) نَقْلٌ عن الدّكتورِ محمد المهدي - وهو أَخصائي الطبّ النفسيّ في مستشفى الأَمل بجدّة - في كتابِهِ « العلاج النفسيّ في ضوءِ الإِسلامِ » ، قالَ :

« إنَّ أَطبّاءَ النَّفسِ الذي تتلمذوا على أَيدي الغربِ المنكرين لكلٍّ ما هو غيبٌ ، أَصبحوا يتحدّثونَ عن مسِّ الجنِّ والشياطين والسحرِ والعينِ على أَنّها أَساطيرُ [1] وأَواهامٌ قديمةٌ ملأت رؤوسَ العامّةِ في المجتمعاتِ البدائيّةِ ، وأَنَّ هذه الحالاتِ أَصبحتْ مفهومةً الآنَ من خلالِ عمليّاتِ اللاشعورِ التي تقومُ بوظيفةٍ دماغيّةٍ لمصلحةِ توازنِ المريضِ ، فتُحْدِثُ حالاتِ الإِغماءِ أَو الصَّرْعِ الهستيري ، ويتصرّفُ الشخصُ الذي يواجهُ ضغوطًا نفسيّةً معينةً وكأَنّه شخصٌ آخر ، ليعبّرَ عمّا لم يستطع التعبيرَ عنه في الحالاتِ العاديّةِ ، فيتغيّر صوتُهُ ، ويأْتي بأَفعالٍ تثيرُ خيالاتِ العامّةِ ودهشتَهم .

أَمّا بعضُ المعالجينَ بالرقيةِ فقد ادَّعوا أَنَّ كلَّ الأَمراضِ النفسيّةِ والعقليّةِ ما هي إِلّا نتيجة تلبُّسِ الجنِّ والشياطينِ بالمريضِ !! أَو أَنَّه سحرٌ !! ليبتزّوا المرضى المساكينَ وخاصّةً أَصحابَ الأَمراضِ المزمنةِ » .

---

(١) وقلّدهم بعضُ (المبهورين) بهم مِن أَدعياءِ العلمِ !!

● **حداثة علم النّفس :**

١٠ - في (ص ١٥٥) تنبيهٌ للدُّكتورِ سَعْد بن سعيد الزهرانيّ أُستاذ علم النَّفسِ بجامعةِ الإمامِ محمد بن سعود الإِسلاميّة ؛ قالَ فيه :

« فالعلاجُ النفسيُّ ما زالَ وليدًا ، ولم يتجاوزِ القرنَ بعد ، وليس من السهلِ على الإنسانِ الذي احتاجَ إلى آلافِ السنين لاكتشافِ بعضِ الظَّواهرِ المادِيّةِ أَنْ يفهمَ أَهمَّ جزءٍ فيه - بل في الكونِ - ، ويستطيعَ أَنْ يعالجَ كُلَّ ما يعتريهِ في عدّةِ مئاتٍ من السنين ! » .

● **وصايا للمُعالِجين :**

١١ - وفي (ص ١٦٢) تأكيدٌ مهمٌّ للدكتورِ عمر إبراهيم المُدَيْفر أَخصائي الطبِّ النفسيّ بمستشفى الملك خالد الجامعيّ بالرياض ، قالَ فيه مُوصيًا (المعالجين) بـ :

« عدمِ تعريضِ المريضِ لأَذىً جسديٍّ ، كالخَنْقِ والكَيِّ الذي يُؤدِّي للوفاةِ أَحيانًا ، وهُناكَ تقاريرُ عن هذا » .

وفي (ص ١٦٨) نقلٌ عن الدّكتورِ محمد المهدي في التنبيهِ على الموضوعِ ذاتِهِ .

● **مِن أَعراض المسِّ الموهومة :**

١٢ - وفي (ص ١٦٨ - ١٦٩) ردٌّ من الدّكتورِ محمد المَهْدي على بعضِ المعالجين الذين يوصلُهم ما هم فيه إلى : « استنباطاتٍ خطيرةٍ بلا دليلٍ

مُقْنعٍ ، فمثلًا بعضُ المُعالجين يقولُ لكَ : إِنَّ هذا الشخصَ لديهِ مسٌّ من الجنِّ ، أَو عينٌ !! أَو سحرٌ !! دونَ أَنْ يكونَ لديهِ دليلٌ واضحٌ على ذلك ، أَو يسوقُ أَدلَّةً تحدثُ لأَغلبِ النَّاسِ ؛ كالأَحلامِ المُزعجةِ ، والصداعِ ، والضيقِ [١] ، أَو يعتمدُ على أَنَّ هذا الشخصَ يشكو من حالةٍ غريبةٍ احْتارَ الطبُّ فيها ! مع العلمِ أَنَّ كلَّ الأَمراضِ المعروفةِ حاليًّا احتارَ الطبُّ فيها لفترةٍ ، وبعدَ ذلك عرفَ أَسبابَها وعلاجَها .. » .

● **الرُّقية الشرعيّة الصحيحة :**

١٣ - وفي (ص ١٨٧ - ١٨٨) بيانٌ من الكاتبِ عبدالحقِّ بشير عبّاس العُقْبيّ ، قالَ فيه :

« إِنَّ المنهجَ الواضحَ الصريحَ للعلاجِ بالرقيةِ الشرعيّةِ هو التوجّهُ إِلى مسبِّبِ الأَسبابِ بصدقٍ ونيّةٍ ، والدعاءُ أَنْ يُزيلَ السببَ ، أَيًّا كانَ السببُ ، ليسَ في السببِ قيدٌ ولا شرطٌ ، وليس مطلوبًا من الرَّاقي أَنْ يُشَخِّصَ ويتعرَّفَ ويؤوِّلَ ! ويُخطئَ ويُصيبَ ويُجَرِّب ! فآياتُ الرقيةِ معروفةٌ مأثورةٌ ، والأَهمُّ منها صدقُ التوجّهِ والدعاءُ والرِّضى بما كتبَ اللهُ ، فما أَصابَكَ لم يكن ليخطئَكَ ، وما أَخطأَكَ لم يكنْ ليصيبَكَ ، وإِنّما جُعلت الرقيةُ بالقرآنِ والمأثورِ من السنّةِ وسيلةً للتقرّبِ إِلى اللهِ مسبِّبِ الأَسبابِ ، ولأَنّها كذلك فهي من الدّعاءِ ،

---

(١) وفي كتاب « الدليل والبرهان على بُطلان أَعراضِ المسّ ومحاورةِ الجانّ » (ص ٩ - ٣٦) تأليف مدحت عاطف ، مناقشةٌ جيّدةٌ لدعاوى أَعراضِ المسّ هذه ، بيّنَ فيها أَنّها - جميعًا - لا دليلَ عليها من الشرعِ أَو التجربةِ اليقينيّةِ .

وللدعاءِ شُروطٌ على الدَّاعي أَنْ يلتزمَ بها إِذا أَرادَ الإجابةَ ؛ منها صدقُ التوجّهِ إِلى اللهِ - فيتوجّهُ وهو موقنٌ بالإِجابةِ - ، وطِيبُ المأكلِ والمشربِ ، واختيارُ أُوقاتِ الإِجابةِ التي منها الثلثُ الأَخيرُ من الليلِ ، وفي السُّجودِ ، وبينَ الأَذانين ، وغيرِها ممّا هو معروفٌ ومتداولٌ في كتابِ الأَذكارِ .

أَمّا الإِجابةُ فهي واحدةٌ من ثلاثةِ أَحوالٍ رواها الترمذيُّ [١] عن أَبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ : قالَ النبيُّ ﷺ : « ما من رجلٍ يدعو بدعاءٍ إِلّا استُجيبَ له ؛ فإِمّا أَنْ يعجّلَ له في الدُّنيا ، وإِمّا أَنْ يؤخّرَ له في الآخرةِ ... ما لم يدْعُ بإِثمٍ أَو قطيعةِ رحمٍ أَو يستعجلْ ؛ يقولُ : دعوتُ ربّي فما استجابَ لي » .

لا أَعني بذلك أَنّه لا يجوزُ التوجُّهُ إِلى الآخرين طلبًا للرقيةِ ، بل إِنَّ هذا مشروعٌ ، والأَحاديثُ فيه مأثورةٌ ومتوفِّرةٌ ، ولأَنَّ من أَسبابِ الإِجابةِ التماسَ الصالحينَ والمشهودِ لهم بالتقوى والورعِ ، وهو من أَسبابِ التعجيلِ في الإِجابةِ » .

● المُعالجون والخَلْوة بالنساءِ :

١٤ - وفي (ص ١٨١) تنبيهٌ من الشيخِ صالح عبدالله الشمراني حولَ ما يقومُ بهِ بعضُ (المُعالجين) من الخلوةِ بالنساءِ ، قالَ :

---

(١) « صحيح الجامع الصّغير » (٥٧١٤) .

وانظر كتاب « الترغيب في الدُّعاء » (رقم : ٢١ ، ٢٢) للحافظ عبدالغني المقدسي ، وتعليق الأَخ فوّاز زمرلي عليه .

« إنَّ من شروطِ العلاجِ أَنْ يسيرَ الأَمرُ على طريقةٍ شرعيّةٍ ، وعندما تحصلُ الخلوةُ المحرّمةُ فإنَّ الأَمرَ لا يصبحُ دواءً ! وإنّما داءٌ ، وهو قمّةُ الدَّاءِ .

نعم ؛ هناك من ضعافِ النُّفوسِ من يمارسُ الاختلاءَ بالنساءِ بحجّةِ العلاجِ ! ومعروفٌ أَنَّ في بعضِ النساءِ جاهلاتٍ ، وإلّا لما رضيتْ بأَنْ يختليَ بها رجلٌ مهما كانَ الأَمرُ ، ومهما كانتْ حجّةُ العلاجِ ، بل إنَّ هذه الخلوةَ ممّا يضرُّ بالعلاجِ ، ويطيلُ مدى المُراجعةِ » .

● **توصيات هامّة عامّة :**

١٥ - وفي (ص ٢٢٠ - ٢٢١) تَوْصِياتٌ مهمّةٌ للدكتورِ محمد بن عبدالله الصَّغير ، الأَخصّائي في قسمِ الأَمراضِ النفسيّةِ في كليّةِ الطبِّ بمستشفى الملك خالد الجامعيِّ .

وهي توصياتٌ نَبَعتْ من دراسةٍ ميدانيّةٍ عميقةٍ قامَ بها الدّكتور المذكور جزاه اللهُ خيرًا ، وهي هذه :

« **أَوّلًا** : توصياتٌ للمجتمعِ عمومًا - بأَفرادِهِ الأَصحّاءِ والمرضى - وتشملُ :

ـ التوكّلَ على اللهِ تعالى وعدمَ الخوفِ من البشرِ ، فكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقَدَرٍ من ربِّ العالمين .

ـ ليسَ عيبًا ولا عاراً أَنْ تصيبَ المسلمَ بعضُ الأَعراضِ النفسيّةِ .

ـ بذلَ كلِّ الأَسبابِ المشروعةِ في العلاجِ ؛ كالرقيةِ الشرعيّةِ والدَّواءِ

الطبّيّ وغيرِهما .

- عدم التحرّج مِن مراجعةِ الأَطبّاءِ النفسيّين ، والاستفادة ممّا عندهم - إنْ لم يخالفِ الشّرع - .

- إدراكَ أنَّ الأَدويةَ النفسيّةَ ليستْ مخدّرات .

وقد بُحثَ الموضوعُ في بعضِ المجالسِ الفقهيّةِ العلميّةِ ، وبيَّنَ العلماءُ جوازَ استعمالِها .

وأَمّا إِساءةُ استخدامِ الأَدويةِ - سواءٌ النفسيّة أَو غيرها - وأَخذُها بطريقةٍ غيرِ علميّةٍ فقد يؤدّي إِلى مضارَّ تنهى عنها الشريعةُ .

ثانيًا : توصيات للمعالجين ومن يقومونَ بالرقيةِ ، وتشملُ :

- تقوى اللهِ تعالى في عقائدِ المسلمين وأَموالِهم وأَعراضهم .

- طلبَ العلمِ الشرعيِّ ، والوعيَ الصحيَّ ، ومحاولةَ الجمعِ بينهما ، والحذرَ من المبالغةِ والتنفيرِ من الأَساليبِ الطبيّةِ .

- التعاونَ مع الأَطباءِ عمومًا والنفسيِّين خصوصًا ، لا التنفير منهم أَو تقمُّص شخصياتِهم .

ثالثًا : لطلبة العلمِ :

- تعليم النّاسِ أُمورَ العقيدةِ ، وبخاصّةٍ تلك المرتبطةَ بالتداوي والتوكُّلِ على اللهِ تعالى .

ــ الاطّلاعُ على الطبِّ النفسيِّ وعلمِ النَّفسِ للتمحيصِ والاستفادةِ ، فالحكمُ على الشيءِ فرعٌ عن تصوُّرِهِ .

رابعًا : توصيات للأَطباءِ النفسيِّين :

ــ الحذر من تسفيهِ رأي المريض .

ــ عدم حرمان المريضِ من الرقيةِ الشرعيّةِ .

ــ تمحيص العلومِ النفسيّةِ الغربيّةِ على ضوءِ تعاليمِ الإِسلامِ .

خامسًا : للإِعلام :

ــ الحدّ من الإِثارةِ الإِعلاميّةِ غيرِ المدروسةِ ، وإِخضاعُها للمراقبةِ الشرعيّةِ والصحيَّةِ .

ــ السعي في التوعيةِ والتعليمِ الشرعيِّ والصحيِّ .

سادسًا : توصياتٌ في النواحي الأَمنيّةِ والصحيّةِ :

ــ متابعةُ مهنةِ المعالِجِ بالرقيةِ ، وتقنينُها على أُسسٍ شرعيّةٍ وصحيّةٍ ؛ بحيثُ تحمي المجتمعَ من تلاعبِ ضعيفي النّفوسِ ، وتتيحُ لأَهلِ العلمِ الشرعيِّ والأَطباءِ المتخصِّصين الممارسةَ الصحيحةَ » .

□ □ □ **أَقول** : وها هي ذي فوائدُ أُخَرُ من كتبٍ أُخرى :

● **إِنكار المعتزلة للتلبُّسِ** :

١٦ - قالَ ابنُ حجر الهَيْتَميُّ في « الفتاوى الحديثيّةِ » (ص ٧٢)

مُستنبطًا من حديث « إنَّ الشيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ » :

« وبهِ يُرَدُّ على مَنْ أنكرَ سُلوكَه في بَدَنِ الإنسانِ كالمعتزلةِ » .

ثمَّ قالَ : « فدخولُهُ في بدنِهِ هو مذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ » .

● تلبُّس الجنّ للكفّار والغربيِّين :

١٧ - قالَ الأُستاذُ محمد فريد وَجْدي في كتابِه « الإِسلام في عصر العلم » (ص ٣٦٥) :

« روت (المجلّة الروحيّة) عن جريدة (نيويورك ميل آند إِكسبرسّ) أَنَّ الأُستاذين الشهيرين ريتشارد هودس وجيمس هيزلوب - اللَّذين دَرَسا الإِسبرتزم بواسطةِ مدام بيير ١٢ سنة - قد نَشَرا نتيجةَ أَبحاثِهما في كتابٍ جاءَ فيه هذه العبارةُ : « إِنَّ عددًا عديدًا من المجانين الذين يُحْبَسونَ في البيمارستانات [١] ليسوا بمُصابين بأَمراضٍ عقليّةٍ ، بل مملوكون لأَرواحٍ قد استولت عليهم واستخدمتهم ! » .

● سُلطان الشيطان على الإِنسان :

١٨ - بيَّنَ الأُستاذُ وليّ زار بن شاهز الدين في كتابِه « الجنّ في القرآن والسنّة » [٢] (ص ٢٣٢) الوجهَ الصحيحَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ وما كانَ لي عليكم من سُلطانٍ إِلّا أَنْ دعوتُكم فاسْتَجَبتُم لي ﴾ - الذي استدلَّ به

(١) هي المستشفيات .

(٢) وهو رسالة ماجستير .

المُنكِرون للمسّ ! - ، قائلًا :

« إنَّ هذه الآيةَ تنفي سُلطانَه عليهم بالقهرِ على فعلِ المعاصي والإغواءِ ، وإنّما يتأتّى منه الوسوسةُ وتَزْيِينُ الضلالِ لهم فقط ، ولم تتعرّض الآيةُ أَصلًا إلى إيصالِ إيذائِهِ إليهم بدنيًّا، والنصوصُ الواضحةُ الدالّةُ على إيذائِهِ جسميًّا كثيرةٌ ».

● خَنْق الجنّ للإنسِ :

١٩ - تكلَّمَ العلّامةُ القَرَافيُّ في كتابِه « الذَّخيرة » (١ / ٢٣٣) عن خَنْقِ الجنِّ للإنسِ ، وهل يوجبُ وضوءَ الإنسيّ من ذلك ؟! ثمَّ نَقَلَ خِلافَ أهلِ العلمِ في ذلك ..

فلْيُنْظَر ..

● مفاسد الجَدَل [1] مع الجنّ :

في كتاب « الدليل والبرهان على بُطلانِ أَعراضِ المسّ ومُحاورة الجان » (ص ٤٤ - ٤٨) تأليف مدحت عاطف ، بحثٌ جيّدٌ حولَ المفاسدِ المترتّبةِ على المُحاوراتِ الجدليّةِ مع الجنّيِّ المتلبّسِ ، قالَ :

« ولا يخفى على كلِّ ذي لُبٍّ وضميرٍ يقظٍ أَنَّ تلك المحاوراتِ أَورثتْ مساوئَ ومفاسدَ توجبُ غلقَ بابِها ، حتّى وإنْ كانت شرعيّةً ، وذلك درءًا للمفاسدِ وسدًّا لذرائعِ الشرِّ الذي ترتّبَ على انتشارِ محاوراتِ الجنِّ في الكتبِ وشرائطِ الكاسيت .

---

(١) انظر ما سيأتي (ص ٢٢٠) تحت عنوان : « ثامنًا » .

وإليكم معاشرَ الكتّابِ والمعالِجين المساوىءَ التي أدَّت إليها محاوراتُكم مع الجنِّ :

* **المفسدةُ الأُولى : التمثيل :**

ولا غرابةَ في ذلك ، إذ إنَّ مشاكلَ الحياةِ المعقدةِ والتي عجزَ الكثيرُ عن حلِّها والتصدِّي لها ، ولم يجدوا لها منفذًا ولا مخرجًا إلّا الفرارَ والهروبَ من واقعِها الأَليمِ ، فيلوذوا بما سَمِعُوا أَو قرأوا عن المُحاوراتِ ، فحفظوا عن الجنِّ والمعالِجِ الأَسئلةَ والأَجوبةَ .

فلا يجدوا ملجأً ، ولا يروْا منجى لخروجِهم من واقعِ حياتِهم العصيبِ إلّا كذبَهم واعتداءَهم على عالمِ الجنِّ ، وتمثيلَهم بأَنَّ الذي حوَّلَ مسارَ حياتِهم وبدَّدَ أَحلامَهم هو الجنّ .

وسُرعان ما يذهبونَ إلى أَحدِ المعالجين ، فيقرأُ عليهم ، فيلعبُ صاحبُ المُشكلةِ دورَ الجنّيِّ ، متجنيًا على الجنِّ ، والمعالجُ يسألُ والممثلُ يجيبُ ، وهلمَّ جرًّا من تهريجٍ وعبثٍ وضياعٍ للوقتِ والحقِّ .

* **المفسدةُ الثانية : الهلع والخوف والقلق :**

قد تنعقدُ جلسةٌ جدليّةٌ في بيتٍ من بيوتِ المُسلمين أَمامَ أُسرةٍ فيها الصَّغيرُ والكبيرُ .. رقيقُ القلبِ ضعيفُ الفهمِ .. فيتناولُ المعالِجُ أَطرافَ الجدلِ مع الجنِّ ، ويُسهبُ المعالِجُ في أَسئلتِهِ ، ويكثرُ الجنُّ من الكذبِ والاختلاقِ .

وعلى سبيلِ المثالِ لا الحصر ، فالحصر يُدمي :

يسألُ المعالِجُ : مِن أيٍّ نوعٍ تكون ؟

فيجيبُ الجنّيّ : أَنا ملكُ الجنِّ الأَحمرِ !!

وتنتهي الحلقةُ التهريجيّةُ بانصرافِ المعالِجِ دونَ علاجٍ ، ويبقى الجنّيُّ قابعًا في بدنِ المعالَجِ .

فباللهِ .. كيفَ تنامُ أُسرةٌ ؟ بل كيفَ ينامُ فيها الصَّغيرُ الذي شاهدَ وعاينَ المجادلةَ المأساويّةَ ، وعلمَ أَنَّ ملكَ الجنِّ الأَحمر (!) ما زالَ رابضًا في بدنِ أَخيه أَو أُختِهِ أَو أُمِّهِ أَو أَبيهِ .

أَيُّها المهوِّلون :

ملك الجنِّ الأَحمر [١] !!

أَيُّ راحةٍ .. أَيُّ سكينةٍ .. أَيُّ هدوءٍ .. أَيُّ نومٍ يجرؤُ على مداعبةِ الجفونِ أَو العيونِ !!

أَظنُّ أَنَّ النومَ نفسَه سيخشى على نفسِهِ من دخولِ هذا البيتِ خوفًا من ملكِ الجنِّ الأَحمرِ ، فما بالُنا بأَهلِ البيتِ !! فاللهُ المُشتكى .

* **المفسدةُ الثالثة : التهويل :**

وذلك من انتشارِ تلك المحاوراتِ والتي صوَّرَ هؤلاءِ الكتَّابُ والمعالِجونَ

---

(١) تنبيه : ليس هناك جنّ أَحمر أَو أَصفر ! ولكنَّ أَنواعَ الجنّ ثلاثة ، كما أَخبرَ النبيُّ ﷺ : « الجنُّ ثلاثةُ أَصناف : صنفٌ لهم أَجنحةٌ يطيرونَ في الهواءِ ، وصنفٌ حيّاتٌ وعقارب ، وصنفٌ يحلّونَ ويظعنون » « صحيح الجامع » (٣ / ٨٥) .

الجنَّ للنّاسِ على أنّه مسٌّ وسحرٌ ، وكأنَّ الجنَّ ما خُلقوا إلّا من أَجلِ وظيفة واحدةٍ وعملٍ واحدٍ لا ثانيَ له ، أَلَا وهو : السحرُ والمسُّ ، والإضرارُ بالنَّاسِ .

*** المفسدةُ الرابعة : الفتنة والوقيعة بين النَّاسِ :**

وتلكَ المفسدةُ العظيمةُ التي قد يصلُ فيها الأَمرُ إلى القتلِ وقطيعةِ الرَّحِمِ نتاج الشحناءِ والبغضاءِ والخصامِ ، وذلكَ عندما يسأَلُ المعالِجُ الهُمامُ (!) الجنِّيَّ قائلًا : مَنْ صَنَعَ هذا السحرَ بالإِنسيّةِ الممسوسةِ ؟ فتكونُ الإجابةُ على جناحِ السرعةِ - وكأنّها الفرصةُ التي أَتاحها المعالِجُ بجهلِهِ للجنيّ - فلان بن فلان [1] ، وبسرعةِ البرقِ يبحثُ الجميعُ عن فلانٍ المسكين ، وكأَنَّ الحكمَ قد نزلَ من السماءِ ، وقد يكونُ فلانٌ هذا أَخًا للمريضِ ، أَو أُختَها ، أَو عمَّها ، أَو عمّتَها ، أَو خالَها أَو خالتَها ، أَو جارَها ، فيقعُ المحظورُ من خلافاتٍ ومشاحناتٍ ومقاطعاتٍ للأَرحامِ .

انظروا كيفَ مزّقوا وشائجَ الرحمةِ .. انظروا كيفَ دمَّروا أَواصرَ الأُلفةِ .. كيفَ ضربوا الأَمانَ .. كيفَ ضربوا السكينةَ والوِئامَ .

فإلى أَيِّ مدى أَشعلتْ محاوراتُكم الموؤدةُ الميتةُ جذورَ الفتنةِ ونارَ الفُرقةِ بين النَّاسِ .. فتنٌ كقطعِ الليلِ المظلمِ جرَّتنا إليها محاوراتُكم !!

واللهُ المُستعانُ .

---

(١) لا يخفى علينا تلك الثغرة التي مكّنوا بها الجنّيّ المعتدي من الأُسرةِ المعتدَى عليها فوقَ اعتدائِهِ ، وهي الكذب الذي يراه الجنيّ فرصةً يقتنصُها للخلاصِ من الأُسرةِ بأَسرِها .

*** المفسدةُ الخامسة : اضمحلال الصورة التخصصيّة في علمِ الجنّ[1]:**

فأَصبحَ كلُّ من هبَّ ودبَّ وقرأَ كتابًا عن الجنِّ، أَو حفظَ محاورةً مع الجنِّ، يظنُّ في نفسِهِ القدرةَ على علاجِ المسِّ، وسرعان ما يعلنُ عن نفسِهِ وقدرتِهِ !

وممّا يزيدُ الطينَ بِلَّةً قيامُ هذا المعالجِ بتأليفِ كتابٍ عن المحاوراتِ التي دارت بينَه وبينَ الجنِّ .. الأَمرُ الذي أَدَّى إِلى انتشارِ هذا المرضِ انتشارًا عجيبًا مذهلًا ومريبًا .

*** المفسدةُ السادسة : العُجْبُ الذي قد يَلحقُ بالمعالِجِ :**

فقد يُصابُ المعالِجُ بداءِ العُجبِ من جرَّاءِ مكرِ الجنِّ ، وعلى سبيلِ المثالِ كتبَ أَحدُ المعالجين تحت عنوان : (جنّي يريدُ أَنْ يدخلَ في الشيخِ !) :

فبعد محاورةٍ بين الشيخِ والجنّيِّ ، قالَ الشيخُ للجنيِّ :

أَتخرجُ ؟

قالَ (أَي الجنيّ) : نعم أَخرجُ ولكنْ بشرط .

قالَ : ما الشرطُ ؟

قالَ : أَخرجُ منها وأَدخلُ فيكَ أَنتَ !!

---

(١) قالَ المؤلّفُ (ص ٧٢) : « وأَقصدُ التخصُّصَ في علمِ الجنّ ، لا التخصُّص في علاجِ الجنّ ؛ فالتخصُّصُ في علاجِ الجنّ أَدّى إِلى مفاسدَ كثيرةٍ أَسْلَفْنا الحديثَ عنها .

أَمّا التخصُّص في علمِ الجنّ فهو سياجٌ للمعالِجين والمُعالَجين ، وتوعيةٌ للنّاسِ عامّة ، والمسلمين خاصّة » .

قالَ الشيخُ : لا بأس اخرُجْ منها وادخلْ فيَّ إنْ استعطتَ .

فانتظرَ قليلًا [١] ، ثمَّ بكى .

فقالَ الشيخُ : ما يبكيك ؟

قالَ : أَنتَ قلتَ أَذكارَ الصباحِ اليومَ ، لا أَستطيعُ أَنْ أَدخلَ فيك . اهـ

ولا يخفى علينا ما ينطوي عليه خبث ومكر الجنيِّ ، وذلك في استدراجِ المعالِجِ والزجِّ به في غياهبِ آفاتِ القلوبِ ومحبطاتِ الأَعمالِ ، من رياءٍ ونفاقٍ وكِبْرٍ ، والعياذُ باللهِ » . ا.هـ .

أَقولُ :

وثَمَّتَ مفسدةٌ **سابعةٌ** ، وهي تمكينُ الجنيِّ المُتلبِّسِ مِن البقاءِ فترةً أَطولَ في بَدَنِ الملبوسِ ، إذ إنَّ المحاورَ في جدلِهِ مع الجنيِّ يتوقَّفُ حينذاكِ من قراءةِ القرآنِ عليه – وهي ما يُزعجُهُ ويَؤزُّه ويُقلِقُه – ، ممّا يتيحُ لذلك الجنّيِّ زيادة الاستقرارِ أَكثر ، وتخفيفَ الشدّةِ عليه أَكثر ..

بل إنَّ الجنيَّ قد يُكثِرُ من القولِ بالباطلِ [٢] والتكثُّرِ بالكذبِ ؛ خداعًا للرَّاقي ، وإبعادًا له عن دورِهِ الصحيحِ في الرقيةِ ، وإيقاعًا له بمزيد من الحوارِ والمجادلةِ .

□ □ □ □ □

---

(١) يريد الشيخ أَنْ يُشعرَ القارئَ بأَنَّ الجنيَّ قد حاولَ الدُّخولَ فيه فلم يستطعْ !! فانتبه .

(٢) على فرضِ التسليمِ بذلك كما تقدّمَ مرارًا .

الخُـــلاصَـــةُ
وصَفْوَةُ القَوْلِ

... حتَّى يكونَ الإخوةُ القُرّاءُ على بيِّنةٍ مِن هذه المسألةِ ، ولِتَتَّضِحَ أَمَامَهم قواعِدُها وأُسُسُها - وما يتَّصلُ بها سَلْبًا أَو إِيجابًا - أَذْكُرُ - ها هُنا - خُلاصةَ ما وصلتُ إِليه في بَحْثي ودراستي :

أَوَّلًا : مسألةُ تلبُّسِ الجنِّيِّ الإنسيَّ مِن المسائلِ المُقرَّرةِ عند عُلَماءِ أَهلِ السنّةِ ؛ عقيدةً ، وحديثًا ، وتفسيرًا .

بَل نَقَلَ غيرُ واحدٍ من أَثباتِ أَهل العلمِ اتفاقَ أَهل السنّةِ عليها .

ثانيًا : الأَدلّةُ على هذه المسأَلةِ متعدّدةٌ ، منها ظاهرُ القرآنِ [١] ، وصريحُ السنّةِ الصحيحةِ ، وآثارُ السَّلَفِ الصالحِ .

ثالثًا : لم يُنقل الخلافُ إِلّا عن أَفرادٍ من الرَّوافضِ والمُعتزلةِ ، أَو مَن تأَثّرَ

---

(١) ذكرَ الماوَرديّ في « النّكَت والعيون » (١ / ٣٨٤) في تفسير آيةِ المَسّ أَنَّ التَّخبُّطَ « مِن فعْلِ الشيطان بتمكين اللهِ له من ذلك في بعضِ النّاس دونَ بعضٍ ، **لأَنّه ظاهرُ القرآنِ ، وليسَ في العقلِ ما يمنعُه** » .

وانظر « مجاز القرآن » (١ / ٨٣) للإمام أَبي عُبَيدة مَعْمَر بن المُثنّى .

بهم من المُنتسبين إلى السُّنّةِ ، وهم نُدرةٌ .

رابعًا : العقلُ الصريحُ لا يُنكرُ أيًّا مِن هذه المسائلِ ، بل يَدُلُّ على إمكانيّةِ وقوعِها وحُدوثِها (١) .

خامسًا : علاقةُ الجانِّ بالإنسانِ تتعدّى الدّخولَ والتلبُّسَ ؛ لتصلَ إلى الإيذاءِ ، والمسِّ ، والصَّرْعِ ، والخطفِ ، والقتلِ ، وغيرِهِ .

سادسًا : ليس مع المُنكرين لهذه المسائلِ سوىٰ شبهاتٍ عقليّةٍ واهيةٍ ، وحُجَجٍ نظريّةٍ مُتهاوية .

سابعًا : مَن لم يَقْنَعْ بأَيٍّ مِن هذه المسائلِ ؛ فله أَن يتوقَّفَ في إثباتِها حتّى يظهرَ له الحقُّ ، ولكنْ لا يجوزُ له الإنكارُ ، والنفيُ ، فضلًا عن نسبةِ ذلك للإسلامِ ! إذ ليسَ في الشرعِ ما ينفي هذا الأَمرَ أَو يردُّهُ .

فليسَ على المُثْبِتِ إنكار ، لأَنَّ مَعَه الدلائلَ الكِبار ، والأَئمّةُ في هذا له أَنصار ..

يا ابنَ الأَعاربِ ما علينا باسٌ ما قلتُ إلّا ما حكاهُ النَّاسُ

وأَيُّ ناسٍ هُم !؟ إنّهم جماهيرُ أَهلِ السنّة والجماعة على مَرِّ العصور ..

ثامنًا : لم أَقِفْ على دليلٍ شرعيٍّ مُعْتَبَرٍ يُثبِتُ وقوعَ كلامِ الجنّيِّ على لسانِ الإنسيِّ ، وإنْ لم أَرَ ما ينفيهِ لا عَقْلًا ، ولا نَقْلًا .

---

(١) انظر التعليق السابق .

تاسعًا : الرُّقى الشرعيّةُ الثابتةُ هي القراءةُ القرآنيّةُ المجْمَلَةُ بعُمومِ نصوصِ القرآنِ ، أَو المُفَصَّلةُ بالآياتِ والسُّورِ الواردِ فضلُها في السُّنَّةِ المشرّفةِ وآثارِ السَّلَفِ الصالحِ .

عاشرًا : تَزَيَّدَ كثيرٌ مِن المُعالجِين والرّاقِين في هذه المسائلِ أُمُورًا مُتعدِّدةً ، كالخَنْقِ ، والضَّرْبِ ، وكتابةِ الحُجُبِ ، ونَحْوِ ذلك ممّا لا أَصلَ له ، الأَمرُ الذي دَفَعَ (البعضَ) لإنكارِ هذه التزيُّداتِ - وهذا حقٌّ - ، ولكنْ أَدّاهُ ذلك إِلى إنكارِ أَصلِ المسألةِ - بغير حقٍّ - !

حادي عشر : العلومُ الطِّبِّيّةُ قديمُها وحديثُها ليسَ فيها ما يَنْفي - من الناحيةِ العلميّةِ المحْضَةِ - إمكانيّةَ وقوعِ التلبُّسِ أَو المَسِّ أَو الصَّرْعِ .

وليسَ مع النّافينَ أَكثرُ مِن النَّفي المجُرَّدِ ، وهو باطلٌ !!

وأَمّا المُثْبِتون [1] : فَلِعُمومِ الأَدلّةِ الشرعيّةِ ، وَلوقائعِ التجرِبةِ ، والحِسِّ ، والمُشاهَدَةِ .

ثاني عشر : لَئِنْ وَرَدَت رواياتٌ ضعيفةٌ وواهيةٌ في ذِكر الصَّرْعِ والمَسِّ ؛ فإِنَّ ذلك لا يُشَغَّبُ به على ما كانَ صحيحًا منها أَو حَسَنًا ، كما قرّرهُ أَهلُ

---

(١) ولقد أَقامَتْ كليّة التمريض في الجامعة الأُردنيّة - عمّان - ندوةً علميّةً مُتَخَصِّصةً - شرعيّةً وطبيّةً - في تحليل مسألةِ الصَّرْع والمسّ الشيطانيّ شاركتُ فيها مع الدكتور الفاضل محمود أَبو دنُّون - وهو اختصاصي في علم النفس - فكانت النتيجةُ - بحمد اللهِ تعالى - مُتوافقةً أَدلّتُها ، ومتآلفةً نتائجُها ، لا تخرج عن هذه (الخُلاصةِ) التي ذكرتُها هنا .

العلمِ (المُتَجَرِّدون) ، كشيخ الإسلامِ ابن تيميّة ، والحافظ ابن حجر ، والإِمام ابن كثير ، والإِمام البِقاعيّ ، والإِمام البوصيريّ ، وشيخنا العلّامة الألبانيّ ، وسماحةِ أُستاذِنا الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن باز ، وغيرهم .

وأَمّا سِواهم مِن غيرِ (المُبْحِرين) - ولا أَقولُ : المُتَبَحِّرين ! - فلم يأتوا بشيءٍ إِلّا التقعُّر في العبارةِ ، والتهويش في القولِ ، والنقد السَّطحيّ الواهِي [1] !

فضلًا عن قلّةِ الإِحاطةِ، والتسرُّع في الحكمِ ، وعدمِ الانضباطِ في النَّظَرِ.

---

(١) ثمّ رأيتُ - عَرَضًا - في مجلّة (اليقظة) (!!!) الكُويتيّة / عدد : ١٤١١ (ص ٤٢ - ٤٤) لقاءً (صحفيًّا) مَعَ واحدٍ (آخَرَ) من هؤلاءِ (المُنكِرين) - الخائضين ما لا يعلمون ، المُتكلِّمين بما لا يُحْسِنون - يُدعى (محمود المغربي) [1] (!!!) ، ذَكَرَ في لقائِه (الصحفيّ) هذا غرائبَ وعجائبَ ، أَسوقُ منها الآنَ شيئًا (يسيرًا) أُنَبِّهُ به على ما وراءَه من طامّاتٍ ومُخَبَّآتٍ !!

أَولاً : نَسَبَ إلى الرَّسولِ ﷺ أنَّه قالَ : « خُذْ من القرآنِ ما شئت لما شئت » !!

وهو حديثٌ باطلٌ لا أَصلَ له ، ولا يُعرفُ في شيءٍ من كتبِ المسلمين !!

ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ في الحديث المتفقِ على صحتِهِ : « مَنْ كَذَبَ عليَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه من النّار » [2] .

....

(١) ونسبة (المغربي) نِسْبَةٌ فضفاضةٌ تَغُرُّ العامّةَ ، وتُثير انتباهَهم ، وتَسْتَرعي أَنظارَهم ؛ لذلك يَنْتَسِبُ إليها كثيرٌ من المشعوذين ، والدجّالين ، والسَّحَرة الضالّين !!

(٢) انظر « جزء طرق حديث : مَن كَذب عليّ متعمدًا » (رقم : ٧٤) للطبراني - بتحقيقي .

ثانيًا : أشارَ إلى أنّه يستعملُ (البخُور) في معالجتِهِ (حسب الحالة) !!

وليس من شكٍّ أنَّ استعمالَ البخُورِ من صنائعِ المُشعوذين ، حيث يجلبون الجنَّ والشياطين، ويستهوونهم بها على هذه النيّة ، فهذا لا يجوزُ بحالٍ [1] .

ثالثًا : هَوَّن مِن بدعةِ (صب الرصاص) لشفاءِ المرضى (!) بقولِه : « لا أَعلمُ شيئًا عنه ، وأَعتقدُ أنّها شائعةٌ في كلِّ البلاد » !

وهذا منه إحالةٌ على غيرِ مليءٍ ؛ فإنَّ شيوعَ الفعلِ لا يدلُّ على تسويغِهِ ، أَو التهوينِ من أَمرِهِ ، فهذا الصَّنيعُ باطلٌ بمرّة .

رابعًا : وكذلك فعلَ في موضوعِ (الخَرَز) وتعليقِهِ !!

وهو - أيضًا - باطلٌ ، ومن صنائعِ أَهلِ الشِّرك [2] - عياذًا باللهِ - .

خامسًا : قالَ : « أمّا بالنسبةِ لاسمِ الأُمّ ؛ فحسب المُعالِج ؛ فأَنا شخصيًّا أَستعملُ اسمَ الأُمِّ ، ومِن خلالِهِ أَعلمُ إذا كانَ الشخصُ من الطبعِ الناري ، أَو المائي .. » !!

وكلّ هذا من أَفاعيل المُشعوذين ، وهو بِدَعٌ ما أَنزلَ اللهُ بها من سُلطان ، فلا يجوزُ البتّةَ .

سادسًا : نَسب إلى الرّسولِ ﷺ أَنّه قالَ : « المَعِدةُ بيتُ الدّاءِ ، والحِمْيةُ رأسُ الدَّواءِ » !!

وهذا - أَيضًا - حديثٌ لا أَصل له ؛ كما قالَ الحافظُ العراقي في كتابِه « المُغني عن حمل الأَسفارِ في الأَسفار » (رقم : ٢٧٧٠) .

وقالَ السخاويّ في « المقاصد الحسنة » (رقم : ١٠٣٥) : « لا يصحُّ رفعُهُ إلى النبيِّ ﷺ ، بل هو من كلامِ الحارث بن كلدة طبيب العَرَبِ أَو غيره » .

وانظر « الفوائد المجموعة » (٢٦٢) للشوكانيّ ، و « المصنوع » (٣٠٦) للقاري ، و « كشف الخفاء » (٢ / ٢١٤) للعجلوني .

(١) نعم ؛ استعمال البخُور لطيبِ رائحتِهِ وحُسْنِ عبيرِهِ لا إشكالَ في جوازِه في غيرِ هذا المقام .

(٢) وقد صحَّ قولُه ﷺ : « مَنْ علَّقَ تميمةً فقد أَشركَ » ، فانظر له « السلسلة الصحيحة » (رقم : ٤٩٢) .

= سابعًا : سألَه الصحفيُّ : « هل يتلبّس الجنُّ الإنسان أَم لا ؟! » فقالَ :

« كلُّ هذا تخريفٌ ، وليس له شيءٌ من الصحّةِ ، فهو عبارةٌ عن وسوسة ؛ لأَنَّ الإِنسانَ من أَعظمِ المخلوقات التي خلقَها اللهُ ، وسخّرَ له كلَّ هذا الكونِ ، وهو من أَشرفِ الموجوداتِ ... » !!

أَقول : وهذا الكلامُ كلّه « تخريف » بل تحريف !! وبيانُ ذلك من وجهين :

الأَوّل : نَفْيُهُ أَنْ يكونَ شيءٌ من ذلك صحيحًا ، وهذا نفيٌ باطلٌ ، ورأيٌ عاطلٌ ، بيّنتُ دلائلَ الصوابِ في ضدِّه فيما سبق من هذا الكتابِ ، بما لا يدع مجالًا لمرتاب .

الثاني : إِثباتُه أَنَّ ذلك وسوسةٌ ، ثمَّ رَبْطُهُ هذا الأَمرَ لكونِ « الإِنسان من أَعظم المخلوقات » !!

فأَقول : ما شأْنُ هذا بهذا ؟! وما صِلتُهُ به ؟!

ثمّ : هل الوسوسة من الشيطان أَيضًا أَم لا ؟!

فإِنْ أَثبتَها من الشيطان : فهذا إِبطالٌ للعلّة السابقة التي ربط بها كلامَه !!

فإِنْ نفاها : فقد ردَّ صريحَ القرآن ..

ثامنًا : نسبَ إِلى الرّسولِ ﷺ أَنّه قالَ : « عليكم بالشفاءَين : العسل والقرآن » !!

وقد روى الحديثَ ابنُ ماجه (٣٤٥٢) والحاكم (٤ / ٢٠٠ و ٤٠٣) والبيهقيّ (٩ / ٣٤٤) والخطيب في « تاريخ بغداد » (١١ / ٣٨٥) وابن عدي في « الكامل » (٣ / ١٠٦٥) عن ابن مسعود .

وفي سنده عنعنة أَبي إِسحاق السَّبيعيّ ؛ فهو ضعيفٌ .

وقد تكلّمتُ على الحديثِ بتوسّعٍ في تعليقي على « الإِسعاف بتخريج أَحاديث الكشّاف » (النحل / رقم : ٥) للزيلعي .

تاسعًا : استشهد بآيات من القرآن - في غيرِ مورِدِها - على علم الفَلَك !! .

أَقول : وهو ذاتُهُ علمُ التَّجوم !! وفيه كلامٌ كثيرٌ : =

= قالَ حاجي خليفة في « كشف الظنون » (٢ / ١٩٣٠) :

« وهو عند الإطلاق يَنْقَسمُ إلى ثلاثة أَقسام : حِسابيّات ، وطبيعيّات ، ووهميّات :

– أَمّا الحسابيّات : فهي يقينيّة ، فلا مَنْعَ في علمِها شرعًا .

– وأَمّا الطبيعيّات ؛ كالاستدلالِ من انتقالِ الشمسِ في البروجِ الفلكيّة إلى الفصول ؛ كالحرّ ، والبرد ، والاعتدال ، فليست بمردودة شرعًا أيضًا .

– وأَمّا الوهميّات ؛ كالاستدلالِ على الحوادث السفليّة خيرًا ، أَو شرًّا ، من اتصالاتِ الكواكبِ بطريق العُمومِ أَو الخصوصِ ، فلا استنادَ لها إلى أَصلٍ شرعيٍّ ، ولذلك هي مردودة شرعًا ... » .

ثمّ ذكرَ بعضَ الأَدلّة على هذا الردّ والمنع .

ومثله قال صدّيق حسن خان في كتابِه « أَبجد العلوم » (٢ / ٥٥٢) .

لهذا ؛ قالَ الحافظُ ابن رجبٍ الحنبليّ في رسالته النافعة : « فضل علم السلف على الخلف » (ص ٢١ – بتحقيقي) : « فعلمُ تأثير النجومِ باطلٌ محرّمٌ ، والعملُ بمقتضاه كالتقرُّبِ إلى النجومِ ، وتقريبِ القرابين لها : كُفْرٌ » .

وللحافظِ الإمام ابن قيّم الجوزيّة – رحمه اللهُ تعالى – في كتابِهِ « مِفتاح دار السعادة » (٣ / ٨٨ – ٣٩٠) كلامٌ مطوّلٌ في إنكارِ تأثيرِ النجومِ ، والتنجيم، وما شابَهَهُما ، فانْظُرْه بتحقيقي .

عاشرًا : بناءً على نظريتِهِ الباطلةِ لعلمِ النجومِ والفلكِ قالَ : « والكواكبُ تُؤَثِّرُ في مواليدِ الأَبراجِ التي تحكمُها ، لدرجة معيّنةٍ خلاف تأثيرِ البرجِ نفسهِ ... » !!

وكلُّ ذلك جهلٌ وضلال ، فلا نُطيلُ فيه المقال ..

حادي عشر : رتّب في نهاية (اللقاء الصحفي) آياتٍ قرآنيّةً بنَظْمٍ خاصٍ ، سمّاها (آيات فكّ السحر) !! ثمّ سَرَدَها ليقرأها المصابُ (على شكل أَوراد كلّ يوم) !!

وهذا كلُّه من المحدثاتِ ، وفي الحديثِ المتّفق على صحتِهِ « مَن أَحدثَ في أَمرِنا هذا ما =

....

= ليسَ منه فهو ردٌّ » (١) .

.... أَقولُ ختامًا :

إِنَّ بابَ الردِّ على المخالفين – على تنوُّعِ دَرَجاتِهم وتباينِ أَفكارِهم – بابٌ كبيرٌ واسعٌ ، أَقتصرُ فيه الساعةَ على ما تقدّمَ ذِكْرُهُ وبيانُهُ ، سائلًا اللهَ – جلَّ وعلا – أَنْ يكونَ ما كتبتُ سببًا لهدايةِ المنحرفين ، وتوفيقِ الضالِّين ، وإِرشادِ التائهين .

....

(١) انظر « جزء اتّباع السنن واجتناب البدع » (رقم : ٤) للضياء المقدسي – بتحقيقي .

الخـــاتـمـة
- أســأل الـلـه حُسـنـهـا -

... هذا آخِرُ ما وَسِعَني ذِكْرُهُ في هذهِ **العُجالةِ المُختصرة** ؛ لظروفٍ **خاصّةٍ** بي وبكُتُبي، يَعْلَمُها القريبونَ مِنِّي ، العارِفونَ بشأني.

وإنَّ عندي في هذه المسألةِ -وللهِ الحمدُ- **لمَزيدًا**، لكنّي أُرجِئُ إيرادَه وسَوْقَه لِمُناسَبَةٍ أُخرى ، مَعَ ما يغلبُ على ظنّي - الساعةَ - أَنَّ فيما ذكرتُهُ كفايةً للرَّاغِبين ، وغَنَاءً **للمُخْلِصين** ..

ثُمَّ إنّي أَعودُ لِأُذَكِّرَ بما قرَّرْتُهُ بدايةً :

إنَّ هذه المسألةَ **من المسائلِ الاعتقاديّةِ المُعْتَبَرةِ عند أَهلِ السنّةِ والجماعةِ**، فلا يجوزُ عَدُّها من « المسائلِ الاجتهاديّة » [1] ، أَو القولُ بأَنّها « تتفاوتُ مِن شخصٍ إلى آخرَ باختلافِ **الأُصولِ الفكريّة** (!) التي بينهما » [1] !!!

فالأُصولُ الفكريّةُ عند أَهلِ السنّةِ والجماعةِ مؤتلفةٌ غيرُ مُختلفة ، ومُتَّفِقةٌ غيرُ مُفترقة ..

وإنّما (الاختلافُ) و (التفاوت) وَارِدٌ على مَن تنكَّبَ طريقَهم ، أَو

---

(١) كما قالَ ذاكَ المدعو حسّان عبدالمنان في أُكتوبته « الأُسطورة » (ص ٤٦) !!

اغْتَرَّ بِشِقْشِقاتِ مَن خالَفَهم !!

وبخاصّةٍ في مسألةٍ نُقِلَ فيها الاتّفاقُ - كمسألتِنا - ؛ فلا يَسَعُ المؤمنَ النقيَّ ، ولا الطالبَ الوفيَّ إلّا الخضوعُ لهذا الحُكْمِ فيها ، والانْصِياعُ له ؛ « لِهَيبةِ الاتفاقِ في القلوبِ ، وأَنَّه ليسَ لأَحدٍ خِلافُهُ » (١) .

والحقُّ أَبلج .. والباطلُ لَجْلَج ..

وآخرُ دعوانا أَنِ الحمدُ للّهِ ربِّ العالَمين .

وكتب
أَبـو الحـارث الحلبـيُّ الأَثـــريُّ
عفا اللهُ عنه

بعد ظهرِ يوم السبتِ (٢)

٢٠ / جمادى الأُولى / ١٤١٦هـ

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٣٠ / ٢٦٩) لشيخ الإسلامِ ابن تيميّة .

(٢) ثمَّ راجعتُهُ - مِرارًا - وزِدْتُ عليه - تكرارًا - في مجالسَ آخِرُها صبيحةُ يومِ السبتِ لأَربعة أَيّامٍ بقينَ من شهرِ شوّال سنة (١٤١٦هـ) .

فالحمدُ للهِ مِن قَبْلُ ومِن بَعْدُ ...

الفهارس العلميّة



١ - مَسْرَدُ المَراجع

١ - « « الآحاد والمَثاني » / ابن أَبي عاصم - السعوديّة .
٢ - « آراء أَبي بكر بن العربي الكلاميّة » / عمّار الطالبي - الجزائر .
٣ - « آكام المرجان » / الشِّبْلي - لبنان .
٤ - « الإِبانة عن أُصول الديانة » / الأَشعري - مصر .
٥ - « « أَبجد العلوم » صدّيق حسن خان - لبنان .
٦ - « « أَبو نصر الفارابي » / ابن عقيل الظاهري - السعوديّة .
٧ - « الإِحسان في ترتيب صحيح ابن حبّان » / ابن بلبان - لبنان .
٨ - « إِرواء الغليل » / الأَلباني - لبنان .
٩ - « إِرشاد طلّاب الحقائق » / النووي - لبنان .
١٠ - « أَساس البلاغة » / الزمخشري - مصر .
١١ - « أَساطير المعاصرين » / أَحمد عبدالرحمن - مصر .
١٢ - « الأَساطير والخرافات عند العرب » / محمد عبدالمُعيد خان - لبنان .
١٣ - « استحالة دخول الجانّ بَدن الإِنسان » / إِيهاب الأَثري !! - مصر .

١٤ - « الإسرائيليّات والموضوعات في كتبِ التفسير » / محمد أَبو شهبة - مصر.
١٥ - « الإسعاف بتخريج أَحاديث الكشّاف » / الزيلعي - مخطوط .
١٦ - « الأُسطورة التي هوت » / حسّان عبدالمنان ! - الأُردن .
١٧ - « الإسلام والعلاج النفسي الحديث » / عبدالرحمن العيسوي - لبنان .
١٨ - « أَضواء البيان في إيضاحِ القرآنِ بالقرآنِ » / محمد الأَمين الشنقيطي- السعوديّة .
١٩ - « أَضواء على حديث : خلق الله التربة » / سعد المَرْصَفيّ - لبنان .
٢٠ - « أَضواء على السنّة المحمديّة » / محمود أَبو ريَّة !! - مصر .
٢١ - « إطْراف المُسْنِد المعتلي » / ابن حجر - لبنان .
٢٢ - « الاعتصام » / الشاطبي - مصر .
٢٣ - « اعتقاد أَئمّة الحديث » / الإسماعيلي - السعوديّة .
٢٤ - « إغاثة اللهفان » / ابن القيّم - مصر .
٢٥ - « اقتضاء الصراط المستقيم » / ابن تيميّة - السعوديّة .
٢٦ - « إكمال إكمال المُعلم » / الأُبّي - لبنان .
٢٧ - « الانتصاف من الكشّاف » / ابن المُنيّر - مصر .
٢٨ - « الإنسان ذلك المجهول » / ألكسيس كاريل - لبنان .
٢٩ - « الأَنوار الكاشفة » / عبدالرحمن المُعَلِّمي - لبنان .

٣٠ - « أَيسر التفاسير » / أَبو بكر الجزائريّ - السعوديّة .

٣١ - « البحر المحيط » / أَبو حيّان الأَندلسي - مصر .

٣٢ - « البداية والنهاية » / ابن كثير - مصر .

٣٣ - « بذل الماعون » / ابن حجر ، السعوديّة .

٣٤ - « بيان تلبيس الجهميّة » / ابن تيميّة - السعوديّة .

٣٥ - « بين الدِّين والمَدَنيّة » / أَبو الحسن الندوي - لبنان .

٣٦ - « تاريخ الإِسلام » / الذهبيّ - لبنان .

٣٧ - « تاريخ بغداد » / الخطيب - مصر .

٣٨ - « تاريخ جُرجان » / السَّهْميّ - الهند .

٣٩ - « تاريخ دمشق » / ابن عساكر - مخطوط .

٤٠ - « التأويل : خطورتُه وآثاره » / عمر الأَشقر - الأُردن .

٤١ - « تباريح التباريح » / عبدالرحمن بن عقيل الظاهريّ - السعوديّة .

٤٢ - « التِّبر المَسْبوك في ذيل السُّلوك » / السخاويّ - مصر .

٤٣ - « التحرير والتنوير » / الطاهر بن عاشور - مصر .

٤٤ - « تحضير الأَرواح بين الحقيقة والخِداع » / محمد أَحمد الخطيب - الأُردن .

٤٥ - « تحفة الأَريب » / أَبو حيّان الأَندلسي - لبنان .

٤٦ - « الترغيب والترهيب » / المنذري - مصر .

٤٧ - « تعجيل المنفعة » / ابن حجر - الهند .

٤٨ - « التعريفات » / الجُرجانيّ - لبنان .

٤٩ - « تفسير القرآن العظيم » / ابن كثير - السعوديّة .

٥٠ - « تفسير المنار » / محمد رشيد رضا - مصر .

٥١ - « التمهيد » / ابن عبد البَرّ - المغرب .

٥٢ - « تهذيب التهذيب » / ابن حجر - الهند .

٥٣ - « تهذيب الكمال » / المزّي - لبنان .

٥٤ - « توضيح الأَفكار » / الصنعاني - مصر .

٥٥ - « التوقيف على مهمّات التعاريف » / المُناوي - سوريا .

٥٦ - « جامع البيان في تأويل القرآن » / ابن جرير - مصر .

٥٧ - « جامع التحصيل في أَحكام المَراسيل » / العلائي - لبنان .

٥٨ - « الجامع لأَحكام القرآن » / القرطبيّ - مصر .

٥٩ - « الجرح والتعديل » / ابن أَبي حاتم - الهند .

٦٠ - « جزء اتباع السُّنن » / الضياء المقدسيّ - السعوديّة .

٦١ - « جزء طرق حديث : مَن كَذَب عليّ » / الطبراني - الأُردن .

٦٢ - « الجنّ في ذكر أَحوال الجنّ » / سيد عبدالله حسين - مصر .

٦٣ - « الجنّ في القرآن والسنّة » ولي زاد بن شاهز - لبنان

٦٤ - « الجنّ والشياطين بين العقل والدين » / رياض العبدالله - سوريا .

٦٥ - « حوار هادئ مع محمد الغزالي » / سَلْمان العودة - السعوديّة .

٦٦ - « الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور » / السيوطي - مصر .

٦٧ - « دلائل النبوّة » / البيهقي - لبنان .

٦٨ - « الدليل والبُرهان على بُطلان أَعراض المسّ ومحاورة الجانّ »/ مدحت عاطف- مصر .

٦٩ - « « الدليل والبُرهان على دخول الجانّ بدن الإِنسان » / عبدالحميد الهنداوي - مصر .

٧٠ - « الذخيرة » / القرافي - لبنان .

٧١ - « ردود على أَباطيل » / محمد الحامد - سوريّا .

٧٢ - « رسائل أَبي حيّان التوحيدي » / جمع إبراهيم الكيلاني - سوريا .

٧٣ - « الرسائل الحِسان لنصائحِ الإِخوان » / عبدالله بن حُميد - السعوديّة .

٧٤ - « الرُّقى في ضوءِ عقيدةِ أَهلِ السنّة » / علي نُفَيع العلياني - السعوديّة .

٧٥ - « ركائز الإِيمان بين العقل والقلب » / محمد الغزالي - مصر .

٧٦ - « روح المَعاني » / الآلوسيّ - مصر .

٧٧ - « رياض الصالحين » / النووي - الأُردن !

٧٨ - « زاد المَسير » / ابن الجوزي - لبنان .

٧٩ - « زاد المعاد » / ابن القيّم - لبنان .

٨٠ - « « سلسلة الأَحاديث الصحيحة » / الأَلباني - السعوديّة .

٨١ - « سلسلة الأَحاديث الضعيفة » / الأَلباني - السعوديّة .

٨٢ - « « السنّة النبويّة بين أَهلِ الفقهِ وأَهلِ الحديث » / محمد الغزاليّ ! - مصر .

٨٣ - « السُّنن » / ابن ماجه - مصر .

٨٤ - « السُّنن » / أَبو داود - مصر .

٨٥ - « « السُّنن » / الترمذيّ - مصر .

٨٦ - « السُّنن » / الدارمي - سوريّا .

٨٧ - « السُّنن » / النَّسائي - لبنان .

٨٨ - « سير أَعلام النبلاءِ » / الذَّهبيّ - لبنان .

٨٩ - « شرح المقاصد » / التفتازاني - لبنان .

٩٠ - « الصَحيح » / البخاري - لبنان .

٩١ - « الصحيح » / مسلم - مصر .

٩٢ - « « صحيح الجامع الصَّغير » / الأَلباني - لبنان .

٩٣ - « صفة صلاة النبيّ ﷺ » / الأَلباني - السعوديّة .

٩٤ - « الصَّواعق المرسَلة » / ابن القيّم ، السَّعوديّة .

٩٥ - « صيحة الحقّ » / أَبو الوفاء درويش - مصر .

٩٦ - « الضعفاء » / العقيلي - لبنان .

٩٧ - « ضعيف الجامع الصَّغير » / الألباني - لبنان .

٩٨ - « الطبّ من الكتابِ والسنّة » / موفّق الدين البغدادي - لبنان .

٩٩ - « الطبّ النبويّ » / ابن القيّم - لبنان .

١٠٠ - « طبقات الحنابلة » / ابن أبي يعلى ، لبنان .

١٠١ - « الطبقات الكُبرى » / ابن سعد - لبنان .

١٠٢ - « الطبيب المسلم وأَخلاقيّات المهنة » / مجموعة أَطباء - الأُردن .

١٠٣ - « عالم الجنّ في ضوءِ الكتابِ والسنّة » / عبدالكريم نوفان - السعوديّة .

١٠٤ - « عالم الجنّ والملائكة » / عبدالرّزاق نوفل - مصر .

١٠٥ - « العُباب » / الصَّغَاني - العراق .

١٠٦ - « عُقلاء المجانين » / ابن حبيب - لبنان .

١٠٧ - « العقلانيّون » / علي بن حسن - السعوديّة .

١٠٨ - « عقيدة المؤمن » / أَبو بكر الجزائري - السعوديّة .

١٠٩ - « العلاج القرآني والطبّي من الصَّرْع الجنّي والعُضوي » / أَحمد محمود الديب - مصر .

١١٠ - « العلاقة بين الجنّ والإِنس من منظار الكتابِ والسنّة » / إِبراهيم كمال أَدهم - لبنان .

١١١ - « علم النفس في التصوُّرِ الإِسلاميّ » / عبدالحميد الهاشمي - السعوديّة .

١١٢ - « العلوم الطبيعيّة والاجتماعيّة من وجهة النّظر الإِسلاميّة » / إِسماعيل الفاروقي - مصر .

١١٣ - « العِلل ومعرفة الرِّجال » / أَحمد بن حنبل - لبنان .

١١٤ - « عيون الأَنباء في طبقات الأَطبّاء » / ابن أَبي أُصيبعة - لبنان .

١١٥ - « غريب الحديث » / ابن الجوزي - لبنان .

١١٦ - « غريب القرآن » / ابن قتيبة - مصر .

١١٧ - « الفتاوى الحديثيّة » / ابن حجر الهَيْتَميّ - مصر .

١١٨ - « فتح الباري » / ابن حجر - مصر .

١١٩ - « فتح البيان » / صدّيق حسن خان - مصر .

١٢٠ - « فتح الحقِّ المُبين في علاج الصَّرْعِ والسحرِ والعَيْنِ » ، محمد عبدالله الطيّار - السعوديّة .

١٢١ - « فتح القدير » / الشوكاني - مصر .

١٢٢ - « فتح المغيث » / السخاوي - الهند .

١٢٣ - « الفَريد في إِعراب القرآن المجيد » / المنتجب الهَمْدانيّ - الإِمارات المتحدة .

١٢٤ - « الفِصَل في المِلَلِ والأَهواءِ والنِّحَل » / ابن حزم - لبنان .

١٢٥ - « فضل علم السَّلفِ » / ابن رجب - الأُردن .

١٢٦ - « الفكر الإسلاميّ بين العقل والوحي » / عبدالعال سالم مكرم - لبنان .

١٢٧ - « الفوائد المجموعة » / الشوكاني - مصر .

١٢٨ - « القاموس المحيط » / الفيروزآبادي - لبنان .

١٢٩ - « القانون في الطبّ » / ابن سينا - لبنان .

١٣٠ - « القَبَس بشرح موطأ مالك بن أَنس » / ابن العربي - لبنان .

١٣١ - « قطف الثمر في عقيدة أَهل الأَثر » / صدّيق حسن خان - الأُردن .

١٣٢ - « قواعد الرُّقية الشرعيّة » / عبدالله السَّدْحان - السعوديّة .

١٣٣ - « الكاشِف » / الذهبيّ - لبنان .

١٣٤ - « الكافية في الجَدَل » / إِمام الحرمين - مصر .

١٣٥ - « الكامل » / ابن عدي - لبنان .

١٣٦ - « الكشّاف » / الزمخشريّ - مصر .

١٣٧ - « كشف الخفاء » العجلوني - لبنان .

١٣٨ - « كشف الظنون » / حاجي خليفة - تركيّا .

١٣٩ - « لسان العرب » / ابن منظور - لبنان .

١٤٠ - « لَقْط المرجان » / السّيوطي - لبنان .

١٤١ - « مجاز القرآن » / مَعْمر بن المثنّى - لبنان .

١٤٢ - « مجمع بحار الأَنوار » / الفَتَّني - الهند .

١٤٣ - « مجمع الزّوائد » / الهيثمي - مصر .

١٤٤ - « مجموع الفتاوى » / ابن باز - السعوديّة .

١٤٥ - « مجموع الفتاوى » / ابن تيميّة - السعوديّة .

١٤٦ - « مجموع الفتاوى » / ابن عثيمين - السعوديّة .

١٤٧ - « مجموع الرّسائل » / ابن حزم - لبنان .

١٤٨ - « محاسن التأويل » / القاسمي - مصر .

١٤٩ - « مدخل إلى الطبّ الإسلاميّ » / علي محمد مطاوع - مصر .

١٥٠ - « مذاهب الأَعراب وفلاسفة الإسلام في الجنّ » / القاسمي - مصر .

١٥١ - « مرض الصَّرْع : الأَسباب ، المشكلة ، العلاج » / لطفي الشربيني - لبنان .

١٥٢ - « مرض الصَّرْع : أَعراضُه وعلاجه » / قيس غانم - اليمن .

١٥٣ - « مسائل أَحمد » / أَبو داود - مصر .

١٥٤ - « المُستدرك » / الحاكم - الهند .

١٥٥ - « المسكونون بالشياطين » / رياض العبدالله - سوريّا .

١٥٦ - « المسند » / أَحمد بن حنبل - مصر .

١٥٧ - « المسند » / الرُّوياني - مخطوط .

١٥٨ - « المُسند » / الطيالسي - الهند .

١٥٩ - « المسند » / عَبْد بن حُميد - لبنان .

١٦٠ - « مشكاة المصابيح » / التبريزي - لبنان .

١٦١ - « مشكل الآثار » الطحاوي - لبنان .

١٦٢ - « مصائب الإنسان من مكائد الشيطان » / ابن مفلح - لبنان .

١٦٣ - « مصباح الزُّجاجة » / البوصيري - لبنان .

١٦٤ - « المصنّف » / ابن أَبي شيبة - الهند .

١٦٥ - « المصنوع » / علي القاري - لبنان .

١٦٦ - « المطالب العالية » / ابن حجر - مخطوط .

١٦٧ - « المُعالِجون بالقرآن » / مجموعة كتّاب - السعوديّة .

١٦٨ - « معالم التنزيل » / البغوي - السعوديّة .

١٦٩ - « المعتمد في أُصول الدين » / أَبو يعلى - مصر .

١٧٠ - « معجم الأَدباء » / ياقوت الحموي - لبنان .

١٧١ - « معجم غريب القرآن من صحيح البخاري » / محمد فؤاد عبدالباقي - مصر .

١٧٢ - « المعجم الكبير » / الطبراني - العراق .

١٧٣ - « مَعْلَمة الإِسلام » / أَنور الجندي - لبنان .

١٧٤ - « المعيار المعرب » / الونشريسيّ - لبنان .

١٧٥ - « المُغْني عن حَمْلِ الأَسفار » / العراقي - لبنان .

١٧٦ - « مفاتيح الغيب » / الرّازي - مصر .

١٧٧ - « مفتاح دار السعادة » / ابن القيّم - السعوديّة .

١٧٨ - « المقاصد الحسنة » / السخاوي - مصر .

١٧٩ - « مقالات الإسلاميّين » / الأَشعريّ - مصر .

١٨٠ - « مقام العقل في الفكر الإسلاميّ » / يوسف العظم - الأُردن .

١٨١ - « المقدّمة » / ابن خلدون - مصر .

١٨٢ - « المقصد الأَرشد » / ابن مفلح - السعوديّة .

١٨٣ - « مناقب الإمام أَحمد » / ابن الجوزي - السعوديّة .

١٨٤ - « المنهج الأَحمد » / العليمي - مصر .

١٨٥ - « منهج الأَشاعرة في العقيدة » / سفر الحوالي - الكويت .

١٨٦ - « منهج أَهل السنّة والجماعة ومنهج الأَشاعرة في توحيدِ اللهِ تعالى » / خالد محمد نور - السعوديّة .

١٨٧ - « موافقة صحيح المنقول » / ابن تيميّة - السعوديّة .

١٨٨ - « موقف ابن تيميّة من الأَشاعرة » / عبدالرحمن المحمود - السعوديّة .

١٨٩ - « النبوّات » / ابن تيميّة - مصر .

١٩٠ - « النّذيرُ العُريان لتحذير المرضى والمعالجين بالرُّقى والقرآن » / فتحي الجُندي - السعوديّة .

١٩١ - « نظم الدُّرَرِ في تناسُبِ الآياتِ والسُّور » / البِقاعي - الهند .

١٩٢ - « نقض كتاب : في الشعر الجاهليّ » / محمد الخضر حسين - سوريّا .

١٩٣ - « النكت على ابن الصّلاح » / ابن حجر - السعوديّة .

١٩٤ - « النكت والعيون » / الماورديّ - لبنان .

١٩٥ - « النهاية في غريبِ الحديث والأَثر » / ابن الأَثير - لبنان .

١٩٦ - « النهر المادّ » / أَبو حيّان الأَندلسيّ - لبنان .

١٩٧ - « نيل الأَوطار » / الشوكانيّ - مصر .

١٩٨ - « هَدْي الساري » / ابن حجر - مصر .

- جريدة الرأي : ١٤ / ٤ / ١٩٩٥م .

- جريدة المسلمون : عدد ٢٥١ و ٢٥٢ و ٤٦٠ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ .

- مجلة التوحيد : عدد ٨ / سنة ٢٤ .

- مجلة الجذور : عدد ١٧ / ١٤١١هـ

- مجلة اليقظة : عدد ١٤١١ هـ

- مجلة اليمامة : عدد ١٢٨١ .

□□□□□

٢ - فهرس الأَحاديث والآثار

(أ)

ب - ج

ذ - ع

ف - ل

م - ن

هـ - ي

□□□□□



٣ - الفهرس التفصيلي [١]

---

(١) ويتضمّن المسائل المبحوثة ، والفوائد المبثوثة .

□□□□□

300k

٤ - الفهرسُ العامُّ

□□□□□

